سلسلة ابحاث كتابية ٨

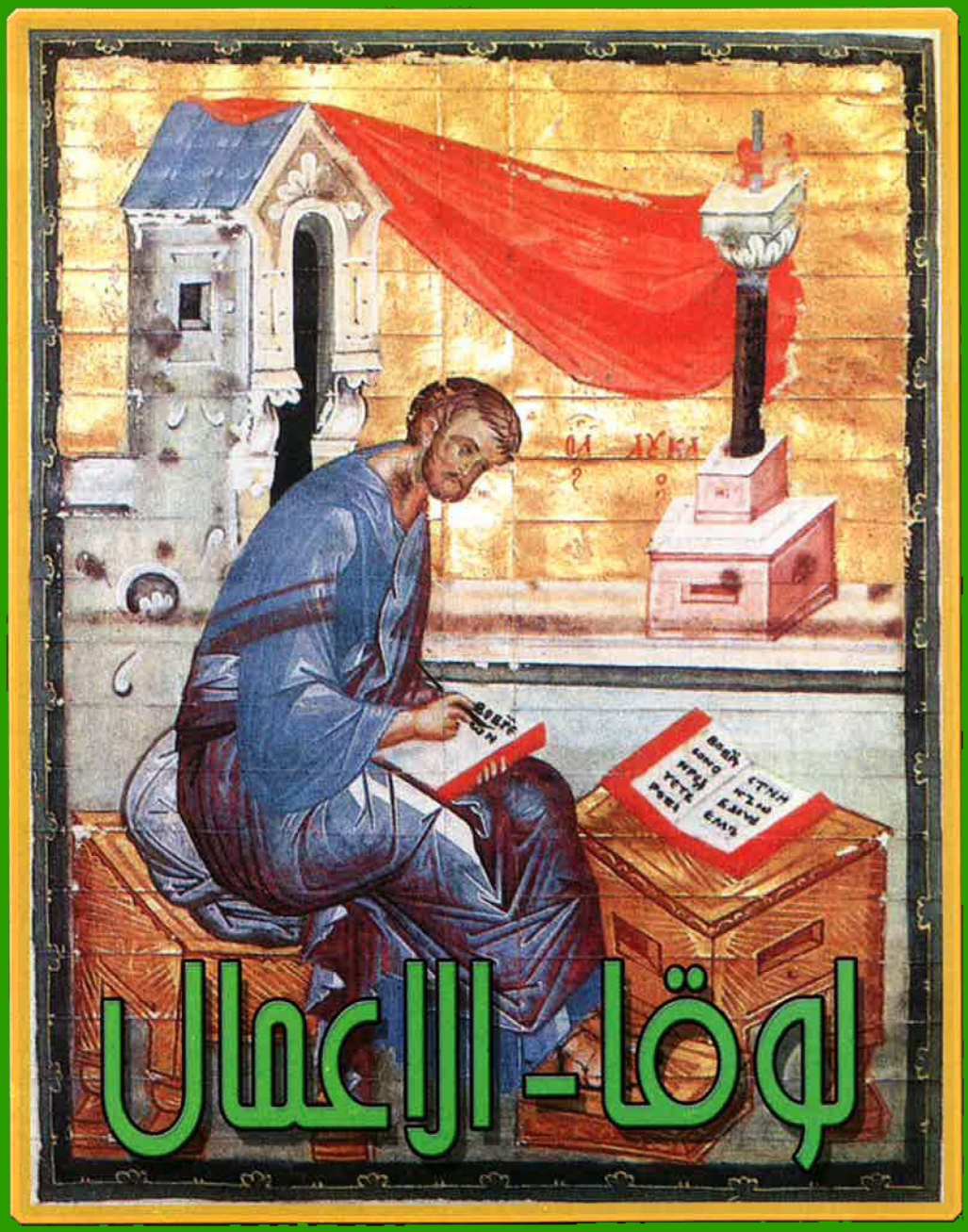

لوقا - الاعمال

(وعد التاريخ)

تأليف : دونالد پوئيل

تعريب: الاب البير ابونا

بيبليا للنشر
بغداد
2006

لوقا ـ الأعمال

[وعد التاريخ]

دونالد يوئيل

لوقا - الأعمال

(وعد التاريخ)

طبعة ثانية منقحة

تعريب: الأب البير ابونا

منشورات
مركز الدراسات الكتابية
الموصل - العراق
٢٠٠٦

العنوان بالانكليزية:

Donald Juel

Luke-Acts

The Promise of History

John Knox Press, Atlanta, 1983

العنوان بالفرنسية:

(ترجمة م. ف. برينيه)

Luc-Acts

La promesse de l'histoire

(Lire la Bible, No. 80)

Ed. du Cerf, Paris - 1987

كلمة الناشر

حين ظهرت "قراءة مجددة للعهد الجديد" عام ١٩٩٩، لم يكن يُخيّل إلينا انها ستسجّل الرقم ١ من "سلسلة" قُيّض لها ان تتواصل لتبلغ، مع هذا الكتاب، الرقم ٨، وإلى ما شاء الله! وقد أُطلق عليها اسم "ابحاث كتابية"، مع ظهور كتاب "يسوع الذي من الناصرة: بقلم مرقس الانجيلي" الذي اتخذ الرقم ٢.

إلا ان مسارها ترسّخ، وبطابع بيبلي متميز، عندما ظهرت تباعا، وعلى مدى سنة واحدة فقط، اربعة كتب، بقلم عدد من الاختصاصيين: "قراءة في العهد القديم" بجزئين (قبل الجلاء/ رقم ٣؛ من الجلاء إلى يسوع/ رقم ٤)، و"قراءة في العهد الجديد" بجزئين أيضاً (الاناجيل الاربعة/ رقم ٥؛ أعمال الرسل والرسائل والرؤيا/ رقم ٦)، فشكّلت مدخلا متكاملا إلى الكتاب المقدس، بأربعة أجزاء، ضمتها علبة أنيقة!

وفيما تناول الرقم ٧ من السلسلة "الكنيسة التي ورثناها عن الرسل" للاختصاصي الكبير ريموند براون، استعرض فيه الجماعات

المسيحية الأولى التي انتسبت إلى بولس ولوقا ومتى ومرقس ويوحنا وبطرس، يتناول الكتاب الذي نزفه إليكم، سفرا ثمينا من العهد الجديد، هو أصلا كتاب بجزئين، "لوقا-الأعمال"، عرض فيه لوقا الإنجيلي البشرى السارة، في زمن يسوع، كما في زمن الكنيسة. وكان الاب البير ابونا قد نقله إلى العربية، وظهر للمرة الأولى في منشورات كلية بابل عام ٢٠٠٢. وها هو يظهر اليوم، بسماح من المعرب، في حلة جديدة وإخراج انيق - وقد عمدنا إلى ترجمة الحواشي وإدراجها في آخر كل فصل، كي تكون مصدراً للمتتبعين؛ كما ادرجنا في المتن بعض الايقونات واللوحات الفنية.

لقد وضع العالم البيبلي دونالد يوئيل، بين ايدينا، مفاتيح هذا السفر الرائع والممتع معاً -وهو أطول مؤلَّف في العهد الجديد- كي نلج بها إلى سرّ "ملكوت الله" الذي ترقى اصوله إلى "وعد التاريخ"، من ابراهيم إلى يسوع! أليس السفر كله لوحة رسمها لوقا، "الطبيب الحبيب"، فغطت حقبات الزمن الثلاث: زمن الموعد، زمن يسوع، زمن الكنيسة؟

فإلى مغامرة اللقاء بيسوع الحي القائم في وسط كنيسته -تلك المغامرة الرائعة التي يمسك بخيوطها روح يسوع ذاته الذي يفتح الاذهان- يدخلنا هذا الكتاب، ويحملنا بالتالي إلى اكتناه معنى التلمذ للمعلّم، وتذوّق طعم اللحاق به مهما كلّف الثمن... ودوّنها لوقا "مرتّبة" كي "نتيقّن صحة ما تلقينا من تعليم"! انها مغامرة جديرة بان تُعاش!

الموصل في ٣ ايلول ٢٠٠٥ **بيبليا للنشر**

كلمة المترجم

كتاب يتناول الإنجيل بحسب لوقا مع سفر أعمال الرسل. إنه بحث رصين، كتبه أحد كبار الاختصاصيين المعاصرين في الكتاب المقدس، حاول فيه أن يقدم لنا أحدث الآراء في هذين السفرين وفي مؤلفهما. إنها دراسة تتطلب المزيد من الانتباه والتركيز، كما تقتضي خلفية جيدة من العلوم الكتابية، وخاصة من الاحتكاك بالعهد الجديد.

وإذ ننقل هذا الكتاب إلى العربية، نود أن يوفر، للمؤمنين المتعطشين إلى الارتشاف من مناهل المياه الحية، مزيدا من العمق في قراءاتهم لهذين السفرين، لكي يكتشفوا في كل قصة وفي كل حدث، حضور المسيح وحضور روحه العامل في الرسل وفي الكنيسة، منذ نشأتها، وفي جميع مراحل حياتها الطويلة، فيزدادوا قناعة ويقينا بأن هذه الدينامية الإلهية ما تزال ولن تزال تعمل في كنيسة المسيح وفي كل من المؤمنين، لتضمن استمرارية الرسالة التي حاول لوقا أن يسلط الأضواء عليها وعلى كل ملابساتها، ليستخلص منها خبرة إيمانية أصيلة، ويكشف عن الوجه الصحيح لكنيسة المسيح في عالم البشر.

وحينما نطالع هذه الصفحات -وقد تكون عسيرة للهضم بعض الشيء- يترتب علينا الولوج إلى معانيها الدقيقة، والعودة دوما إلى النصوص التي تسردها، لكي نفهم الأمور في سياقها الحقيقي. ولا ننسَ أن نفتح أشرعتنا أمام الروح ليقودنا بهدوء وأمان، إلى الحقيقة كلها، كما قاد الرسل وآباءنا في الإيمان عبر الأجيال. فهو قادر أن يجتاح اليوم أيضاً حياتنا، ويكشف لنا "اليوم" ما يختفي وراء الكلمات البشرية من الغوامض والالغاز، ويشركنا في معرفة المسيح يسوع، ويدمجنا في تصميم محبة الله.

بغداد في ٦حزيران ٢٠٠٢

الأب ألبير أبونا

مقدمة

كتاب اليوم

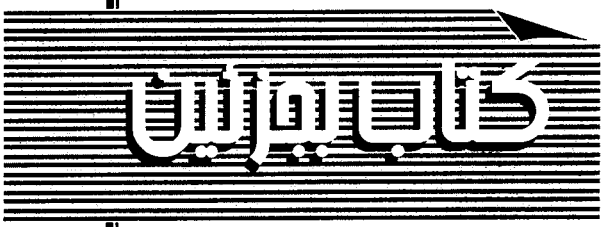

إن الكتابين المُعَنوَنَين "الإنجيل بحسب القديس لوقا" و"أعمال الرسل" يشغلان حيزا كبيرا من العهد الجديد: إنهما يحتويان على نحو ربع العدد الكلي لآياته. وعددها يمثل المشروع الأدبي الأكثر طموحا في نطاق الحركة المسيحية، في هذه مرحلة التلمّس من القرن الميلادي الأول. فلا عجب، والحالة هذه، أن يكون هذان الكتابان قد طبعا حياة الكنيسة بختمهما. ميلاد بسيط في مذود، ونشيد الملائكة، وزيارة الرعاة: إنها سمات قصة الميلاد التي ينفرد لوقا بنقلها لنا. وأنشودة مريم "تعظّم الرب نفسي"، وأنشودة زكريا، والانشودة التي قالها سمعان الشيخ "الآن تطلق عبدك"، لها مكانتها الرفيعة بين إسهامات لوقا في تراث الكنيسة الليتورجي. وعيدا العنصرة والصعود مدينان لأعمال الرسل بمكانهما في التقويم الكنسي. والقسم الأكبر مما نعرفه عن حياة الكنيسة الأولى، يأتينا من الروايات المتعلقة ببطرس واسطيفانس وبولس. ورغم ما في حوزتنا من الرسائل العديدة التي كتبها بولس، فمن العدل أن نقول أن صورة الرسول العظيم المألوفة لدى معظم الناس، لا تنبعث من هذه الرسائل، بقدر ما تنبعث من الروايات الملونة الواردة في أعمال الرسل.

إن الإنجيل والأعمال، قد صممهما مؤلفهما مثل مشروع أدبي يشكل كتابا واحدا، ولم يكن لهما في البدء عنوان[1](*) يشير إلى كل منهما على حدة؛ فكلاهما قُدّما لشخص يدعى "**تاوفيلس**". ولكن، من عهد مبكر، قُرئ الكتابان منفصلين، وأخذ إنجيل لوقا موضعه بين الأناجيل الأخرى. أما سفر الأعمال، فقد

(*) لما كانت الهوامش في جزئها الأكبر، مصادر بالإنكليزية تفيد الباحثين، آثرنا ان نجمعها في خاتمة كل فصل، بدءاً بالمقدمة، ولم نثبت في المتن سوى الهوامش التفسيرية والتوضيحية، بعلامة * (الناشر).

ضُمَّ إلى "القانون" بصفة كتاب استثنائي، إذ لم يكن، لا إنجيلا ولا رسالة، وهما الفئتان اللتان حاولت الكنيسة أن تضم فيهما كتب العهد الجديد. وقد يكون وجود تقليد لنص "فظ" في بعض المخطوطات اليونانية من سفر الأعمال، أجريت فيها تغييرات عديدة، دونما اعتبار للصيغة الأصلية، علامة على أن سفر الأعمال لم يُعتبَر جزءا من الكتب المقدسة إلا في فترة متأخرة بعض الشيء عن بقية كتابات العهد الجديد[٢].

ليس من الصعب أن نفهم كيف توصّل المؤمنون، خلال تاريخ الكنيسة، إلى قراءة منفصلة للإنجيل والأعمال. وفي الجهود الرامية إلى تبرير الاختيار الدقيق للكتب التي دخلت ضمن "القانون"، تقدّم لنا فئتا "الإنجيل" و"الرسالة" خدمة جليلة. فضلا عن ان التقليد لم يكن قد دأب قط على تفسير مجمل للروايات البيبلية. وحتى في أيامنا، قليلون هم أولئك الذين يجعلون من الأناجيل او من الرسائل قراءة متواصلة. هناك أيضاً اختلافات ملحوظة بين الإنجيل والأعمال. فإن الاختلافات في الأسلوب كثيرة: في الإنجيل، يلجأ يسوع إلى أمثال وإلى أقوال مأثورة، وفي الأعمال تنطق الشخصيات الهامة بخطابات مطوّلة ومعقدة. وتختلف المصادر أيضاً لكل كتاب. ذلك ان لدى لوقا في إنجيله سوابق أدبية، في حين لا يبدو أي منها في سفر الأعمال. وفي نهاية الأمر، تبدو الأبعاد العامة للشرح ومجرد كمية المواد في كتابات لوقا قد أعاقت تفسيرا موحدا، مع ان الاختصاصيين يعترفون بفائدته.

لقد مثل هنري كادبوري استثناء ملحوظا في تاريخ تفسير لوقا. فإن كادبوري، وهو الأختصاصي الممتاز من جامعة هارفورد في كتابات العهد الجديد، شدّد في أن يُشرَح الكتابان وكأنهما يشكّلان تأليفا واحدا؛ وأضحى كتابه "**تكوين لوقا–الأعمال**" كتابا منهجيا لا يستغني عنه كل دارس رصين للعهد الجديد[٣]. وفي إثره، تجاوز اختصاصيو لوقا أجيالا من التقليد، فقرأوا الإنجيل والأعمال معا.

والكتاب الذي بين أيديكم الآن، هو مقدمة لهذين الكتابين "لوقا–الأعمال". وأمام هذه الكمية الضخمة من المواد، لا أجدني مضطرا إلى التطرق إلى

جميع أوجه هذه القضية. إنما تتركز هذه الدراسة على نقاط من الشرح تتناسب مع "لوقا-الأعمال" بصفتهما كتابا واحدا: لماذا اختار مؤلف هذا الإنجيل، خلافا للإنجيليين الآخرين، أن يخلق إطارا أوسع ليشرح فيه رسالة يسوع؟ ما هو الاختلاف الذي يقدمه لشرحنا الإنجيل والأعمال كونهما مرتبطين؟ ما هي المواضيع التي تميّز أو توحّد المرحلتين ١ و ٢ من قصة لوقا؟ وهل تختلف طبيعة الكتاب الموحّد عن طبيعة كل منهما على حدة؟ هذه هي المسائل التي ستشغلنا خلال دراستنا.

ولكن قبل الخوض في تحليل "لوقا-الأعمال"، تجدر الإشارة إلى بعض النقاط. وتتعلق النقطة الأولى بمصادر كتابات لوقا.

التقاليد في لوقا-الأعمال

إن الاختصاصيين الذين يخوضون دراسة "لوقا-الأعمال" يعترفون بأن الكتابين مختلفان جدا، وإن كانا لمؤلف واحد. فقد وجد لوقا ذاته أقل حرية في كتابة إنجيله، منه في وضع سفر الأعمال.

لقد كان له سوابق (لوقا ١: ١) في ما كتبه عن يسوع، في حين أنه لم يكن ثمة من تناول نشاط الرسل. فكان على المؤلف أن يشق طريقه هنا في ميدان غير مطروق. ورغم ما كان في حوزته من المصادر، فمن الصعب علينا أن نحدّدها. إلا ان طرق الشرح التي تستخدم تشخيص المصادر كوسيلة للحكم على نوايا المؤلف قد أدت إلى إخفاق نسبي. فمن الممكن أن يكون للوقا مصادر للأعمال، إلا أنه من الصعب الكشف عنها[٤].

من الأسهل علينا تشخيص مصادر الإنجيل، إذ إن إنجيل لوقا يدخل ضمن الأناجيل "**الازائية**". وطوال أكثر من قرن، درس الاختصاصيون أناجيل متى ولوقا ومرقس معا، مستخدمين إزائية رُتبت فيها النصوص الثلاثة بأعمدة متوازية[*].

(*) هناك "ازائية الاناجيل الاربعة" ظهرت بالعربية بهمة الاب بولس الفغالي/ الرابطة الكتابية، بيروت ١٩٩٦؛ الى جانب "ازائية" اخرى بالعربية من تنسيق الاب صبحي حموي/ دار المشرق، بيروت ٢٠٠٠.

وحتى من دون إزائية، يستطيع القراء أن يتحققوا من التشابه الكبير بين هذه النصوص: فالسياق هو عينه، ما خلا البدايات والخاتمات. وفي شأن رسالة يسوع، يمكننا أن نميز في كل من الاناجيل مرحلتين واضحتين: أولا في الجليل، ثم في أورشليم. وفي الأناجيل الثلاثة المشار إليها، يوصف يسوع بسمات معزّم ذي قدرة خارقة، وإنسان غير متقيّد بالأعراف والتقاليد، يثير دهشة مواطنيه الأتقياء إذ يشترك مع الخاطئين، وواعظ شعبي يطيب له التعبير بلغة عامة الناس. ويكشف اللجوء إلى إزائية عن تطابقات هي أكثر إثارة: فليست الآيات متشابهة حسب، بل الالفاظ والجمل، وأحيانا تأتي مقاطع برمتها متطابقة تماما.

يكاد جميع الذين درسوا "**المسالة الإزائية**" أو العلاقة بين متى ومرقس ولوقا، يتفقون على هذا الأمر: علاقة أدبية بين الكتب الثلاثة هي وحدها تقدم شرحا مرضيا لما بينها من أوجه الاتفاق والاختلاف. فإما إن أحد الإنجيليين (أو أكثر) قد لجأ إلى واحد (أو أكثر من واحد) من الآخرين، وإما إن جميعهم قد استقوا من مصدر (أو مصادر) مشترك ضاع حاليا.

إن المعضلة معقدة، وقد يكون هذا هو السبب الذي لأجله لا يوجد الآن اتفاق حاسم بين الاختصاصيين بشأن "المسألة الإزائية". فمعظمهم ما يزالون يساندون الفرضية التي تقول بأسبقية مرقس. وبحسب هذه الفرضية، يكون مرقس هو أول الأناجيل والمصدر المشترك الذي منه استقى متى ولوقا. ومن شأن أولوية مرقس هذه أن تشرح بعض السمات المشتركة بين متى ولوقا، ولكن أيضاً بعض السمات المشتركة الخاصة بمتى ومرقس من جهة، وبلوقا ومرقس من جهة أخرى، وهي لا توجد في الإنجيل الثالث. إلا أن على أنصار أولوية مرقس أن يقبلوا أيضاً بمصدر ثان، وهو مجموعة أقوال يسوع استعملها متى ولوقا بصورة مستقلة، بما أن هذين الإنجيليين يشتركان في معلومات كثيرة لا نجدها عند مرقس. وهذه المجموعة من التعاليم، هي مصدر افتراضي يشار إليه بحرف (Q) (من الألمانية Quelle: المصدر). فإذا صدّقنا هذه النظرية، سيكون لمتى ولوقا سبيل إلى مصدر خاص بكل منهما، كما بمرقس وبـ (Q)، وبوسعنا تخطيط تلك العلاقات على الشكل التالي:

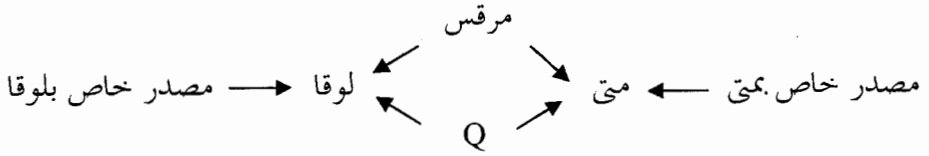

لقد أثارت دوما هذه النظرية انتقادات، وتظهر بانتظام دراسات جديدة تساند أولوية متى، وتشير إلى الشوائب الواردة في النظريات السابقة. وبوسع الذين تهمهم هذه القضية أن يعودوا إلى الكتب(*) والمقدمات التي تناولتها بصورة مفصلة(٥). أما أنا، في هذا الكتاب، فإني من أنصار النظرية القائلة بأولوية مرقس.

إن إنجيل لوقا "مشتقّ" بمعنى هام: فهو يتعلق ليس "بشهود عيان وخدام للكلمة" حسب، بل بمصادر مكتوبة أيضاً. وهدفه تصحيحي، إذ يحاول تحسين ما سبق (وإن كانت طبيعة التحسينات التي يعكف عليها تبقى خاضعة للتوضيح). وأحد الأساليب التي يلجأ إليها علماء الكتاب المقدس بكثرة، يتوقف على البحث عن الطريقة التي بها يستخدم لوقا مصادره. فإذا هو استعمل، بمثابة مصادر رئيسة، إنجيل مرقس ومجموعة من تعاليم يسوع، يمكننا أن نلاحظ مفصلا طريقة عمله: بأي شكل غيّر المفردات؟ أين عكف على الإضافات؟ في أي مقاطع أعاد توزيع المشاهد أو أضاف سمة نهائية؟

لا يمكن، بالطبع، التفكير في هذه الطريقة إلا في حالة اتفاق مسبق مع مصادر لوقا. ولكن، حتى بدون هذا الاتفاق، يمكننا تقييم الدقة الموجودة في الاختلافات بين لوقا وأقرانه الإنجيليين.

ومع ذلك، فإن إعادة تكوين المصادر لا تمثل سوى أحد الأوجه التي تبشر بخير اكبر لمن يدرس إنجيل لوقا، مما لمن يريد دراسة أعمال الرسل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن تركيزا استثنائيا على المصادر يعرِّضنا لصرف النظر عن النتيجة النهائية بتمويه رابط الاستمرارية الموجودة بين مجملَي القصة التي يرويها لوقا. ويستطيع هذا التوضيح أن ينير بعض الاختلافات بين الكتابين، ولكنه لا يستطيع أن يدّعي تزويدنا بشرح كاف أو بشرح ملائم.

(*) راجع "قراءة مجددة للعهد الجديد" (المسألة الازائية) – منشورات م. د. ك.، الموصل ١٩٩٩ (الناشر).

المؤلف والتاريخ والإطار ...

لا مجال هنا للنقاش حول الشخص الذي كتب "لوقا-الأعمال"، وفي أي عهد وفي أية بيئة كتبهما، بما أن البرهان الأصيل الوحيد الذي لدينا لتحديد ذلك، سنستقيه من الكتابين ذاهما.

ولكن بما أن الفرضيات حول هذه النقاط الثلاث تؤثر في سياق التفسير، فعلينا أن نقدم بعض الشروح الأولية.

إن إصرار التقليد الذي ينسب الكتابين إلى **"لوقا، الطبيب الحبيب"** يجد ما يوازنه، في غياب شبه كلي لبراهين تدعم هذه الفرضية. فاسم لوقا لا يرد، لا في هذا الكتاب ولا في ذاك. أما العنوان **"الإنجيل بحسب لوقا"**، فلم يكن بالتأكيد جزءا من المخطوطة الأصلية(*)، وهذا ما يردّ قيمتها، كبرهان، إلى الصفر. فلو كان اسم لوقا قد ورد مشتركا في الكتابين، لكان من الطبيعي تشخيص المؤلف، كأحد المتعاونين مع بولس وكطبيب معاً، على ضوء المراجع الواردة في رسائل بولس:

"يسلم عليك أبفراس، سجين المسيح يسوع معي، ومعاونيّ مرقس وأرسطرخس وديماس ولوقا" (فيلمون ٢٣-٢٤).

"يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس" (قولسي ٤: ١٤).

"عجّل في المجيء مسرعا، لأن ديماس قد تركني رغبة في الدنيا وذهب إلى تسالونيقي، وذهب قرسقس إلى غلاطية. وطيطس إلى دلماطية، وبقي معي لوقا وحده" (٢ طيموتاوس ٤: ٩-١١).

هناك إشارات تحملنا على التفكير في أن مؤلف الأعمال قد رافق بولس في أسفاره. ففي الفصل ١٦ من الأعمال، تنتقل الرواية فجأة من الشخص الثالث إلى الأول المتكلم الجمع:

"ثم طافا فريجية وبلاد غلاطية لأن الروح القدس منعهما من التبشير

(*) الكلمة اليونانية الدالة على الإنجيل تعني "البشرى السارة"، ويستخدمها بولس للاشارة إلى رسالة الخلاص في يسوع (طالع ١ قورنتس ١٥: ١-٧). ولا تظهر هذه اللفظة في "إنجيل" لوقا. واستعمالها للاشارة إلى كتاب هو متأخر، وقد يرقى إلى نهاية القرن الثاني (راجع الحاشية رقم ١ في نهاية المقدمة).

بكلمة الله في آسيا. فلما بلغا ميسية... بدت لبولس رؤيا ذات ليلة... فما أن رأى بولس هذه الرؤيا، حتى طلبنا الرحيل إلى مقدونية، موقنين أن الله دعانا إلى التبشير فيها" (أعمال الرسل ١٦: ٦-١٠).

ومنذ هذا الوقت تظهر لفظة "**نحن**" وتختفي، وغالبا دون سابق إنذار ومن دون شروح. فنستنتج من ذلك بالطبع أن الراوية رافق بولس في بعض من تنقلاته. إلا أن هذا الاستنتاج يثير معضلات جديدة. فإننا غالبا ما نصطدم بتحريفات في النصوص، إذا وضعنا بعض مقاطع من الأعمال -حيث يدور الحديث عن بولس- في التوازي مع رسائل بولس ذاته، فقد يؤدي الأمر أحيانا إلى تناقضات فاضحة[٦]. ويصعب شرح بعض من هذه الأمور غير الاعتيادية، إذا قبلنا بالنظرية القائلة إن مؤلف الأعمال هو أحد أصدقاء بولس. وقد طرحت الفرضية التي بموجبها ربما يكون بعض "النتف" قد جاءنا من جريدة يومية كتبها أحد رفاق بولس، وكانت تحت تصرف كاتب أعمال الرسل. إلا أن عجز الاختصاصيين عن التمييز، فيما يخص الأسلوب، بين الروايات المتعلقة بالأسفار وبين الأقسام الأخرى من الأعمال، قد يشير إلى أن المؤلف اعاد صياغة مصدره من جديد، وقد يعني أيضاً أن المؤلف وكاتب الجريدة ليسا سوى شخص واحد. فليس هناك ما يشكل برهانا قاطعا، ومن هنا كانت امكانية تعدد الشروح. وحتى إذا كان مؤلف الأعمال رفيق سفر بولس، فإنه لا يظهر قط بهوية "**لوقا**". وإذا قلّت الأدلة القائلة إن شخصا يدعى لوقا هو مؤلف الكتابين، فسيكون من العسير اعتبار هذا المؤلف طبيبا. وكما بيّن هنري كادبوري ذلك بمهارة، قبل بضع عشرات السنين، فإن لجوء لوقا إلى تعابير طبية ليس وقفا عليه. فإننا نلقاه أيضاً عند كتّاب ومؤرخين آخرين. فإن المفردات التقنية تطلعنا على عناية الكاتب وصفته أكثر منها على مهنته[٧].

فمن الذي كتب المجلدين اللذين نعرفهما باسم "لوقا-الأعمال"؟ حسب رأيي، لا نستطيع أن نقدم اسماً، كجواب على هذا السؤال.

لمجرد السهولة، سأشير إلى المؤلف داعيا اياه لوقا، ولكني استبعد أن يكون الذي ندعوه "لوقا"، هو ذاته الطبيب رفيق بولس في الرحلة. وسنعود إلى هذه القضية في الصفحات اللاحقة من هذا الكتاب.

وإذا كنا نجهل اسم المؤلف، فإننا نعرف عددا من الأمور عن شخصه. فهو أفضل كاتب بين الإنجيليين، ومن المحتمل أن يكون الوحيد من بينهم الذي يحظى بثقافة أدبية. كما يمكننا أن نفكر في أنه كان ينوي نشر أعماله. وينتمي المؤلف إلى المؤمنين من الجيل الثالث. وهو على صلة، ليس مع تقاليد "شهود عيان وخدام الكلمة" حسب، بل مع الروايات المكتوبة عن يسوع أيضاً (لوقا ١: ١-٤).

وتستطيع الحكايات أيضاً أن تقدم لنا مفاجآت. فالتقليد يجعل من لوقا وثنيا. وأنا أميل الآن إلى أن أرى فيه يهوديا. أو في الأقل وثنيا متهودا. ولكن بما أن الأدلة في هذه المادة تتعلق بتفسير الروايات، فإن هذه المسألة أيضاً يمكن أن تعالج في موضع لاحق.

أما تاريخ كتابة "لوقا-الأعمال"، فيطرح معضلات أقل. فإن إنجيل لوقا متأخر عن إنجيل مرقس، وسفر الأعمال متأخر عن الإنجيل ذاته. فإذا كان إنجيل مرقس، كما تقترح بعض دراسات حديثة، قد كُتب بعد سنة ٧٠ م[٨] بمدة وجيزة، فلا يمكن أن يكون إنجيل لوقا وسفر الأعمال قد كُتبا قبل ذلك الوقت. والأدلة الحاسمة على هذا التاريخ، إن كان ثمة أدلة، تدور حول الأحداث المتعلقة بخراب الهيكل سنة ٧٠ م وبنتائجه على الجماعة اليهودية. ويبدو أن الكتابين - وبالأخص سفر أعمال الرسل- يعكسان أحداثا معاصرة للسنوات ما بين ٨٠ و٩٠، كما يفهمها المؤرخون اليوم. وسنتطرق من جديد إلى هذه المسألة خلال دراستنا. أما الآن فنقبل بتاريخ يكون ما بين سنة ٨٠ و٩٠.

إلا أن ثمة تعقيدا يتعلق بتأريخ هذين المجلدين: ليس من الأكيد أن الإنجيل والأعمال قد وُضعا حسب تتابع وثيق. فإننا نلاحظ بعض الاختلافات، ولو أن كلمات يسوع الأخيرة، في إنجيل لوقا، تجعلنا نشعر مسبقا بالأعمال. إلا ان الآيات الأولى من سفر الأعمال تحيلنا بنوع صريح إلى الإنجيل.

في الإنجيل، يحدث صعود يسوع في يوم القيامة بالذات (لوقا ٢٤: ٥١). أما في الأعمال، فيسوع يمضي أربعين يوما مع تلاميذه قبل صعوده (أعمال الرسل

١: ٣). وبوسعنا أن نقدم الشرح التالي لهذا الاختلاف: سيكون لوقا قد كتب سفر الأعمال بسنوات عديدة بعد إنجيله. ولا يمكن أن يكون مجرد النسيان شرحاً محتملا لهذه الاختلافات!

هناك شروح أخرى قد تكون أكثر قبولا[٩]. وبوسعنا الذهاب حتى إلى الاشتباه بتدخل غريب يكون قد غيّر نهاية الإنجيل لكي يوليه مظهر مجلد مستقل. وإذا كان من الواجب اخذ هذه المعضلات بعين الاعتبار، فهي لا تستطيع أن تحجب الوحدة الأساسية في "لوقا-الأعمال".

أما مكان تأليف هذين المجلدين، فليس لدينا، هنا أيضاً، أدلة حاسمة على ذلك. فإذا كان مؤلفهما رفيق بولس، فمن المحتمل جدا ان تكون روما موضع كتابتهما. فإن لفظة "**نحن**" تظهر فعلا في الفصل النهائي من الأعمال الذي يروي وصول بولس إلى عاصمة الإمبراطورية. واقترح آخرون أفسس أو أنطاكيا، وغيرهم مدينة من مقاطعة مقدونية أو أخائية[١٠]. فإن الاختصاصيين لم ولن يكونوا متفقين، ما لم تتوفر لديهم معطيات إضافية. وقد يتفقون على ملامح الجماعة التي يوجه لوقا كتابه إليها، ولكن ليس على المكان.

وهكذا يستحيل عمليا الجواب المسبق على إحدى النقاط الهامة التي أثارتها معضلة "لوقا-الأعمال". لاشك ان التقليد يقدم أجوبة، إلا أن الأرضية المكوّنة من الفرضيات والتخمينات التي تستند إليها تبدو، هي الاخرى، غير أمينة. فنضطر، لمعرفة لوقا، أن ننظر إلى كتاباته. وما سنتعلمه، سنتعلمه خاصة من دراستنا النصوص.

نحو هذه المهمة سنوجه جهودنا...

هوامش المقدمة:

(١) بشأن استخدام العناوين في الادب اليوناني الروماني، انظر:

- M. DIBELIUS, "The First Christian Historian", Studies in the Acts of Apostles, éd. H. Greeven (New York, Charlse Scribner's Sons ١٩٥٦) ص ١٣٥-٣٣٦; Henry J. CADBURY, "The Making of Luke-Acts" (London SPCK ١٩٥٨) ص ١٩٥-١٩٦

(٢)

- Ernst HAENCHEN, "The Acts of Apostles" (Philadeliphia, Westminster Press, ١٩٧٧) ص ٥٠-٦٠

(٣) وترقى اول طبعة منه إلى عام ١٩٢٧.

- Henry J. CADBURY, "The Making of Luke-Acts"

(٤) بشأن المصادر انظر Ernst HAENCHEN، وهو المصدر المذكور، ص ٨١-٩٠.

(٥) في دراسته النقدية دافع وليام فارمر بشدة عن أولوية مرقس.

- William R. FARMER, "The Synoptic Problem" (New York, Macmillan, ١٩٦٤)

(٦) المصدر المذكور، ص ١١٢-١١٦؛

- E. HAENCHEN
- Philipp VIELHAUER, "On the Paulinism of Acts" in Studies in Luke-Acts, éd. Leander E. Keck et J. Louis Martyn (Washville, Hbingdon, ١٩٦٦) ص ٣٣-٥٠

(٧)

- H.-J. CADBURY, "The Diction of Luke and Acts", in The Style and Literary Method of Acts (Cambridge, Mass., Harvard University Press, ١٩٢٠).

(٨) بصدد سنة تأليف إنجيل مرقس، انظر كتابي:

- "An Introduction to New Testament Literature" (Nashville, Abingdon, ١٩٧٨) ص ١٤٦-١٥٠ و١٩٦-١٩٨

وانظر أيضاً الطبعة ١٤ من:

- Werner Georg KUMMEL, "Introduction to the New Testament", (Nashville, Abingdon, ١٩٦٦) ص. ٧٠-٧١.

(٩) لمناقشة مختلف الامكانات، راجع المصدر المذكور ص ١٤٤-١٤٦

- E. HAENCHEN

(١٠) لمناقشة جادة بشأن تاريخ ومكان تأليف لوقا-الأعمال، انظر:

- A. FITZMYER, "The Gospel according to Luke I-IX", Anchor Bible ٢٨ (Garden City, Doubleday, ١٩٨١) ص. ٥٣-٥٧.

الفصل الأول

البدايات

إن الفصلين الأولين من إنجيل لوقا يلفتان النظر من نواح عديدة: قبل كل شيء، لأن لوقا وحده، بين الإنجيليين، يوجّه كتابه إلى قرّائه لكي يطلعهم مسبقا على شيء من الرواية التي ستتبع. فالرواية تسبقها مقدمة جاءت بأربع آيات، وسيكون لهذه المقدمة ثقل كبير في شرحنا لـ "لوقا-الأعمال". ويحتوي هذان الفصلان أيضاً على معطيات لا نجدها إلا عند لوقا: فما خلا مريم ويوسف، لا يظهر أي من تلك الشخصيات الكبيرة في الأناجيل الأخرى، ومعظمهم -زكريا، أليصابات، الرعاة، سمعان الشيخ، حنة النبية- لا يقومون بأي دور لاحق في الرواية، ولن يرد أي ذكر لهم بعد ذلك.

والإنطلاقات الغنائية، بصيغة أنشودات، لدى مريم وزكريا وسمعان، لا تأتي إلا في هذين الفصلين. ولأسلوب هذه الأنشودات ومفرداتها ميزات خاصة.

لقد دارت جدالات عديدة حول هذين الفصلين. ففي ماضٍ قريب، ذهب بعض كبار الاختصاصيين بـ "لوقا-الأعمال" إلى القول إن هذين الفصلين لم يكونا حقا جزءا من الأناجيل والأعمال[١]. ولقد وجدت شروح لإنجيل لوقا لا تولي أي اعتبار لروايات الميلاد ولا لأنشودة مريم "**تعظّم الرب نفسي**" أو أنشودة زكريا "**مبارك** ...".

إلا أن هذه الحجج لا تقنع الآن أحدا، إذ يعتبر علماء الكتاب المقدس فصلَي البداية جزءا أصيلا من الأناجيل[٢].

سنبدأ، إذن، دراستنا لـ "لوقا-الأعمال" بفحص هذين الفصلين من الإنجيل. وإذ يزودنا لوقا بمواد فريدة من نوعها، فإن من شأن تحليل لهذين الفصلين

أن يعطي لنا مقدمة جيدة للنقل الذي يعكسه عن قصة يسوع، وربما أيضاً عن تاريخ الكنيسة الأولى.

أما المواضيع المستخلَصة من هذين الفصلين والمسائل التي يثيرانها، فتشكّل قاعدة لكل ما يتبع في هذا الكتاب.

المقدمات ...

كان من الجاري وضع مقدمات في مطلع بعض انواع من التآليف الأدبية. ومن شأن مقاربة بين مقدمات لوقا في الإنجيل والأعمال، وبين مقدمات كتب أخرى معاصرة، أن تكون ذات ايحاء. هوذا، على سبيل المثال، مقدمتان لمجلدين وضعهما المؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس المعاصر للوقا[٣].

ضد أفيون (يوسيفوس)

في تاريخي "الآثار" يبدو لي، أيها الجليل أفافروديت، أني قد أوضحت بكفاية، لمن يتسنى له أن يعكف على مطالعة هذا الكتاب، قِدَمَ أمتنا اليهودية الممتاز... لكني مذ ذاك لاحظت أن عددا كبيرا من الناس، تحت تأثير افتراءات مسمومة بثها بعض الأفراد، يبدون عدم الثقة في الجزء الذي من طروحاتي يتناول آثارنا (...). (لهذا) فإني اعتبر من واجبي أن أخصص لجميع هذه النقاط بحثا موجزا، وأنا أهدف، في آن واحد، إلى إقناع مغتابينا بالمكر والزور المتعمَّدَين،

لوقا (١: ١-٤)

لما أن أخذ كثير من الناس يدوِّنون رواية الأمور التي تمت عندنا، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهودَ عيان للكلمة، ثم صاروا عاملين لها، رأيت أنا أيضاً، وقد تقصيتُها جميعا من أصولها، أن أكتبها لك مرتبة، يا تاوفيلس المكرم، لتتيقن صحة ما تلقيتَ من تعليم ...

وإلى تصحيح جهل الآخـــرين، وإلى تعليم الذين يشتاقون إلى معرفة الحقيقة المتعلقة بقدَم أمتنا.

في المجلد الأول من هذا الكتاب، أيها المكرّم جدا أفافروديت، برهنـــت على قدم أمتنا.

(...) سأعكف الآن على تفنيـــد بقية المؤلفين الذين تهجموا علينا...

الأعمال (١: ١-٢)

ألفت كتابي الأول، يا تاوفيلس، في جميع ما عمِل يسوع وعلَّم، منـــذ بدء رسالته، إلى اليوم الذي رُفعَ فيـــه إلى السماء، بعدما ألقـــى وصـــاياه، بدافع من الروح القدس، إلى الرســـل الذين اختارهم ...

وهكذا نرى يوسيفوس ولوقا يضعان مقدمة لتآليفهمـــا. ومثـــل هـــذه المقدمات تزوّد القارئ بإشارات مفيدة عن طبيعة الكتاب.

ربما كانت مثل هذه المعطيات أكثر أهمية لقراء القرن الأول مما هـــي لنـــا الآن. ففي أيامنا، هناك، في حوزة مؤلف ما، وسائل متنوعة لكي ينقـــل نوايـــاه الأدبية. ذلك ان مجرد تنظيم قصيدة على صحيفة مطبوعة يكفي لكي ينبهنا إلى أن الأمر يتوقف على عمل للمخيلة وليس للصحافة. فإن نوعيـــة ورق الـــصحف، وترتيب المقالات في أعمدة، واستخدام الحروف ذات الأحجام المتنوعة، كل هذا ينبهنا إلى أننا نتعامل مع تحقيقات صحفية، وهو نوع يختلف عن المقالات الأساسية التي يسهل علينا تمييزها. فكل نوع من الكتابة يقتضي من القارئ انتباها خاصـــا. والمؤلفون والقراء يعملون ضمن عالم من المصطلحات، وبوسع المرء أن يلجـــأ إلى فئات مختلفة من مفاتيح الشرح.

لم يكن عند القدامى اصطلاحات أقلّ ممّا عند مؤلفينا المعاصـــرين، إلا أن وسائل إعلامهم كانت أكثر محدودية. وكمادة لكتاباتهم، كـــانوا يـــستخدمون، بشكل عام، أوراق البردي أو جلود الحيوانات. وكانـــت نـــصوصهم مكتوبـــة بالحروف الكبيرة، مرتبة على أعمدة، وخالية من علامات الوقف. فكانت المؤلفات

تظهر أحيانا دون عنوان، وغالبا دون اسم المؤلف. فالعناوين، من مثل "**الإنجيل بحسب لوقا**" و"**أعمال الرسل**"، لم تكن واردة بالتأكيد في النسخ الأصلية. ومصطلح "إنجيل" لم يكن يمثل فئة أدبية في العصور القديمة. وفي هذه الظروف، كان من شأن المقدمتين لإنجيل لوقا ولأعمال الرسل أن تجلب معلومات حول الفئات الأدبية المستخدمة، أكثر مما تفعله الآن العناوين الحالية.

وتوحي مقدمة لوقا بما لدى المؤلف من طموحات أدبية. ومع ان هذه النظرية لا تحظى بالإجماع، لكن يبدو أن مجرد اهداء الكتاب إلى تاوفيلس -كما كان يوسيفوس قد أهدى كتابه إلى أفافروديت- ينطوي على قصد بنشر الكتاب. لقد بدا أفافروديت، "مموّل" يوسيفوس، أستاذا شهيرا صاحب مكتبة غنية. وأكثر من ذلك، كان من الغنى بحيث تسنى له الموافقة على نسخ "ضد أفيون" ونشرها. فالإهداء إلى شخص ما ينطوي ولا شك على الرغبة في انتشار الكتاب؛ وفي هذه الحال، سينفرد مؤلف الكتابين المهدَيَين إلى تاوفيلس، بين مؤلفي كتب العهد الجديد، بعزمه على الولوج إلى ميدان الآداب. فاللغة اليونانية الأنيقة، وترتيب مقدمة إنجيل لوقا المدروسة، يتيحان لنا مثل هذا التخمين.

هناك ملاحظة أخرى: في انجيل لوقا وفي سفر الأعمال، كما في كتاب يوسيفوس "ضد أفيون"، نحن أمام مجموعة أدبية تنقسم إلى قسمين، مع مقدمة ثانوية في مطلع الجزء الثاني. وإذا كان الناس، في القرن الأول، يكتبون على ملفات ذات سعة محدودة، إلا انهم يضطرون، بالنسبة لكتابات اكثر أهمية، إلى تقسيمها إلى "مجلدات" منفصلة. وقد أثبت الاختصاصيون أن إنجيل لوقا من جهة، والأعمال من جهة أخرى، يتناسب كل منهما مع طول ملف اعتيادي. وأبسط تبرير على فصل هذين المجلدين هو مسألة القياسات. وهكذا يكون التكرار الوجيز للإهداء إلى تاوفيلس، فضلاً عن مقدمة الأعمال -وقد تضمنت إحالة سريعة إلى المجلد السابق- قد اصبحا ضروريين في بداية ملف جديد متميز. ويبدو هذا الأسلوب اتفاقيا، ولكنه يعني أيضاً أنه يجب اعتبار الكتابين مثل مقطعين لوحدة أدبية لا غير، ولو أن "القانون" الحالي للعهد الجديد قد فصلهما. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا الأمر يضع الكتابين ضمن صنف خاص. ذلك ان لوقا هو المسيحي الوحيد المعروف

الذي، في القرن الأول أو الثاني، قرَنَ تاريخ يسوع مع تاريخ الكنيسة الأولى.

أخيرا، تطلعنا المقدمة على طبيعة التأليف الذي يدخل ضمن الكتابات التاريخية. فإذ يشير لوقا إلى "روايات" وإلى "كتابات مؤلفة"، ويذكر السابقين والمصادر، يقول لنا عن كتاباته ما لا يقوله الإنجيليون الآخرون عن كتاباتهم. فهو يخبر القارئ أن ما يتبع ليس قصيدة ولا بحثا فلسفيا ولا محاولات في الحياة الأدبية، ولا مجموعة رسائل ولا تفسيرا كتابيا. مع أن هذه الخيارات جميعها كانت أمام لوقا. ونجد أمثلة عن هذه الأنواع الأدبية عند معاصري "لوقا-الأعمال" من اليهود أو المسيحيين. إلا أن المؤلف يعتبر ذاته مؤرخا، وروايته تنقل أحداثا متتابعة، أحداثا لها معنى، إذ يظهر فيها التماسك واضحا.

ولم يكن لوقا وحيدا بين القدماء في اكتشاف العلاقة بين أحداث هذا العالم، وبين محاولة كتابة تاريخ. فإن كتابة التاريخ كانت أمرا جاريا عند معاصريه، وموضوعا لجدالات واسعة عند المؤرخين، حتى انهم كانوا يعلّمونه في المدارس. وإذا أردنا تعليمات حول ما كان المؤلف والجمهور معا، ينتظره من هذا الفن، في الأزمنة القديمة، فالأمر سهل: يكفي أن نراجع المؤرخَين فوليب وتوسيديد عن دور الخطابات في النصوص التاريخية، أو أن نقرأ بحث لوسيان "**في طريقة كتابة التاريخ**"، أو أيضاً سلسلة البحوث القديمة في التاريخ. إن من شأن دراسة تتناول معاصري لوقا، أن تسلط بعض الضوء على بنية عمله أو على بعض الأوجه من أسلوبه. وإذا ما كنّا على وعي بالجهد الكبير الذي بذله كتبة التاريخ، في سبيل وضع خطابات، وبدور هذه الخطابات في أعمالهم التاريخية، نستطيع أن نفهم لماذا ينطق جميع الشخصيات البارزة، في سفر الأعمال، بخطابات في الأوقات الحاسمة من التاريخ، وهذه الخطابات تحمل علامات تأليف مُعَدّ بعناية[٤]. وإذا باشر لوقا بكتابة شيء من التاريخ، فبوسع معاصريه أن يطلعونا على ما يعنيه "**التاريخ**" وما يقتضيه من الجهد، في العالم الإغريقي-الروماني، في القرن الأول الميلادي.

في هذا الإطار الإغريقي-الروماني، ينبغي لنا أن ندرس "لوقا-الأعمال". ولكن الموضوع الذي يتناوله المؤلف ليس تاريخ الامبراطورية، بل هو تتابع خاص

لأحداث مركزة على اليهود، وخاصة على الذين دخلوا منهم في صلة مع يسوع الناصري. ويصب لوقا جهده الأدبي في إطار يقدمه "**شهود**" عيان وخدام الكلمة. إنه، إذا صح القول، أول مؤرخ مسيحي. ومثل هذا التأكيد يثير أسئلة عديدة: ما الذي حدا هذا المؤلف إلى الربط بين القصص المتعلقة بيسوع وتلك المتعلقة بالذين تبعوه، بعد الصعود، في حين أن الأمر لا يجري هكذا عند متى ومرقس ويوحنا؟ ولماذا اختار هذه الأحداث بالضبط؟ وما الارتباط الذي يمكن أن يكون بين والدَي يوحنا المعمذان وأسفار بولس حول البحر المتوسط؟ لقد شاء ديودورس الصقلي أن يكرس جهوده لتدوين تاريخ روما، وخصص يوسيفوس مجلدات عديدة لرواية الأحداث التي تمخضت عن الحروب المدمرة ضد روما سنة ٦٦-٧٣. وبعد قرون، كتب أوسابيوس القيصري تاريخا كنسيا شرح فيه نمو الكنيسة الحاسم الذي حمل الإمبراطورية، في عهد قسطنطين الكبير، على الاعتراف بها. ولوقا، أي تاريخ سيروي لنا؟ أين يبدأ هذا التاريخ؟ وأين ينتهي؟ ويقول لنا يوسيفوس إنه إذا كتب، فلكي يحارب الأخطاء، ولكي يدافع عن نفسه وعن أمته ضد الافتراءات والتهم. فماذا كان الدافع الذي حدا مؤلف "لوقا-الأعمال" إلى كتابة مجلدين لتاوفيلس؟ بوسع المقدمة أن توفر لنا بعض النور حول هذه النقاط.

إن المقدمة الرئيسة لـ "لوقا-الأعمال" نجدها في لوقا (١: ١-٤). ومع أنها مقدمة للإنجيل، فنحن لا نتعرض للخطأ إذا ما رأينا فيها إعلانا عن المجلدين، باعتبارهما كتابا واحداً[٥]. وتعتبر هذه الآيات الأربع من بين اروع ما كُتب في كل العهد الجديد. فلغتها اليونانية أنيقة، ومختلفة جدا عن النثر الذي يتبعها. وايقاع هذه الآيات مدروس بعناية كبيرة. فقد اهتم المؤلف اهتماما خاصا باختيار التراكيب والمفردات. إلا أن ثمة اختلافات مهمة في الترجمات العديدة إلى اللغات العصرية بشأن المعنى الذي يقترحه المترجمون.

ليس هناك خلاف بين المترجمين فيما يخص المؤلف. فهو، مع انه لا يذكر اسمه، يطلعنا على أنه لا ينتمي إلى الجيل الأول من المسيحيين. وان ما كتبه، قد نقله "شهود عيان وخدام للكلمة"، ولكنه لا يذكر أحدا منهم. ومع ذلك، لم يكن الأول

الذي اتّخذ يسوع موضوعا لكتاباته، فهو يقول لنا إن "كثيرا من الناس" نقلوا الأحداث التي سيرويها، ونعرف اثنين من هؤلاء الكتبة: مؤلف الإنجيل بحسب مرقس، ومؤلف (أو مؤلفي) مجموعة من تعاليم يسوع، ويشار إليها بحرف (Q)[٦]. وقد تكون اشارة لوقا إلى "كثير من الناس" أمرا مصطلحا.

هناك أيضاً اتفاق على الشخص المشار إليه، بصفته متلقٍّ: شخص يدعى تاوفيلس، ومعناه "**صديق الله**"، وهو اسم مألوف في المجتمع اليهودي الإغريقي-الروماني. إلا اننا نجهل هويته. ويعتقد البعض أنه موظف، وفي هذه الحال بوسعنا أن نترجم لفظة "كراستينس" (krastinos) اليونانية بـ "سيادتك". ويلاحظ غيرهم أن هذه الكلمة اليونانية قد تعني فقط طريقة مهذَّبة لتوجيه الخطاب إلى شخص (حينما يتكلم يوسيفوس عن أفافروديت، يصفه بـ "الجليل"). وأهم من ذلك هو ما نعلمه عن تاوفليس في الآية الأخيرة: انه قد "تلقى تعاليم". وهنا أيضاً، هناك خيارات عديدة أمام المترجمين. فقد يعني التعبير، ببساطة، "إنه مطلع" أو "ملقّن"، ونجده في سفر الأعمال (٨: ٢٥) بصدد التهذيب المسيحي. وبعدئذ تصبح الكلمة تعبيرا تقنيا يعني التعليم الديني (والفعل الفرنسي catéchiser الذي يعني ألقى التعليم المسيحي مشتق من هذه اللفظة اليونانية).

أيكون تاوفيلس موظفا سمع الحديث عن يسوع وتلاميذه، أم مؤمنا "لُقّنَ" الإيمان؟ الشرحان ممكنان. أحدهما يوحي بأن "لوقا-الأعمال" يقدَّم كدفاع سياسي أو ربما كأدب تبشيري؛ والآخر، بأن هذا المؤلَّف كان يتوجه أساسا إلى المؤمنين.

حينما يتعلق الأمر باستيعاب مطلع لوقا، نرى التعبير الرئيس في الآية ٤. وهنا أيضاً نحن أمام اختلاف في الترجمات. فهل يكتب لوقا لكي يعرف قراؤه "الحقيقة"، وهذا يعني أنهم لا يمتلكونها؟ والتفسير الذي يعطيه يوسيفوس عن كتابه يوحي بهذا النوع من الشرح: فهو يكتب لكي يضع الأمور في موضعها الحقيقي، ويصحح معلومات خاطئة، ويناهض أكاذيب فاضحة. وبالمقابل، وبحسب ترجمة أورشليم والترجمة المسكونية، يكتب لوقا لكي يولي الثقة لـ "ثبات" أو "صحة" التعاليم المعطاة.

ووفق هذا المنظور، يرمي لوقا إلى الإقناع، وليس حتما إلى التصحيح. وإذا كانت هذه الطريقة الأخيرة لتأدية العبارة اليونانية أكثر صحة -وهذا ما أعتقده-، وإذا كان القارئ المعني قد "تلقى تثقيفا" مسيحيا، -وسأتحدث عن ذلك في موضع لاحق-، إذ ذاك نجد ذاتنا أمام أسئلة عديدة: ما هي أنواع الشكوك التي من شأنها أن تساور المؤمنين في ما يتعلق بقصة يسوع وتلاميذه؟ ولِمَ العودة إلى هذه القصة لدى أناس سمعوا نقولا أخرى "عديدة"؟ ودون الإدعاء بأن المسيحيين الأولين كانوا قلقين بشأن "هراطقة" -كما سيكون، فيما بعد، شأن المسؤولين في الكنيسة-، فهل تتوفر أدلة على أن لوقا، في كتاباته، كان يقاوم بعض الآراء أو يستهدف معضلات محدودة؟ هذه هي التساؤلات التي ستشغلنا طوال هذا الكتاب.

وعلينا أن نضيف أن كلمة "بيبليروفوريمنون" (peplèrophorèmenôn) اليونانية الواردة في الآية الأولى، تترجم عادة بـ "تمت". وليست الكلمة هي تلك التي تُستخدم بشكل مألوف للتعبير عما "حدث" أو جرى أو "حدث أن"...، بل هي كلمة ترتبط بأصل يعني "**البلوغ إلى الملء**". فلفظة "تمت" توحي بأن الأحداث التي ظهرت لم تجرِ بمحض مصادفة: إنها تشير إلى تحقيق أو إتمام شيء. إنها تبلغ إلى هدف، وهذا ما يوحي بأن هذا التاريخ يجب أن يقرأ في سياق -وسياق أوسع- يشكل جزءا من تصميم. وإذا قرأنا اللفظة اليونانية على هذا النحو، فستصبح مقدمة ملائمة (جدا) للتاريخ الذي يرويه لوقا.

آمال عظيمة (لوقا ١-٢)

يبدأ كل من الإنجيليين روايته عن يسوع حسب طريقته. فمرقس يبدأ من الوسط، حين تكون رسالة يوحنا المعمدان قد بلغت ذروتها، ويكون يسوع قد بلغ النضوج. ويبدأ متى بسرد سلسلة الأنساب وروايات متعلقة بميلاد يسوع. ويرتقي الإنجيل الرابع إلى فعل الخليقة، "في البدء". أما عند لوقا، فنَجِدُنا في أورشليم، مع كاهن من الريف وزوجته. اما التفاصيل فضئيلة، وتقتصر على أن زكريا وأليصابات هما يهوديان مثاليان، وأنهما الآن في المدينة المقدسة، إذ جاء دور الفرقة

الكهنوتية التي ينتمي إليها زكريا لتأمين خدمة الهيكل (وكان معظم الكهنة يسكنون خارج المدينة في غير وقت خدمتهم). ولا شيء آخر يلفت الانتباه فيما يخص هذين الشخصين وحياتهما.

يفتتح المشهد في الهيكل حيث يتهيأ زكريا للقيام بتقدمة البخور، وهو امتياز لا يحظى به الكهنة سوى مرة واحدة في حياتهم. ونطلع على أن اختيار هذا الكاهن عن طريق "إلقاء القرعة" لم يكن مجرد مصادفة. وكان هذا الموضع المقدس هو الإطار المناسب لزيارة الملاك المرتقبة. وإذا برسول سماوي يعلن أن زكريا وأليصابات اللذين تجاوزا سن الحبل والإنجاب، سيكون لهما ولد. والأنشودة الاحتفالية التي يقولها جبرائيل الملاك تطري مسبقا الدور الحاسم الذي سيقوم به الولد في مخطط الخلاص الذي رسمه الله: إنه سيعدّ للرب "شعبا متأهبا"، وسيُتِمّ المهام المناطة بإيليا، ذاك النبي الذي كان اليهود الأمناء ينتظرون عودته منذ زمان طويل (ملاخي ٤: ٥-٦). فزكريا ومعاصروه يقفون على عتبة يوم جديد. وفي الأحداث الأساسية التي ستجري، يرى هذان الشيخان الدور الرئيس الذي يُعهَد به إليهما.

ونعلم أن الزيارة السماوية لم تكن ضربا من الأوهام. فزكريا المرتاب يصاب بالخَرَس لقلة إيمانه، وهذا ما سيحمل المؤمنين الحاضرين على الاعتقاد بأنه قد رأى رؤيا. وتحقيقا لوعد الملاك، حبلت أليصابات بولد. وفي تلك الغضون، جرت تدخلات أخرى أروع من الأولى: ظهر الملاك جبرائيل من جديد، ولكن هذه المرة، لشابة تبدو دون حسب ونسب يلفتان النظر. ويعلن الملاك أن الله قد اختارها لتلد ابنا دُعي ليكون وريثا لعرش داود، وليملك على بيت يعقوب أبد الدهور. ويقول لها: إن هذا الصبي سيولد دون تدخل أب بشري، لأن الحبل به سيكون من عمل العليّ ذاته، ولذا فإن المولود سيُدعى بحق "ابن الله". ذلك ان الله شرع يحقق وعوده القديمة. وهكذا سيكون زكريا وأليصابات ومريم أداتَي التغييرات التي ستبدل مجرى التاريخ.

فمن جوانب كثيرة، تبدأ قصة يسوع، المسيح وابن الله، بحسب ما كان ينتظره قراء العالم الإغريقي-الروماني. وما أكثر القصص التي تدور حول ولادات

Благовѣщеніе
пресв. Бцы

عجيبة لأبطال وملوك، وحتى فلاسفة. فسواء قُصَّت طريقة الحبل به العجيبة (من بين أساطير كثيرة، كانوا ينسبون إلى أفلاطون والاسكندر الكبير وأوغسطس ميلادا ناتجا من اتحاد إله وامرأة من البشر)، أم قُصَّ الطالع السعيد وراء ميلاد المخلص العتيد، فإن الروايات الدائرة حول طفولته تشهد لطبيعة الطفل الاستثنائية. وعلى سبيل المثال، هي ذي بعض القصص المختارة بين الأساطير المتعلقة بـ "مخلِّصَين" شهيرين في الأزمنة القديمة، وهما الاسكندر وأوغسطس:

كان الاسكندر ينحدر، من جهة الأب، من هرقل بواسطة كارانوس. ومن جهة الأم، كان ينحدر من إيكوس بواسطة نيوبتوليموس.

رأت الخطيبة (أم الاسكندر) رؤية، قبل ليلة اقترانها بزوجها العتيد، في غرفة الخدر: حدث قصف رعد، وانقضّت الصاعقة على أحشائها، وفجّر البرق نارا كبيرة انتشر لهبها إلى جميع الجهات، ثم انطفأت. وفي وقت لاحق، بعد الزواج، رأى فيلبس (والد الاسكندر)، هو أيضاً، رؤية: كان يضع ختما على ثدي زوجته نُقش عليه، كما خيل له، شكل على صورة أسد...

وفي كتاب أسكليبياس المندي المعنون "تيولوغومينون" (Theologoumenon) قرأتُ الأسطورة التالية: حينما ذهبت "أتيا" (والدة أوغسطس) في منتصف الليل، لتحضر الاحتفال المقام لإكرام الإله أبولو، فما أن وضعت محفّتها في المعبد ونامت النساء الأخريات...، حتى استسلمت هي أيضاً إلى الرقاد. فانسلَّ ثعبان إليها، ثم ابتعد عنها بعد فترة وجيزة. ولدى استيقاظها، اغتسلت وكأنها تخرج من الفراش الزوجي، وفي الحال ظهرت على جسمها علامة ملوّنة على شكل ثعبان لم تفلح في إزالتها قط... فوُلد أوغسطس في الشهر العاشر بعد هذا الحادث، واعتُبر لذلك بمثابة ابن أبولو.

و"أتيا" ذاتها، قبل الولادة، حلمت أن ثديها ارتفع حتى النجوم وكاد يغطي الأرض والسماء قاطبة. وحلم أبوه أكتافيوس أن نور الشمس كان يتدفق من ثدي أتيا. وبينما كان أكتافيوس يقود جيشا في مناطق مجهولة من تراقية، في أجمة "ليبر الأب"، عكف، بطقوس غريبة، على استشارة بشأن ابنه. فأكَّدَ له الكهان مُلك

أوغسطس العتيد، إذ رأوا، لدى سكب الخمر على المذبح، أن لهيبا شرع يتـــدفق ويرتفع بحيث تجاوز سقف المعبد وارتفع نحو السماء. ولا يُعرف فأل مماثـــل، إلا حينما قدّم الاسكندر الكبير ضحية على هذا المذبح عينه.

ان أوجه الشبه، عند لوقا، تمتد حتى إلى التعابير. فعلى مثـــال الاســـكندر وأوغسطس وقياصرة آخرين، يدعى يسوع "**مخلصا**" وابن الله أيضاً. والفـــصول الأولى من الإنجيل مليئة بظهورات مدهشة و ببلاغات مثيرة تنقلها خلائق سماوية. فثمة شيخان ينجبان ولدا، وعذراء تلد ابنا، وفرقة من الملائكة تقدّم للرعاة تسلية عذبة، وأناس بسطاء يتنبأون تحت تأثير الروح: زكريا وأليصابات ومريم وسمعان. والطفلان، يوحنا ويسوع، المولودان بتدخل من السماء، ليسا من جبلـــة البـــشر الاعتياديين. فمن جراء ميلادهما، لن يكون العالم كما كان مـــن قبـــل. وتجـــدر الملاحظة، والحالة هذه، إلى تفاهة الأدوار التي يقوم بهـــا، في هـــذه الأحـــداث، الأشخاص من المنزلة الأولى، على الصعيدين السياسي والديني. ليس لأن المؤلـــف يتجاهل حضورهم: فهيرودس هو ملك اليهودية، وقيرينوس هو حاكم ســـوريا، وأوغسطس هو الجالس على عرش روما. غير ان القصة لا تتعلق بهم، أقله الآن. أما القائمون بالأدوار الكبيرة، فهم أناس بسطاء: كاهن اعتيادي وامرأتـــه العجـــوز، شابة من الريف ويهودي اسمه يوسف، كان عليه الآن، مثل جميع المتحدرين مـــن سلالة الملك العظيم داود، أن ينحني أمام إرادة قيصر ويدفع الضرائب، إلى جانب رعاة هم من الفئة الاجتماعية المحتقرة في المجتمع اليهودي، وشيخ (سمعان) وأرملـــة عجوز (حنة النبية). أما الملوك ورؤساء الكهنة، فليس لهم أي دور.

ويجري ميلاد يسوع بخفاء، في عالم منشغل تماما بشؤونه الخاصـــة. وفي الواقع يجري هذا الحدث في مذود، إذ لم يكن ثمة موضع آخر. بعدئذ سيلتقي دربُ الملك الشاب دربَ الحكام والسلطات الدينية، ولكن مكانه الآن هو بين صـــغار القوم.

ونجد قصص ولادات مدهشة مشتركة، لدى اليهود وفي التقليد الإغريقي الروماني. وإذا كان اليهود لا يتكلمون البتة عن علاقات جنسية بين إلههم وبـــين

النساء البشريات، إلا انه يطيب لهم، مع ذلك، أن يذكروا التدخل الإلهي في الحبل ببعض الأولاد.

يروي لنا سفر التكوين كيف ينجز الله وعده، إذ يعطي إبراهيم وسارة ابنا. لقد جرى الحبل باسحق حين لم يكن الزوجان، منذ زمان طويل، يتوقعان بعد أن يكون لهما ولد، لذا استُقبل ميلاده بمثابة هبة من الله. وفي قصة غنية بعناصر متوازية مع ميلاد يوحنا ويسوع، يروي لنا كاتب سفر صموئيل الأول الميلاد العجيب لابن حنة. انها، بعد أن حبلت بولد استجابة لصلاتها، ترفع نشيد تسبيح لله، وهو قريب جداً من أنشودة مريم (١ صموئيل ٢: ١-١٠ = لوقا ١: ٤٦-٥٥):

وصلّت حنة فقالت:
ابتهج قلبي بالرب
وارتفع رأسي بالرب
واتسع فمي على أعدائي
لأني قد فرحت بخلاصك.

لا قدوس مثل الرب
لأنه ليس أحد سواك
وليس صخرة كإلهنا.

لا تكثروا من كلام التشامخ
ولا تخرج وقاحة من أفواهكم
لأن الرب إله عليم
وازن الأعمال.

كُسرت قسيُّ المقتدرين
وتسربل المتعثرون بالقوة.
الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز

والجياع كفّوا عن العمل
حتى إن العاقر ولدت سبعة
والكثيرة البنين ذبلت.

الرب يُميت ويُحيي
يُحدر إلى مثوى الأموات ويُصعِد منه.
الرب يُفقر ويُغني
يَضع ويَرفع.

يُنهض المسكينَ عن التراب
يُقيم الفقيرَ من المزبلة
ليُجلسه مع العظماء
ويورثه عرشَ المجد
لأن للرب أعمدة الأرض
وقد وضع عليها الدنيا.

يحفظ أقدامَ أصفيائه
والأشرار في الظلام يزولون
لأن لا يغلب إنسان بقوته.

مخاصمو الرب ينكسرون
وعلى كل منهم يرعد من السماء.
الرب يدين أقاصي الأرض
يهب عزةً لملكه
ويرفع رأس مسيحه"
(١ صموئيل ٢: ١-١٠)

يرى معظم شرّاح الكتاب المقدس أن الأنشودة المنسوبة إلى حنة تأتي من موضع آخر. وإدخالها في القصة قد يكون من عمل راوية رأى في خبرة هذه المرأة

الاعتيادية حدسا عن عمل الله وتصميمه. وتقوم الانشودات والتدفقات النبوية، لدى مختلف الشخصيات، من رواية لوقا، بالدور ذاته. إنها مكيّفة مع الحالة، في الوقت الذي تقدم فيه شرحا منذرا ببعض الأحداث المقبلة، و تربطها في الوقت نفسه بالماضي وبالدوافع المألوفة لماضي الشعب اليهودي. وتزودنا الانشودات بإطار من الشرح يمكن، من خلاله، أن يتوضّح مجمل التاريخ. أما اننا لا نلقاها إلا عند لوقا، فهذا أمر يوليها المزيد من المعنى الذي يسهم في شرح إنجيله.

أنشودة مريم (لوقا ١: ٤٦-٥٥)

إن القصيدة التي أُطلق عليها اسم "**تعظم الرب نفسي**"، بالنظر إلى اللفظة التي تتصدّرها، مكوَّنة من تذكيرات بمزامير العهد القديم، في تركيبها كما في اختيار مفرداتها. وان مقارنتها مع نشيد حنة الوارد في السفر الأول من سفر صموئيل تسترعي الانتباه بنوع خاص. فكلا النصين يواجهان عطية ابن يمنحه الله لامرأة اعتيادية، كعلامة لاهتمامه الخاص بالفقراء والمتواضعين. فالله، بحسب حنة، "ينهض المسكين عن التراب"، وبحسب مريم "يشبع الجياع من الخيرات". وتنشد حنة قائلة: "كُسرت قسيُّ المقتدرين"، وتردد مريم الصدى وتقول: إن الله "خلع الأقوياءَ عن العروش". والاستعمال الدائم للماضي في أنشودة مريم قد يرمي إلى جعل ما تنطوي عليه اللغة اليونانية غامضا: فعلى مثال الأنبياء القدامى، تستطيع مريم أن تتكلم عن مستقبل قد بدأ من الآن، بما أن الحبل بيسوع قد تحقق. وليست أنشودتها مجرد تكرار لما صنعه الله، بل بالتأكيد استباقا لما سيصنعه. فيقين مريم هو من القوة بحيث تستطيع أن تتكلم عن أحداث عتيدة وكأنها قد تحققت. فإن الله الذي اختار مريم وحنة، هو إله وقف دوما إلى جانب الصغار والمظلومين. ولقد تشكى الأنبياء بانتظام، باسم الله، عن الطريقة المؤسفة التي كان يُعامَل بها الأيتام والأرامل والفقراء والضعفاء. لكن الله لا يترك العالم وشأنه. فحسب الأنبياء وحسب مريم، فان الله "خلع الأقوياءَ عن العروش ورفع الوضعاء"، كما انه "صرف الأغنياءَ فارغين". ذلك إن الله يقلب القيم الراهنة لصالح الحقيقة وللدفاع عن

المحتَقرين. فليس من قبيل المصادفة إذا كانت لائحة القائمين بالأدوار تتضمن أناسا بسطاء: إن مجرد حضورهم يشعرنا بأوجه هامة من رسالة يسوع.

وهكذا تهيّؤنا هذه الفصول لرسالة يسوع. ذلك ان اهتمامه الملحوظ بأحقر الناس، وخلافه مع الحائزين على حقوق مكتَسَبة يتفقان تماما مع طرق الله، كما يفهمها لوقا. وتشجب أمثاله ذلك الانسان عديم الشفقة وذاك الجشِع، وتفتح لضحاياهما منظورا تنقلب فيه الأوضاع في العالم العتيد. ومثل هذه المواضيع تقودنا إلى تصويب أنظارنا إلى هذا الاتجاه: كيف ومتى سيستحوذ الملك الشاب على السلطة ويوطِّد ملكه؟ وهل سيخزي الحاكمين والكهنة؟ وهل سيخلع السلاطين عن عروشهم؟

وهناك في أنشودة مريم سمة أخرى جديرة بالاهتمام: التحقيق المسبق للوعد بالنجاة الذي قطعه الله، نراه يدخل بوضوح ضمن تقليد إسرائيل. فالأنشودة ذاتها هي تذكير بالأناشيد التي وردت في العهد القديم، ولغتها هي لغة "كتابية". فمريم تعظّم الله الذي "نصر عبدَه إسرائيل، ذاكرا، كما قال لآبائنا، رحمته لإبراهيم وذريته إلى الأبد". فليس ميلاد يسوع وحياته ومهمته أحداثا معزولة أو طارئة، بل تتناسب مع أماني الأجيال، ومع الوعود التي قطعها الله لإبراهيم أبي الأمة.

وستكون قصة لوقا منسوجة من استمراريات ومن مفاجآت، من اعادة نظام ومن دينونة.

وهكذا تقدّم أنشودة مريم أجوبة تمهيدية لبعض من أسئلتنا المتعلقة بالمؤلّف الذي تركه لنا لوقا: فقد بدأت قصة يسوع ويوحنا، منذ زمان طويل، بوعود إلهية. وتشكل قصة يسوع ويوحنا جزءا من تاريخ إسرائيل، شعب الله.

نشيد زكريا (لوقا ١: ٦٨-٧٩)

يتضمن النشيد الذي أعلنه الكاهن، تحت تأثير الروح، مزيداً من الإلحاح على مفهوم الاستمرارية في تاريخ وعد الله. ويتناسب النشيد ذاته مع الصيغة

التقليدية للبركة، وهي جزء مكوِّن للرتبة الدينية عند اليهود. فيُحمد الله على أنه "أقام لنا مخلصا قديرا في بيت عبده داود" (وهذه إحالة إلى يسوع المخلص). وتتناسب الأحداث التي يقوم فيها زكريا بدوره، مع ما "قاله الله بلسان أنبيائه الأطهار في الزمن القديم"، ومع ما كان قد وعد به لآبائنا.

يعمل الله لكي يذكِّر "بعهده المقدس، بالقسَم الذي أقسمه لأبينا إبراهيم". وستعود القصة إلى هذا الموضوع مرارا عديدة. والخطابات الواردة في سفر أعمال الرسل ستعلن عن تحقيق النبؤات والوعود التي أبلغها الله. وسينتهي آخر خطاب ألقاه بولس على يهود روما بمرجع من النبي إشعيا. وتدور رواية لوقا، من أولها إلى آخرها، حول أمانة الله للوعود التي قطعها لإسرائيل. إلا ان هذا الخلاص الذي سيحققه الله، بوساطة يسوع المسيح المخلص، لا يوصف بالتفصيل. وننـدهش أحيانا من المكانة الضئيلة المعطاة لبعض عناصر تعود إلى أحلام إسرائيل المستقبلية. فإن الوعود التي قطعها الله، مثلا، لإبراهيم، في سفر التكوين، تتضمن إحالة إلى البلاد التي سيمتلكها أبناء إبراهيم وورثته، وإلى نسله الذي سيكون عديدا مثل نجوم السماء. وخلال عهود العبودية، كان كثير من اليهود يعيشون في انتظار اليوم الذي فيه ستعود إليهم هذه "الأرض الموعودة".

وحسب زكريا، كان القَسَم الذي أقسمه الله لإبراهيم أكثر دقة:

"(أقسم...) بان ينعم علينا
أن ننجو من أيدي أعدائنا
فنعبده غير خائفين، بالتقوى والبر
وعينه علينا، طوال أيام حياتنا"
(لوقا ١: ٧٤-٧٥)

من الأفضل أن نترجم كلمة "نخدمه" بكلمة "نسجد له". وان للقسَم رنّة طقسية، ولا عجب في ذلك على لسان كاهن. فالوعد، وقد أوشك الآن أن يتم، هو وعد بعبادة تقام لله دون عائق ... وهل كان مثل تلك العبادة آنذاك؟ فالهيكل الذي دمّر سنة ٥٨٧ ق. م. أُعيد بناؤه، وبعدئذ أعاد إليه هيرودس الكبير شيئا من

بهائه الأصلي. أما كان بوسع الناس أن يعتبروا بناءه الجديد وإعادة تقديسه واكتماله تحقيقا لمثل هذا الوعد؟ ومن هم "أعداؤنا"؟ من البديهي أن الرومان هم المعنيون. ومع ذلك، وعلى مدى تدرج المأساة (الدراما)، يبْدو دور الرومان ضئيلا؛ وسيكون موظفو الهيكل هم الذين يلقون القبض على يسوع وبطرس ويوحنا واسطيفانس، وأخيرا على بولس. وسيرى رؤساء الكهنة أن تعاليم يسوع وأنصاره هي خطرة. فهل يكونون هم أولئك "الأعداء"؟

إن التاريخ الذي يفتتح بالرؤيا في الهيكل سيبلغ إلى أقاصي الأرض. وعلى الهيكل ومدينة أورشليم أن يقوما فيه بدور مركزي. ولكننا لا نرى بوضوح، في صدد هذه النقطة، على أي شيء يتوقف هذا الدور. فإن نبوءة زكريا تطرح سؤالا يتعلق بالعبادة وبالهيكل. وقد تُستخدَم أيضاً لتصحيح اتجاه التوقعات. فهي لا تتكلم عن امتلاك الأرض، وعما تُسفر عنه إمبراطورية الملك؛ وبالكاد تذكر صورا عن بهاء داود وسليمان. وإذا عكست استمرارية مع التقليد، فهي تحتفظ أيضاً بمفاجآت.

قول سمعان (لوقا ٢: ٢٩-٣٥)

سمعان هو الذي ينشد الأنشودة الأخيرة. وكان سمعان "رجلا بارا تقيا ينتظر الفرج لإسرائيل". وقد وُعد بأنه لن يرى الموت قبل أن يعاين مسيح الرب. ولدى مشاهدة الطفل يسوع في الهيكل، شرع يبارك الله، كما فعل قبله زكريا. وتضاف شهادته إلى شهادة الرسول السماوي: يسوع هو المخلص الموعود به. ولكنه يضيف عنصرا جديدا: سيكون هذا الخلاص "للشعوب كلها". ذلك ان يسوع سيكون نورا ينجلي للوثنيين ومجدا لإسرائيل. ففي رواية تضع النبرة بإلحاح على أمانة الله تجاه إسرائيل، يمثل قبول الوثنيين تجديدا حقيقيا. من الطبيعي أن تكون التعابير التي ترد على لسان سمعان، في نشيده، مستقاة من الكتاب المقدس (خاصة من اشعيا ٥٢: ١٠، ٤٢: ٦، ٤٩: ٦). لا بل، ان خلاص الوثنيين ذاته يدخل ضمن التراث النبوي لإسرائيل. ويستبق هذا المقطع الوجيز ما سيقوله سفر أعمال الرسل كيف بلغ هذا الخلاص إلى أقاصي الأرض[٧].

ويُدخل سمعان عنصرا آخر في الرواية، مع النبوءة الوجيزة التي يوجهها إلى مريم. ذلك ان ليس الجميع يرحبون بمجيء مخلص إسرائيل: إذ ان رسالته لن تفرض ذاتها على الجميع. فبوسعه أن يجلب الفرج لإسرائيل، ولكنه قد "جُعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل". وسيعجّل مجيئه أزمة تنكشف خلالها الأفكار عن قلوب كثيرة. وتهتم النبوءة بالأكثر في ابراز تأثير يسوع على الذين هم في الداخل، أكثر مما على مَن هم في الخارج. وسيكون مجيئه مصدر انقسام في شعب الله ذاته، إذ يثير يهوديا على آخر. والتبدلات التي سيجريها الله -وقد أعلنتها مريم- ستحدث في الشعب المختار. و"الأعداء" الذين سينقذ الله منهم، قد يكونون أعداء في حضن العائلة. إلا ان هناك شيئا يبدو واضحا: لن يظل العالم يجهل يسوع مدة طويلة. ولكن لا بدّ من خلافات.

وتزودنا فصول المقدمة بتلميحات إلى ما سيحدث، كما أنها تثير العديد من التساؤلات.

وفي بحر هذا الكتاب، سنعكف على المؤشرات، وسنبحث عن أجوبة على بعض من هذه التساؤلات.

هوامش الفصل الأول

(١) في مقدمة هؤلاء المفسرين يأتي هانس كونزلمان الذي، في دراسته الشهيرة عن لوقا، يصرح بأنه طالما ان اصالة هذين الفصلين الاولين هي موضوع شك، لذا فهو لم يقم وزنا للمعطيات التي تتعلق بهما:

- Hans CONZELMANN, "The Theology of St. Luke" (New York, Harper and Row ١٩٦٠) ص ١١٧

(٢) انظر المحاولة ذات الايحاء بقلم بول مينيار:

- Paul MINEAR, "Luke's Use of Birth Stories", in Studies in Luke-Acts, ص ١١١-١٣٠

(٣) فلافيوس يوسيفوس، السيرة، ضد افيون

(٤) المعلومات المتعلقة باستخدام الخطابات في المؤلفات التاريخية قد أعدّها مارتن ديبيليوس وهنري كادبوري

- Martin DIBELIUS, "The Speeches in Acts of the Apostles", ص ١٣٨-١٨٥
- H. J. CADBURY, "The Speeches in Acts" in The Beginning of Christianity, éd. F. J. Foakes Jackson and Kirsopp Lake (London, Macmillan, ١٩٢٠-١٩٣٣) ٥, ص ٤٠١-٤٢٧

(٥) هذه النقطة ناقشها كادبوري في "The Making of Luke-Acts". ص ٣٤٤-٣٤٨ وص ٣٥٨-٣٥٩

(٦) لمناقشة معمقة حول مسألة المصادر، انظر:

- FITZMYER, Luke, ص ٦٣-١٠٦

(٧) لمناقشة جادة بشأن قول سمعان ومعناه النبوي انظر:

- David TIEDE, "Prophecy and History in Luke-Acts" (Philadelphie, Fortress, ١٩٨٠) ص ٢٤-٣١

٢

الفصل الثاني

مخلص هو المسيح الرب

إذا كان مجمل "لوقا-الأعمال" يستهدف وحدة أدبية، إلا أن التمييز بين الكتاب الأول والآخر هام جدا.

فالكتاب الأول، الإنجيل، يروي لنا تحقيق الوعد بمخلص لإسرائيل، عبر رسالة يسوع.

والكتاب الثاني، الأعمال، يروي لنا انتشار هذه البشرى إلى أقاصي العالم. فينبغي، إذن، فحص كل جزء على حدة، مع الاعتراف بتبعيتهما المتبادلة.

المسحة

يُقدَّم يسوع، ابن مريم، بمثابة شاب زاخر بالوعود. وبالرغم من أن ميلاده جرى بصورة بعيدة عن الاضواء، إلا أن بعض النفوس التقية قد تلقت في الأقل بعض النور بشأن الأحداث المقبلة. وحتى إذا كان الراوية لا يوحي بأن طفولة يسوع كانت خارقة، فإننا نلقى في الأقل إستباقا للأحداث القادمة.

لقد قدّم يسوع، على غرار النبي صموئيل، شهادة عن معنى لدعوته، لم يكن مألوفاً، في سنّه. فلم يكن له سوى اثنتي عشرة سنة حينما أدرك أن على الهيكل أن يقوم بدور رئيس في حياته. ولما لاحظ أبواه غيابه عن فريق الحجّاج العائدين من أعياد الفصح في أورشليم، عادا أدراجهما. وإذا بهما يجدان ابنهما في الهيكل، منهمكا بكل بساطة، في الجدالات الدينية مع علماء الناموس:

"فقال لهما (يسوع): لِمَ بحثتما عني؟ ألم تعلما أنه يجب عليَّ أن أكون عند أبي؟" (لوقا ٢: ٤٩).

ولا نعلم شيئا آخر عنه قبل أن نجده بالغا؛ إذ ذاك يجري ظهوره من جديد بنوع مدهش. فإن ذاك المُعَدّ ليحكم إسرائيل يخضع لعماذ التوبة، ليحصل على غفران الخطايا. إلا ان هذه الرواية التي تدهشنا، بقلة تفاصيلها، طرَحت معضلات على البعض.

فرواية مرقس (١: ٩-١١) لا تسعى قط الى تقليص الطابع المذهل الذي اتسمت به رغبة يسوع في التمثل بالخاطئين الاعتياديين.

أما متى، فيدخل هنا حوارا قصيرا جرى بين يوحنا ويسوع، فيه يحتجّ يوحنا على كونه غير مؤهل لمنح العماذ ليسوع. الا ان جواب يسوع، إذا لم يقدّم شرحا، فهو يؤكد ليوحنا -وللقارئ- أن العماذ ضروري:

"دعني الآن وما أريد، فهكذا يحسن أن نُتمّ كل بر" (متى ٣: ١٥).

لا يذكر لوقا هذا الحوار في روايته لعماذ يسوع -وهو لا يذكر في الواقع يوحنا بالاسم بصفة المعمذان- ويروي حادث سجن يوحنا (٣: ١٩-٢٠) قبل عماذ يسوع (٣: ٢١-٢٢). فدور يوحنا هو دور إعدادي ليس إلا: وما إن يدخل يسوع إلى مسرح الأحداث، حتى يُتمّ يوحنا خروجه، وسيكون ظهوره من جديد (٧: ١٨-٣٥) كشاهد ليسوع.

ونعتقد أن قصة عماذ يسوع، على يد يوحنا، ترتكز على حدث تاريخي، وإن كانت المعلومات ضئيلة بهذا الشأن. ذلك انه لا يتسنى لنا أن نعرف أفكار يسوع في هذه النقطة، وليس هناك ما هو من قبيل تهيئة نفسية. وحينما يلجأ الروائيون إلى هذه القصة ليشيروا إلى يقظة الوعي لدى يسوع، بدوره المشيحي، فهم إنما ينقادون إلى مخيلتهم.

إن هذه القصة هامة، لا للضوء الذي تسلطه على الإدراك الخاص لدى يسوع عن ذاته، ولا حتى لتأثيرها في يوحنا أو في الجموع. إن هذا المشهد هو

ذو ايحاء، لأنه يزوّد القارئ بخبر هام يخص شخص يسوع، ولكنه خبر لا يستوعبه إلا الذين ألفوا التقليد اليهودي.

ونجد مفتاح شرح هذا المشهد في الكلمات الآتية من السماء: "أنت ابني الحبيب، عنك رضيتُ!" ذلك ان مقطعين من الكتاب المقدس يكمنان خلف هذه الأقوال الإلهية. المقطع الأول ورد في اشعيا ٤٢: ١:

"هوذا عبدي الذي أعضده،
مختاري الذي رضيتْ عنه نفسي.
قد جعلتُ روحي عليه،
هو يبدي الحق للأمم!"

إن اختيارا يجريه الروح، هو موضوع مألوف في الروايات التي تدور حول دعوة نبي ما. وفي لوقا، ليس العبد نبيا حسب. فان هويته موضَّحة في صورة كتابية أخرى مُستمَدّة، هذه المرة، من المزمور ٢: ٧:

"أعلن حكم الرب،
قال لي: أنت ابني،
أنا اليوم ولدتك!"

فهذه الآية من المزمور، وهي مأخوذة عن رتبة قديمة لتتويج الملك، يقولها الله، الآن، في عماذ يسوع.

ويشير المزمور إلى الملك بصفته ذاك الذي "مسحه الله" (مشيح في العبرية و"كريستوس" في اليونانية). و يعلن الله في هذا المشهد أن يسوع هو الملك المنتظَر، ويُؤوَّل نزول الروح على يسوع بمثابة المسحة التي تؤهله للقيام بمهمة. وقد أتت قصة افتتاح حياة يسوع العلنية، في مجمع الناصرة، في هذا النهج: فبوساطة صورة تقليدية، مستمدة من الكتاب المقدس، يؤوَّل عماذه بمثابة تكريسه.

لكن هناك مرحلة نهائية ضرورية في تهيئة يسوع، قبل أن يبدأ رسالته. كان عليه، مثل موسى، أن يمضي فترة من الاختبار في البرية. وفي نضاله المنفرد ضد الشيطان، ينبذ يسوع عرضا رخيصا للأعاجيب، كما يرفض استخدام قوة سياسية

كوسيلة للبلوغ إلى هدفه (لوقا ٤: ١-١٣). وهنا يبرهن عن السلطة التي يمارسها على الشيطان، هذه السلطة التي تشهد لها التعزيمات التي قام بها، هو وتلاميذه. إلا أن الخاتمة المقلقة لمشهد التجربة، تفهمنا أن الأمر إنما يتوقف على هدنة:

"فلما أنهى إبليس جميع ما عنده من تجربة،
انصرف عنه إلى أن يحين الوقت" (لوقا ٤: ١٣)

على هذه النبرة غير المُطَمئنة، يبدأ يسوع رسالته العلنية.

ويتعمّد لوقا ألاّ يبدأ روايته من البداية. ففي إنجيله، يجري الافتتاح الرسمي لرسالة يسوع، في مجمع الناصرة، وهذا المشهد يفترض حتما شهرة مكّنت يسوع من أن يعلّم وأن يشفي. والمشهد الذي يُقَدَّم، بفن، يزودنا بتأويل أولي لرسالة يسوع، ويوحي بما سيجري. أما مرقس، فيبدأ بمشهد إخراج شيطان، ومتى بالخطبة على الجبل. اما لوقا، فيختار مدينة يسوع ذاتها لكي يقدم لنا تجلياته الأولى.

الافتتاح: الكرازة في الناصرة

(لوقا ٤: ١٦-٣٠ = مرقس ٦: ١-٦، متى ١٣: ٥٣-٥٨)

يُقسم المشهد، بسهولة، إلى قسمين:

في **الأول** (لوقا ٤: ١٦-٢٢أ) يتحدد دور يسوع بأنه ينهض ويفتح ويقرأ ويقدّم شرحا بسيطا لمقطع من الكتاب المقدس: "اليوم تمت هذه الآية بمسمع منكم" (لوقا ٤: ٢١).

وفي **الثاني** (لوقا ٤: ٢٢ب-٣٠) يصبح دور يسوع أشدّ تهجما: فإذ يميّز يسوع تحديا في دهشة مستمعيه، يردّ عليه بتقديم شرح أوسع لهذا المقطع من اشعيا الذي يرتكز على نصوص أخرى من الكتاب المقدس (١ ملوك و٢ ملوك).

في القسم الأول، يبدو الجمع مهتما وعلى أتمّ الاستعداد تجاه يسوع. وفي القسم الثاني، يقاوم هذا الجمع عينه تعليم يسوع بعنف، ويحاول إلقاء يسوع عن طرف الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه. وتتوقف مهمتنا على السعي الى فهم

الارتباط الذي يوحد بين المشهدين والطريقة التي بها يُستخدم المشهد، في مجمله، ليكون مقدمة لرسالة يسوع عند لوقا[1].

يزودنا مقطع الكتاب المقدس الذي قرأه يسوع بالموضوع المركزي للقصة:

"روح السيد الرب عليَّ
لأن الرب مسحني
وأرسلني لأبشر الفقراء وأجبر منكسري القلوب
وأنادي بإفراج عن المسبيين
وبتخلية للمأسورين
لأعلن سنة رضا عند الرب..."
(اشعيا ٦١: ١-٢أ)

ونلاحظ عند لوقا تغييرا في السرد، إذ يدخل فيه سطرا آخر من سفر اشعيا (٥٨: ٦): **"وإطلاق المسجونين أحرارا"**.

في اشعيا (٦١)، يعلن النبي عن فجر يوم آخر منتظر منذ زمان طويل: عودة السنة اليوبيلية (أحبار ٢٥: ١٠)، "سنة رضا عند الرب"، وهو موسم إلغاء الديون وعودة اليهود إلى تراث أسلافهم. ويتبنى يسوع الرسالة النبوية، جاعلا منها موضوع الرسالة التي يمارسها، بصفته مسيح الله. وتشير كلمة "اليوم" إلى تحقيق الرجاء القديم، فيما يعرض المقطع، بالتفصيل، مهمة ذاك الذي تلقّى مسحة الروح القدس. فيسوع يوجه كرازته، بالاحرى، إلى الفقراء والمظلومين. ولكن دوره لن يقتصر على الإعلان عن التحرير. فهو ذاته سيحرر الذين هم أسرى الشيطان وأعوانه؛ وكذلك الذين هم فريسة الأمراض. ونجد الدافع إلى ذلك في سفر الأعمال، وكأنه موجز لمهمة يسوع:

"أنتم تعلمون... كيف أن الله مسحه بالروح القدس والقدرة، فمضى من مكان إلى آخر يعلن الخير ويبرئ جميع الذين استولى عليهم إبليس، لأن الله كان معه" (أعمال الرسل ١٠: ٣٦-٣٨).

وتصبح المواضيع حيوية في الروايات المتعلقة بيسوع. ففي الرواية التالية، نراه يأكل "مع الخطأة والعشارين"، ويشفي المرضى ويطرد الشياطين ويقيم الأموات أيضاً. وحينما يرسل يوحنا المعمذان، من سجنه، اثنين من تلاميذه ليعلم هل كان يسوع هو ذاك الذي انتظروا مجيئه (لوقا ٧: ٢٠)، يجيبه يسوع:

"اذهبا فأخبرا بما سمعتما ورأيتما: العميان يبصرون، العرج يمشون مشيا سويا، البرص يبرأون، والصم يسمعون، الموتى يقومون، الفقراء يبشَّرون. وطوبى لمن لا أكون له حجر عثرة" (لوقا ٧: ٢٢-٢٣).

وتوضح رسالة يسوع إلى يوحنا ما كان منطويا في النقل: فإن اقوال اشعيا تلقى تحقيقها في مهمة ذاك الذي تلقّى من الله مسحة الروح القدس. ذلك ان مهمة يسوع تتطابق مع الكتب المقدسة.

وحينما يفترض يسوع بأن بعض الناس قد يستاؤون منه، يلجأ إلى موضوع آخر مألوف. وغني عن القول ان مهمته لن تتكون من نجاحات دون عائق. ففي نهاية المشهد الافتتاحي في مجمع الناصرة، يُبدي مستمعو يسوع عزمهم على قتله -ويشير الاستشهاد بالكتاب المقدس إلى هذا الخلاف. فالآية المستمدة من اشعيا (٥٨)، مثلا، مأخوذة من قول نبوي يعلن الحكم الصادر على إسرائيل، لكونه أعطى الأولوية للاحتفالات الطقسية اكثر من الطاعة الأصيلة للشريعة التي تدعو إلى الاهتمام بالفقير والمظلوم (اشعيا ٥٨: ٦-٧). قد يكون من الإفراط في الدقة ان ندّعي بأن سطرا واحدا من اشعيا يكفي للتذكير بمجمل القول النبوي. ولكن من الصعب أن تخفى الموازاة بين مهمة اشعيا ومهمة يسوع.

ليست رسالة يسوع كتابية المنحى، لمجرد أنه يكرز ويشفي، بل لأنها تنطوي أيضاً على توترات شبيهة بتلك التي اختبرها أنبياء إسرائيل. فمثل معظم مبعوثي الله، يصطدم يسوع بالمعارضة. ورسالته -كما أنبأ بها سمعان- "قد جُعلت لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل"، وسيكون هو ذاته "آية معرضة للرفض" (لوقا ٢: ٣٤).

و تزودنا التعليقات الصادرة عن الجمع، في لوقا (٤: ٢٢)، بفترة انتقالية بين النصف الأول والثاني من المشهد. فإن ردة الفعل الأولى، لدى المؤمنين المجتمعين في المجمع، تبدو إيجابية. إلا أن اللفظة اليونانية "ايثومازون" (ethaumazon) توحي بالدهشة والتعجب معا:

"وكانوا يشهدون له بأجمعهم، ويعجبون من كلام النعمة الذي يخرج من فمه" (لوقا ٤: ٢٢).

وعلى حين غرة، تتبدل النبرة الودية، في أعقاب جواب يسوع: **"لا شك أنكم تقولون لي... الحق أقول لكم..."** (لوقا ٤: ٢٣-٢٤).

لقد استشف يسوع تحديا في ردة فعل الجمهور تجاهه، في حين أنها كانت، شكلياً في الأقل، مؤيدة له... فهل تكمن المعضلة في اندهاش الجمع امام فصاحة يسوح الممتازة؟ أو لأنهم يعتبرونه ابن يوسف النجار؟ أو أن يسوع يتكهن بارتياب غير معلن؟ لا ينجدنا المؤلف في الحصول على جواب الى هذه التساؤلات. فلا يقال لنا لماذا يتوقع يسوع عدوانا، مع أن سمعان كان قد أعلن عنه. ومع ذلك بينما يتواصل المشهد، نعي تدريجيا بأن نظرة يسوع إلى الأمور كانت صحيحة. وكان العداء وشيكا جدا.

إن شهرة يسوع الشافي كانت قد سبقته إلى المدينة التي فيها نشأ وتربى. وهو يتكهن بأن جيرانه سيجعلون هذه الشهرة موضوع تحدٍّ. ولكنه لا يتوخى التأثير فيهم بأعاجيبه. وإذ يسرد قولا مأثورا، يتنبأ بأنه لن يتلقى الاعتبار لدى ذويه.

وعوض أن يجري لهم معجزات، يحيلهم إلى اثنين من أعظم الأنبياء في إسرائيل، هما إيليا وأليشع اللذان أُرسلا إلى "الغرباء" (٤: ٢٥-٢٧). وجميع الذين ألفوا القصص الكتابية، يعلمون أن كلا النبيين لقيا، في شعبهما، موقفا معاديا، وبالأخص إيليا الذي اضطر إلى الهرب أمام التهديدات بالموت التي تعرّض لها. إن تذكير يسوع بالأحداث المستقاة من سفري الملوك الأول والثاني يقدّم تفسيرا للمرجع الأسبق من اشعيا. فيسوع، مثل الأنبياء القدامى، هو ذاك الذي مسحه الله

لكي يحمل البشرى السارة إلى الفقراء، ويحرر المأسورين بنير العبودية. إلا أن رسالته لن تقتصر على "المختارين" وحدهم.

ومثل ايليا وأليشع، سيُرسَل يسوع إلى الذين هم في الخارج، إلى الخطأة وجباة الضرائب. وقد يأتي الوثنيون أنفسهم ليقاسموا البركات الممنوحة لإسرائيل. ومثل الأنبياء السابقين، سيلقى يسوع مقاومة في قلب العائلة. ويمكن توقّع العداء، بل "لابد منه"-وكثيرا ما يستخدم لوقا هذه العبارة. والأزمة التي سيثيرها يسوع في المجتمع اليهودي، ستكون موضوعا هاما في الرواية التالية. وكان سمعان قد تنبأ بأن "الأفكار ستنكشف عن قلوب كثيرة".

وهنا، علينا أن نكون حذرين. فالتقليد يجعل من لوقا الإنجيلي الوحيد الذي يتّسم بمنظور أكثر شمولاً، لأنه يروي كيف امتد الإنجيل إلى ما وراء الجماعة اليهودية، وبلغ الوثنيين. وهذا بالتأكيد، موضوع أساسي لروايته، خاصة في سفر أعمال الرسل. لكن هذا لا يفترض أن تكون الدعوة المسيحية مقطوعة عن جذورها اليهودية، أو أن يجري خلاص الوثنيين على حساب إسرائيل. فإن ما يتكهن به يسوع هنا، هو أن "الغرباء" ستكون لهم حصة في بركات إسرائيل. انه لا يقول إن إسرائيل سيُستبدل "بإسرائيل جديد"، مكون من مسيحيين منحدرين من الوثنية. فاننا لا نلقى في أي موضع من "لوقا-الأعمال" إحالة إلى انتباذ إسرائيل، وسيظل إسرائيل مختار الله: فالآلاف من اليهود، حتى في أورشليم، سيؤمنون بالإنجيل (أعمال الرسل ٢: ٣، ٢١: ٢٠).

وستثور معارضة ضد يسوع وتلاميذه داخل إسرائيل ذاته، كما يشير إلى ذلك مشهد البداية. إلا أن رسالة يسوع ستدور ضمن تقليد أنبياء إسرائيل. إذ ان للمعارضة ذاتها سوابق. وفي إسرائيل هناك من يدركون ذلك.

وبالرغم من هذا الإعداد، فإن عنف ردة الفعل لدى الجمع كان مزعجا. ذلك إن شدة معارضته للمفهوم الذي بموجبه تُمنَح نعمة الله للغرباء أولا، توحي بأن يسوع قد أصاب وترا حساسا. ومنذئذ تحددت خطوط الخيارات. لقد بدأ الانقسام داخل إسرائيل، كما تنبأ سمعان. وحتى إذا استطاع يسوع، مؤقتا، أن

يفلت من الموت، فلا يسعنا أن نتجاهل التساؤلات التالية: ماذا سيجري في وقت لاحق. وهل سيجد إبليس وقتا مناسبا؟ أو هل سيؤدي الأمر بأعدائه إلى اغتياله؟ لقد أُعْدِدْنا للعداء الذي سيكون يسوع ضحيته في وقت لاحق. كما أُعددنا أيضاً للجدال الحالي الذي سيدور، في سفر الأعمال، حول قضية قبول الوثنيين (أعمال الرسل ١٠، ١١ و١٥). ولن نفاجأ بالعنف الذي سيلاقيه المتحررون، من أمثال اسطيفانس وبولس، ولو أننا لا نفهم بعدُ تماما عداء الجمع، لكن المسرح قد أُعِدَّ جيدا لقصة يكون فيها الخلاف والانقسام من الدوافع الكبرى.

وهكذا يزوّدنا المشهد الافتتاحي، في مجمع الناصرة، بمناخ يؤطّر رسالة يسوع. فبصفته مسيح الله، سيكرز ويناضل ضد الشيطان، ويشفي المرضى، ويظهر اهتماما خاصا بالفقراء. كما أنه سيثير الجدالات، وفي الأخير سيقتلونه. ولا ينبغي رؤية هذا الإطار من زاوية مهمته الأدبية فقط، فإنه مستمدّ من الكتاب المقدس. وليست الأحداث التي تجري فيه معزولة ولا طارئة، بل إنها "ضرورية"، إذ تشكل جزءا من تصميم يرتقي به المؤلف إلى روح الله.

المنادي بالبشرى السارة

إن إحدى المهام المنوطة بالمسيح، بصفته ذاك الذي مسحه الرب، هي إعلان البشرى السارة للفقراء. لذا فإن حصة كبيرة من إنجيل لوقا مخصصة لتعليم يسوع. ويبدو عنوان "إعلان البشرى السارة للفقراء" محصورا إلى حد ما. وبوسع تعاليم يسوع أن تتوزع على عدة فئات. فيمكننا أن نصف فئة منها بمثابة تعليمات حول تصرّف التلاميذ: يسوع يعلّم طريق الصلاة للذين يتبعونه. إنه يتكلم عن الإيمان، ويعطي نصائح حول طريقة مواجهة الخصومة المهدِّدة. وهناك فئة أخرى تتمحور حول الجدال: يعطي يسوع جوابا للانتقادات، بلجوئه إلى أمثال أو إلى تصريحات عن نقاط حساسة بنوع خاص -وهي في بعض الأحوال اتهامات لاذعة موجهة إلى خصومه. وبوسعنا أيضاً أن نلجأ إلى تصنيف آخر يبرز كل ما يتناول الغنى، وهو موضوع يرد باستمرار، طوال إنجيل لوقا. إذ ان يسوع، غالبا ما يتكلم

عن أخطار الغنى، وكذلك عن الإمكانات التي يوفّرها، وعن الذين يعرفون استخدام المال، وعن الذين هم عاجزون عن ذلك.

ويميل السواد الأعظم من علماء الكتاب المقدس إلى التصنيف بعناوين محدّدة[٢]. ومنذ وقت طويل، لاحظ الاختصاصيون في الشؤون الكتابية أن الاقوال المنقولة عن يسوع، يمكن توزيعها على أقسام متميزة واضحة. وبوسعنا أن نسمي إحدى هذه الفئات باسم "الجدالات". فإن النقاشات الدائرة بين يسوع وخصومه تبدو مطابقة لمخطط نموذجي. وقد ورد كثير منها في الفصلين الخامس والسادس من إنجيل لوقا. وكل حادث يفتتح ضمن إطار عام:

"وأقام له لاوي مأدبة عظيمة في بيته، وكان على المائدة معهم جماعات كثيرة من العشارين وغيرهم" (لوقا ٥: ٢٩).

"ومر يسوع في السبت بين الزروع..." (لوقا ٦: ١).

"ودخل المجمع في سبت آخر، وأخذ يعلّم..." (لوقا ٦: ٦).

والخصوم هم الذين يفتحون النقاش -وكانوا عادة من الفريسيين- وينتقدون تصرّف يسوع:

"فقال الفريسيون وكتبتهم لتلاميذه متذمرين: لماذا تأكلون وتشربون مع العشارين والخاطئين؟" (لوقا ٥" ٣٠).

"فقالوا له: إن تلاميذ يوحنا يكثرون من الصوم ويقيمون الصلوات، ومثلهم تلاميذ الفريسيين. أما تلاميذك فيأكلون ويشربون" (لوقا ٥: ٣٠).

"فقال بعض الفريسيين: ما لكم تفعلون ما لا يحل في السبت؟" لوقا ٦: ٢).

وينتهي كل من هذه المشاهد الصغيرة بإعلان يصدره يسوع، وفيه يحسم النقاش، مثلا:

"ليس الأصحاء بمحتاجين إلى طبيب، بل المرضى. ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخاطئين إلى التوبة" (لوقا ٥: ٣١-٣٢).

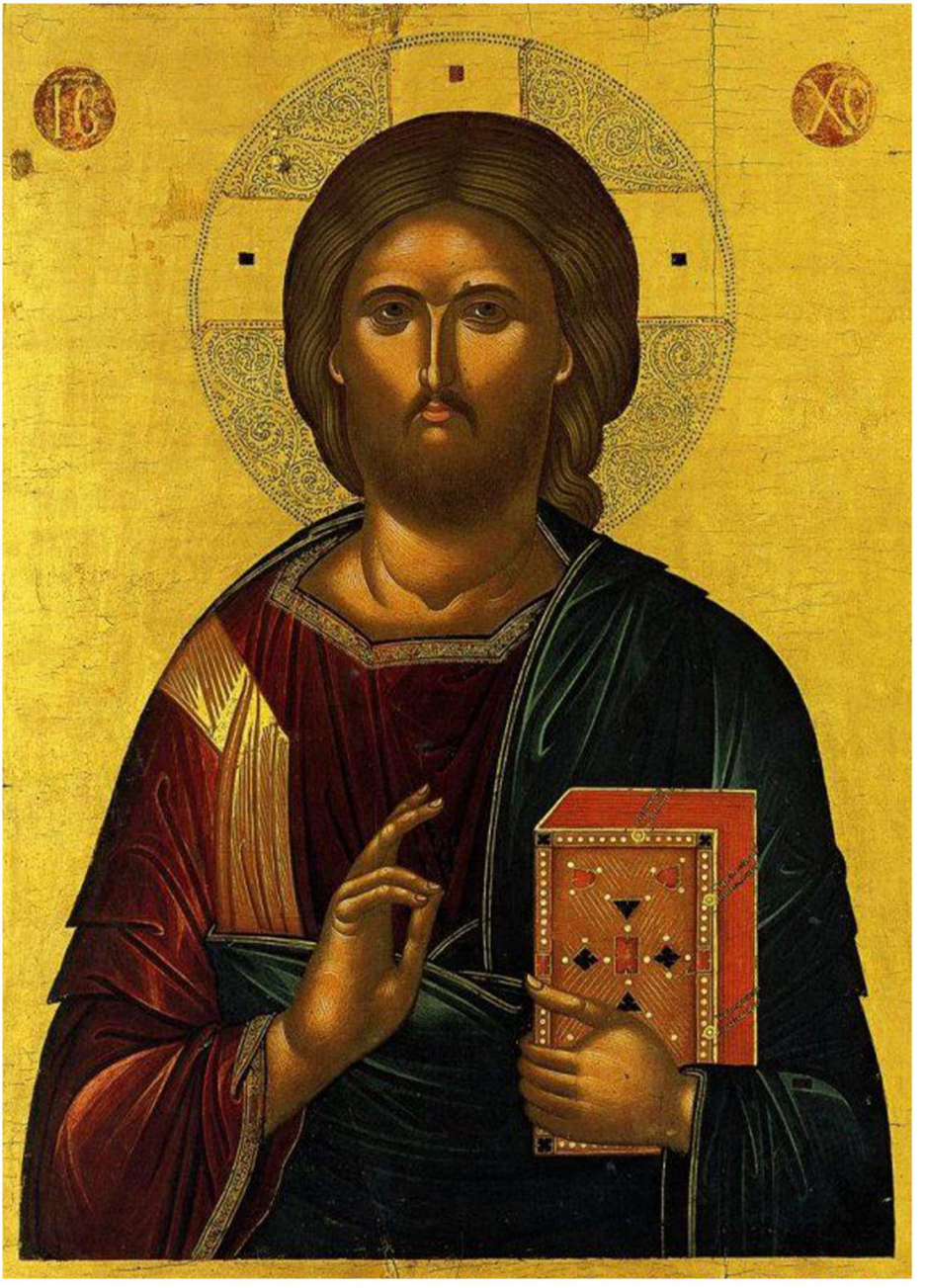

والأهمية القليلة التي تُعطى لما يتبع (مثلا جواب التلاميذ أو انتقادات يسوع) توحي بأن هذه الروايات القصيرة كانت تهدف إلى إبراز تصريح ليسوع عن موضوع هام. وهكذا، فان صيغة الرواية تتناسب مع مهمتها.

ويميّز علماء الكتاب المقدس صيغا أخرى، كالأمثال والتنبؤات. وان دراسة للمميزات الخاصة بالتقليد الإنجيلي قادت عددا منهم إلى القول إن الروايات المتعلقة بيسوع، وكذلك عملية نقل تعليمه، كانت قد تعرضت لمرحلة من التداول الشفهي، قبل إدراجها في نص مكتوب للأناجيل. وان أنصار "نقد الصيغ"- كما دُعي هذا الأسلوب- المعتادين على دراسة الفولكلور، يقولون إن الصيغ كانت تشكّل الوسائل العملية للروايات والأقوال، وكانت تتجاوب بذلك، في آن واحد، مع الحاجة إلى سبك المواد في وحدات سهلة للحفظ، وفي الوقت ذاته مع الغاية التي كانت الكنيسة تتوخاها من هذه القصص. وكان "مارتن ديبيليوس"، أحد أشهر علماء الكتاب المقدس من هذه المدرسة، يلحّ على أنه يجب اعتبار الإنجيليين جامعي تقاليد أكثر من كونهم مؤلفي كتب[٣].

ولقد وافق هؤلاء العلماء أنفسهم بأن كتبة الأناجيل كانوا قد تدخلوا في اختيار التعاليم المحفوظة، وفي تقديمهم اياها في إطار أوسع. وهكذا اصبح بوسعنا أن ندرس تعاليم يسوع، بصفتها وحدات منفصلة، مع الإشارة إلى ميزاتها على مستوى الصيغة، وبصفتها عناصر في مجموعة أوسع. وهكذا مالت طريقة "نقد الصيغ" بالأحرى إلى الوجه الأول، في حين مال النقد الأحدث إلى الوجه الثاني[٤].

قد تكون الصيغة المألوفة بالأكثر، في مجموعة تعاليم يسوع، هي "المثل". وينقل لنا لوقا، لا أقل من تسعة وعشرين من هذه الأمثال، ومن بينها بعض أشهر صفحات العهد الجديد، كمثَلَي السامري الصالح والابن الضال. وتكوّن أدب واسع حول المثل، هذا القرن، خاصة تحت تأثير كتابات الألماني المعروف أدولف جوليشر[٥].

كان جوليشر الذي كتب في فجر القرن الماضي، قد انفصل عن التأويل المسيحي التقليدي الذي استمر قرونا طويلة، إذ ألحَّ على عدم اتخاذ الأمثال على انها استعارات، بل على ما تقوله. ولقد كان تأويلها، كاستعارات، يرقى إلى العهود

المسيحية الأولى. وكان المفسرون يشخصون كل سمة فيها، وكأنها تقدّم إحالة خاصة. أما جوليشر، فعلى النقيض من ذلك، ألحَّ على أن الاستعارة هي كتابة مرموزة يجب أن تحل رموزها. إنها قصة لا تحمل معنى ما لم نقابلها بالتفصيل مع شيء آخر. فالرؤى الدقيقة للحيوانات، في سفر رؤيا يوحنا، هي استعارات لا معنى لها في حد ذاتها، وفيها ما لا يتسنى للفكر أن يتصورها. وكل تفصيل عن الحيوان يرمز الى شيء آخر. فالوحش الذي يجلس على سبعة تلال يشير بديهيا إلى روما، ورؤوس الوحوش العشرة المتَوَّجة ترمز إلى سلسلة من الملوك.

لكن أمثال العهد الجديد تختلف اختلافا كبيرا عن الصور الغريبة والغامضة. فلا شيء من اللغز في قصص يسوع القصيرة. ومن بين القصص الطويلة، قد تكون هناك امثال حدثت، وربما استُمدَّ بعضها من خبرة أصيلة. فيمكن أن نتصور ونفهم، بيسر، أن يكون سامري مزدرى قد توقف لكي يغيث جريحا، على الطريق الموحش المؤدي من أورشليم إلى أريحا؛ أو أن يعود ابن عاق إلى ذويه. وقصص المزارعين أو البذور الصغيرة التي تصبح نباتات قوية، تنبعث رأسا من الحياة الريفية في فلسطين. وإذا أدى الأمر، حتى في العهد الجديد، إلى قراءة بعض من أمثال يسوع على طريقة الاستعارات (وهذه هي الحال، على سبيل المثال، في مثل الزارع/ لوقا ٨: ٤-١٥)، فيجب البحث عن سبب ذلك في خبرة المؤمنين الذين تذكروا هذه القصص ونقلوها. وحينما كانت أمثال يسوع -الموجهة إلى مستمعين معيّنين والهادفة إلى تسليط الأضواء على حالة خاصة- تقال في إطار مختلف، كانت تتخذ معنى جديدا، أو كانت تقتضي تأويلا جديدا.

وعلى أثر جوليشر، قام علماء آخرون مثل "دود"[٦] و"جرمياس"[٧] بدراسة الأمثال، لكي يعيدوا إليها معناها الأصلي[*]. ولقد أشاروا إلى أن المفسرين المسيحيين، لدى استخدامهم هذه القصص، حدث أنهم أضافوا إليها سمة نهائية أو غيروا الإطار، مما أخلَّ بالمعنى. فمثل الراعي الذي يترك الخراف التسعة والتسعين

(*) لقد قام الأبوان يوحنا عيسى وألبير أبونا بترجمة كتاب جرمياس "امثال يسوع" إلى العربية، وطبعت هذه الترجمة في بغداد سنة ١٩٨٩ (المترجم).

ليبحث عن خروف واحد ضائع -وقد جاء في لوقا جوابا على الانتقادات الموجهة إلى يسوع لعدم تحفظه في معاشرته للناس (لوقا ١٥: ٣-٧)- يصبح في متى توضيحا للحالات القصوى التي يلجأ إليها المؤمنون لإعادة الخراف الضالة إلى حضن العائلة (متى ١٨: ١٢ -١٤).

من جهة أخرى، عكف اختصاصيون آخرون في الأمثال، مثل "فونك"[٨]، على دراستها بصفتها صيغ اتصال، وكشفوا عن آليتها وتأثيرها في المستمعين.

وهناك طريقة أخرى لدراسة الأمثال -وهي ذات ميزة بصدد ما نحن فيه- تتوقف على فحص دورها في الرواية. وأية كانت قصتها السابقة أو المكان الذي احتلته سابقا في التقليد، فإن الأمثال تشغل، عند لوقا، موضعا هاما. وكثير منها يتمحور حول مفهوم الخيرات المادية واستعمالها. ومن بين هذه الأمثال:

المديونان	(لوقا ٧: ٤١-٤٣).
السامري الصالح	(لوقا ١٠: ٢٩-٣٧).
الغني الجاهل	(لوقا ١٢: ١٦-٢١).
الوكيل الخائن	(لوقا ١٦: ١-٨).
الغني ولعازر المسكين	(لوقا ١٦: ١٩-٣١).
مثل الوزنات	(لوقا ١٩: ١١-٢٧).

لا نلقى هذه القصص إلاّ عند لوقا، ما خلا قصة واحدة منها. ومن الواضح أن الراوية يهتم بالمعضلات التي تفرزها الثروات، وبالإمكانات التي تقدّمها. ومريم، في أنشودتها "تعظّم الرب نفسي"، تشيد بمدح الله الذي يشبع الجياع من الخيرات ويصرف الأغنياء فارغين.

ويوضح يسوع: إن المعضلة لا تكمن في الثروات ذاتها، بل في عدم المقدرة على استخدامها بنوع مناسب. والذين لا يستثمرون القليل الذي في حوزتهم، مثل العبد الرديء الذي خبأ الفضة التي سلمها إليه سيده (لوقا ١٩: ٢٠-١٧)، يستحقون الذم، على غرار الذين يستخدمون ما في حوزتهم لأهداف أنانية، دون الاهتمام بالآخرين، كالغني الجاهل أو الغني الرديء الذي لم يعمل شيئا ليساعد

الفقير الذي كان يستعطي أمام بابه. لقد ذهب الغني إلى الجحيم (هادس)، لأنه رفض إغاثة لعازر، وهو المعوز الذي يذهب إلى حضن إبراهيم بسبب أنه فقير حسب. فانقلاب الحالات، الموعود به في بدء القصة، يُلاحظ بنوع صارم: فلأن يدخل الجمل في ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله (لوقا ١٨: ٢٤-٢٥). وإذا كان الغنى يتخذ هذه الأهمية، فذلك لارتباطه الوثيق بالقضايا الدينية الأساسية. فإن الهوّة التي تفصل ما بين الأغنياء والفقراء، وما بين الضعفاء والمقتدرين، وما بين المواطنين والغرباء، لا يريدها الله. ويجب أن تُستخدم الثروات لرفع مستوى حياة المحتاجين والمحتقرين، ولإقالة الجائعين. وكما يتطلبه التقليد النبوي في إسرائيل، فإن العبادة الحقة تتوقف على العناية بالمستضعَفين، ولاسيما "اليتيم والأرملة". ففي المحبة تكمن الأمانة الحقيقية للتوراة.

وقصة السامري الصالح تسلط الضوء على هذه النقطة. فحينما يطرح أحد علماء الناموس سؤالا على يسوع حول ما ينتظره الله من مؤمنيه، يعطيه يسوع جوابا تقليديا: محبة الله ومحبة القريب (لوقا ١٠: ٢٥-٢٨). وإذا بالعالم يسأل من جديد: "ومن هو قريبي؟" (لوقا ١٠: ٢٩). وهنا لم تعُدْ النظريات تفيد؛ بل يجب أن تكون الوصايا واضحة وواقعية. ولهذا، يعطيه يسوع مثلا عن "الرحمة". يروي له قصة إنسان متروك في حالة يائسة، وقد أشرف على الموت، بعد أن وقع ضحية على قارعة الطريق.

والشخصان اللذان يرفضان الإغاثة، في هذه المأساة، هما موظفان دينيان. وإذا افترضا أن الرجل قد يكون ميتا، فإن لمسه يجعلهما مدنسين وعاجزين عن القيام بالتزاماتهما الدينية. فإذا رفضا تقديم المساعدة، فذلك لم يكن بدافع اللامبالاة من جهتهما، بل بدافع شعور بالتزام نحو تقليدهما. ذلك ان الطهارة الطقسية، في نظرهما، اكثر اهمية.

أما السامري الصالح، فلا يدّعي مثل هذه الطهارة، ويقدّم مساعدته. ومبادرته السخية تجعل منه "**قريبا**"، وتوليه سمة الإنسان المتدين حقا، الذي يحفظ الشريعة. فالأتقياء ليسوا: لا الكاهن ولا اللاوي، ولا الفريسيين المهتمين بطهارتهم

الذاتية، بل الذين يتعلمون العطاء، مثل زكا، ذلك الجابي المحتَقر الذي يتخلى عن نصف أمواله (لوقا ١٩: ١-١٠).

وإذا كان لا يشار إلى هذا الموضوع، بعين القدر، في سفر أعمال الرسل، إلاّ أن الراوية يهتم دائما بوصف الأشخاص البارزين في الحركة الجديدة، بصفتهم موزّعي الصدقات. فإن مقاسمة الخيرات وإغاثة الفقراء، ستكونان الطابع المميّز للكنيسة الأولى في أورشليم (أعمال الرسل ٢: ٤٤-٤٥؛ ٤: ٣٢-٣٧).

وقصة السامري الصالح تسلط الأضواء أيضاً على موضوع آخر هام في كرازة يسوع ورسالته: التهجم الموجّه ضد كل حصرية. فإن بطل القصة ليس من العرق اليهودي بالتمام. إنه سامري، أي انه نصف يهودي، لا بل هو موضع احتقار للإسرائيليين.

وليس من قبيل الصدفة ان يكون نموذج التقوى، في قصة الفريسي والعشار التي رواها يسوع (لوقا ١٨: ٩-١٤)، هو هذا الجابي، العميل لقوى الاحتلال الروماني، ذلك البغيض والمعروف بعدم الاستقامة.

عند يسوع، يقترن التعليم بالعمل. فهو يحيا ما ينادي به. ويأتي كثير من قصصه جوابا يثيره مشنّعوه الدينيون. ففي كل مناسبة ينحون باللائمة على يسوع، لأنه يعاشر "الخاطئين والعشارين". والمعضلة الكبرى هي أنه يؤاكلهم. ووجبات الطعام، إذ تتيح فرصة نادرة للألفة، فان لها معنى خاصّا جدا عند الشرقيين، وكان اليهود الرصينون يرون في خفايا الألفة قوة دينية، كما كانوا يبحثون، في المنادَمة، عن دعم لقناعاتهم في هذا الميدان. وكانت هناك فرق خاصة تتميز بمقاسمة المائدة عينها. أما الفريسيون -وهم اليهود الملتزمون إلى حد التزمت، الذين كانوا يعتقدون ان على كل إسرائيلي حقيقي أن يحيا في طهارة دائمة، وليس فقط عند القيام بأفعال الرتب الدينية- فكانوا يعربون عن إيمانهم بعدم مؤاكلتهم إلاّ أناسا يحترمون الطهارة الشرعية، ويفون بالشروط الغذائية المفروضة في الشريعة. وهكذا، في عالم كان يسير نحو التشتت، كانت مقاسمة المائدة ذاتها تقدّم علامة منظورة على الهوية اليهودية، وتذكّر بالقوة الكامنة في التقليد للحفاظ على النظام في الحياة. ففي التقليد، وفق اغنية "كمان على السطح"، تبقى الجماعة في الحياة.

كان اليهود المقتنعون مضطربين بشأن تصرّف يسوع. فلقد كان هو ذاته متديّنا ولا شك، وإلاّ لقالوا عنه إنه هرطوقي أو وثني. وإذا لم يكن بوسع التقليد ان يجعله لا مباليا، الا ان يسوع يرفض الرضوخ لتحديداته.

فمنذ البداية، نراه يشترك مع المتحررين والهامشيين، هؤلاء الناس الذين بدت حياتهم وكأنها تجاهر بنبذها لتقوى تقليدية. ففي نظر معاصريه، كان يسوع يتعرض للتلوث باشتراكه مع الأشرار، وكانت تصرفاته تهدد البنية المرعية التي كانت تضمن للديانة اليهودية مكانتها المشعّة.

لماذا يأكل يسوع مع الخاطئين والعشارين؟ إنه السؤال الخفي طوال الرواية. ويشدد يسوع على أن السبب ليس هو عدم الاكتراث بالتقليد ولا مبالاة في التصرّف. ويمكن أن يُقابَل تصرّفه مع تصرّف راع لا يترك قطيعه إلا لكي يندفع للبحث عن نعجة ضائعة. كما يقابل أيضاً مع تصرّف امرأة أضاعت قطعة نقود، فتترك شغلها وتبحث عن هذه القطعة حتى تجدها. إن ثمة شيئا غريبا، عند يسوع، حين لا يتردد من تركيز الاهتمام على الهالكين. لكن يسوع يلحّ بقوله إن الله هو هكذا: الله الذي تهمه التوبة، ويهتم بالحياة التي يمكن أن تتغير، وبالأخوة والأخوات الذين يمكن إعادتهم إلى حضن العائلة. فإن مثل هذه العودات تستحق كل المجازفة.

وفي سبيل الدفاع عن قضيته، يروي يسوع مثل الابن الضال، أو كما اقترح البعض ان يدعوه: مثل الأب الذي ينتظر. في هذه القصة العائلية، نحن ازاء ابن قليل الصبر، وعلى عجلة من أمره، لكي ينعم بحريته ويذهب لمشاهدة العالم، فيطالب بنصيبه من الإرث. انه مطلب مشروع تماما في المجتمع اليهودي آنذاك. ولكن ما لم يكن مشروعا، انما هو تصرّفه اللاحق، وطريقة تبذيره ثروته. لم يكن من شأنه سوى جلب احتقار الناس الذين كانوا يتصرفون بجدية في حياتهم. إنه تصرّف يدل على نقص في الرشاد؛ ولما بلغ به الأمر إلى العوز، إذا بهذا الشاب اليهودي يضطر إلى ان يرعى حيوانات نجسة، هي الخنازير. وفي غمرة يأسه، يعود إلى ذاته ويتخذ طريق العودة إلى البيت. ولكن يا للمفاجأة! إنه يلقى أبا لم يكن يحلم إلا برجوعه إلى حضن العائلة.

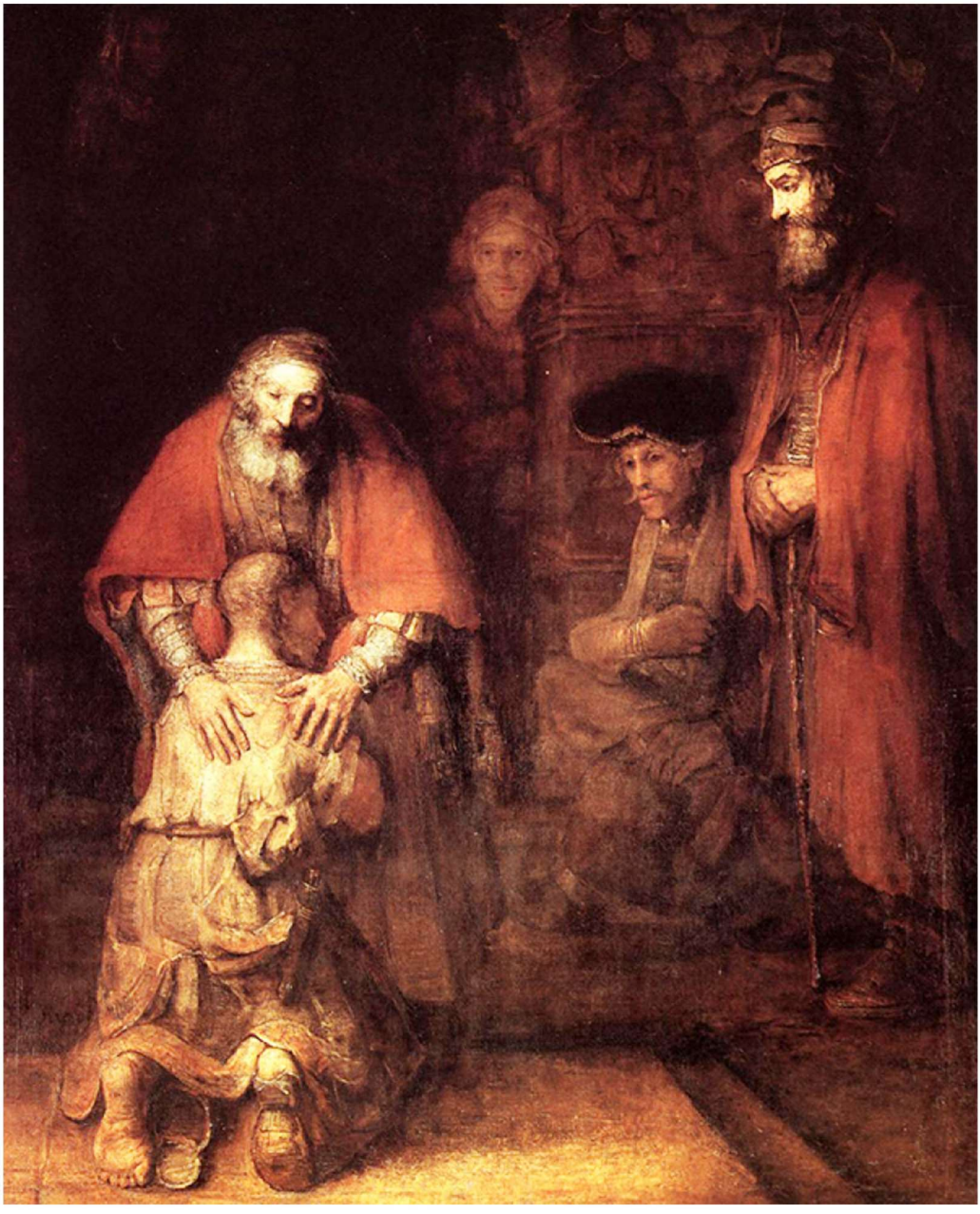

وكما هو الشأن مع أمثال أخرى مكونة من جزئين، فإن النبرة توضع على الجزء الثاني. ففي المشهد النهائي، يُنحي الابن الاكبر باللائمة على أبيه، لعدم العدالة الفاضحة التي يمارسها تجاهه. وليس ما يدعو إلى العجب لدى غضبه أمام الحفاوة التي حظي بها المبذِّر الشاب. فإن طريقة تصرّف الأب تأتي مثل دفاع عن التبذير وعدم المسؤولية:

"ها أني أخدمك منذ سنين طوال، وما عصيت لك أمرا قط، فما أعطيتني جديا واحدا لأتنعم به أنا وأصدقائي. ولما رجع ابنك [هذا] (وهو إلحاح متعمد) الذي أكل مالك مع البغايا، ذبحت له العجل المسمّن" (لوقا ١٥: ٢٩-٣٠).

ويستخدم يسوع الجواب القاسي الذي يختتم به الأب هذا المثل، لكي يردّ السؤال على الذين ينتقدونه:

"يا بني، أنت معي دائما أبدا، وجميع ما هو لي فهو لك. ولكن قد وجبَ أن نتنعّم ونفرح، لأن أخاك "هذا" (يعاد هنا الإلحاح المتعمد) كان ميتا فعاش، وكان ضالا فوجد" (لوقا ١٥: ٣١-٣٢).

فالأب يقول لابنه الأكبر "أخاك"، في حين اعتبر الابن الأكبر أخاه غريبا، لا صلة له به ("ابنك هذا"). والمعضلة الحقيقية هي تلك التي يطرحها الابن الأكبر. وإذا كان على حق في احتقار طريقة الحياة التي عاشها أخوه، فهو عاجز عن الاعتراف بكونهما أخوين.

ولو كانت له هذه القدرة، لاستطاع أن يقاسم أباه فرحه. وقد أدرك الابن الأصغر الدرس الذي أُعطيَ له، وهو الآن مستعد ليعيش حياة جادة. أما الأكبر فلم يتعلم شيئا، لأنه لم يرَ أبعد من حقوقه. ففي نظره، أصبحت العائلة حصرية ووسيلة بوجه الثغرات. إنه بحاجة إلى الاهتداء، مثل أولئك الذين كانوا يعتقدون أنفسهم يهوداً أتقياء. لقد نقصته، إلى حد كبير، المحبة التي يعبّر عنها الله حينما يستقبل الخروف الضائع. فإن ما يمثله القريب حقا من مفهوم، يتجاوزه كثيراً.

إن رسالة يسوع وتعليمه يجسّدان اهتمام الله بالخاطئين. فليس الله لا مبالياً. لا شك ان الشريعة تقتضي بأن تطاع، إلاّ أن ديانة تجعل من ذاتها حصرا، وتحاول الإبقاء على الظلم الاجتماعي، وتهدم كل اهتمام أصيل بالغريب، هي ديانة مهزوزة. فإن الأتقياء، عند لوقا، يخشون التلوّث باحتكاكهم بالغرباء. لكن يسوع لم يكن فاسدا؟! ألَم يهتد خاطئون وعشارون بالاحتكاك به -أمثال متى وزكا- ومن ثم تغيروا وتجددوا. فإن الاحتكاك بالمرأة المتزوفة (لوقا ٨: ٤٣-٤٤) أو بالبرص (لوقا ٥: ١٢-١٥ و١٧: ١١-١٩) أو حتى بالأموات (لوقا ٧: ١١-١٧) لم يكن يدنس يسوع؛ بل بالأحرى، كان اللقاء به يشفي المرضى، ويطهر البرص، ويقيم الموتى.

هناك قوى ثورية تعمل في رسالة يسوع. فهو لا يدع العالم كما يجده. وتظهر توترات بين تعليم يسوع والأساليب التقليدية في ممارسة الديانة. انه يتهجم على العادات والأعراف السابقة، وستكون لرسالته انعكاسات على الصعيد الاجتماعي، كما على الصعيد السياسي. وسيشهد الناس تغييرات.

لكن هذا لا يعني أن يسوع جاء ليبطل الشريعة. كلا! إنه لا ينوي هدم الديانة اليهودية. فإن تعليمه المتعلق بالهامشيين، بمختلف فئاتهم، وتهجماته على مظاهر التقوى وعلى الحصرية، وما يقوله عن الثروات، كلها أمور متأصلة بعمق في التقليد النبوي. وإذا اصطدم بالمعارضة، فذلك لأن الآخرين لا يفهمون تماما إرادة الله. وبذلك تنكشف الأفكار من قلوب كثيرة. كثيرون هم الذين سيصبح لهم يسوع حجر عثرة، ولكن من اجل خير أعظم. ويبحث يسوع عن جمع شمل المؤمنين، وعن إعادة الخراف الضالة إلى الحظيرة، وعن حمل الذين يتبعونه على جعل التقوى قوة إيجابية -وذلك هو معنى وجودها. ويضيف هذا التحريض:

"كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم!" (لوقا ٦: ٣٦).

المحرر

ليس يسوع، بصفته مخلصا، هو ذاك الذي ينادي بقرب حلول سنة بركة من عند الرب حسب، بل هو صانعها قبل كل شيء. فالأشفية وطرد الشياطين

تجري بفعل كونه مسيح الرب. وفي سفر أعمال الرسل، يبدو ان ما حققه، هو في أساس الرسالة التي يعلنها تلاميذه:

"إن يسوع الناصري، ذاك الرجل الذي أيده الله لديكم بما أجرى عن يده بينكم من المعجزات والأعاجيب والآيات" (أعمال الرسل ٢: ٢).
"وأنتم تعلمون (...) كيف أن الله مسح (يسوع الناصري) بالروح القدس والقدرة، فمضى من مكان إلى آخر يعمل الخير ويبرئ الذين استولى عليهم إبليس" (أعمال الرسل ١٠: ٣٨).

لما كانت رواية أعاجيب يسوع وصراعه ضد الشياطين تشغل عند لوقا حيزا أقل منها عند مرقس، فان الأفعال المحرِّرة تشكل مظهرا مميزا لرسالته. فيسوع يشفي المرضى، ويطرد الشياطين، ويذهب به الامر إلى اقامة الموتى.

وتبدو رواية الأشفية وطرد الشياطين، شأن تعاليم يسوع، مستوحاة من نماذج جاهزة. وهذا لا يعني انه يسوغ لنا أن نتكلم عن "صيغ" خاصة مُدرَجة في فئات جامدة، بل اننا نلقى بعض الفضاءات بين نماذج متنوعة. ففي بعض القصص، يبدو إيمان المرضى هو الأساسي. وفي الفصل الخامس، نجد أن هذا الإيمان يلقى مكافأته في حالتين. وفي لوقا (٥: ٢-١٥)، هوذا أبرص يناشد يسوع كي يساعده، وهو واثق بأن له القدرة على شفائه، وهيذي ثقته تنال مكافأتها. وفي الحادثة التالية (الآيات ١٧-٢٦)، تحمل فرقة من الناس إلى يسوع صديقا مقعَدا. وبلغت ثقتهم بقدرة يسوع إلى حد أنهم، حينما عجزوا عن شق طريقهم إليه عبر الجمع، ثقبوا سقف المترل وأنزلوا صديقهم من خلاله، إلى داخل الغرفة حيث كان يسوع. ان هذه القصة الفريدة معقدة، لأنها تدخلنا أيضاً في جدال دار بين يسوع والسلطات الدينية، ولكنها تبرز أهمية الإيمان. فعلى غرار قائد المائة الذي يطلب مساعدة يسوع (لوقا ٧: ١-١٠)، ويائيرس (لوقا ٨: ٤٠-٤٢)، والمرأة المترفة (لوقا ٨: ٤٣-٤٨)، يكتشف أصدقاء المقعد كيف يكافأ الإيمان بيسوع المحرّر. ولا نكاد نلمح، في خلفية الرواية، ذاك الواعظ الذي يحرض مستمعه على اكتساب مثل هذا الإيمان.

هناك روايات أخرى لا نجد فيها علاقة البتة مع إيمان الشخص المتألم. هذه هي الحال بالاخص مع إخراج الشياطين، لأن الذين هم في قبضة الشيطان ليس لهم إرادة خاصة. فإن ممسوس مجمع كفرناحوم (لوقا ٤: ٣١-٣٧)، وممسوس ناحية الجرجسيين (لوقا ٨: ٢٩-٣٩) ليست لهما السيطرة على ذاتيهما. ونرى ان الحوار يجري بين يسوع والشياطين. فهذه الروايات التي تتسم بميل إلى التفاصيل، مركزة على قدرة الذين يطردون الشياطين. انها تهدف إلى إثارة المخافة المتسمة بالإجلال والذهول. ونجد ما يوازيها في الآداب القديمة. فيأتي وصف مفصل للأمراض، وتعليقات على ردود الفعل لدى الجمع، وبراهين على أن الشفاء قد تحقق فعلا: هذه كلها عناصر متفق عليها في هذا الاسلوب الروائي. وتبحث طريقة "نقد الصيغ" عن وضع تمييز بين هذه الروايات، وبين تلك التي تسلط الضوء على قدرة الإيمان.

هناك مثل هام من هذا النوع الأخير من الرواية العجائبية مستقى من الأدب غير المسيحي -حياة أبولونيوس التي كتبها فيلوسترات(*)- يسلط الأضواء، في آن واحد، على ما يشترك به لوقا مع مؤلفين آخرين قدامى، وعلى ما هو خاص به:

"هي ذي أعجوبة أخرى لأبولونيوس. كانت ثمة شابة بدت وكأنها ماتت في وقت زواجها بالذات، وكان زوجها يسير وراء النعش باكيا زواجه غير المكتمل. وكانت روما تبكي أيضاً، لأن الميتة الشابة كانت تنتمي إلى إحدى أعرق الأسر. وكان أبولونيوس حاضرا هناك. فقال: "أنزلوا النعش، فإني سأضع حدا لنواحكم". وفي الوقت ذاته سأل عن اسم المتوفاة، وظن الناس الحاضرون أنه سيلقي خطابا، كما هي العادة عند مراسيم الدفن، لكي يثير المزيد من الحزن والأسى، ولكنه لم يفعل. وعوضا عن ذلك، لمسها ولفظ شيئا لم يفهمه أحد، فأيقظ تلك التي

(*) عاش أبولونيوس في النصف الثاني من القرن الثاني. وسيرة حياته التي كتبها فلافيوس فيلوسترات ترقى إلى نحو سنة ٢١٨ م، وتستوحي التقاليد المحفوظة عند تلاميذ أبولونيوس.

كانت تبدو ميتة. وشرعت الشابة تتكلم وعادت إلى بيت والدها، مثل ألسست التي كان هرقل قد أعادها إلى الحياة. وحينما قدّم الوالدان مكافأة لأبولونيوس قوامها (١٥٠٠٠٠) قطعة فضة، أجاب أنه سيردّها إلى البنت لتكون لها مهرا".

"ولا أحد يعلم هل كان قد اكتشف أن فيها بقية من الحياة خفيت عن ملاحظة الأطباء -إذ يقال أن تنفسها كان يمكن أن يلاحظ فوق وجهها بينما كان المطر يترل- أو أن الحياة قد فارقتها حقا، وحينما دبّت فيها الحرارة، استعادتها؟ فلا أنا ولا أي من الذين كانوا حاضرين لم نحصل على أي نور حول هذا السر". (حياة أبولونيوس التياني، ٤، ص ٤٥ وما يليها)[٩].

ثمة تشابه بين هذه الرواية وما نقل عن يسوع:

"وذهب (يسوع) بعدئذ إلى مدينة يقال لها نائين، وتلاميذه يسيرون معه وجمع كثير. فلما اقترب من باب المدينة، إذا ميت محمول، وهو ابن وحيد لأمه وهي أرملة. وكان يصحبها جمع كثير من المدينة. فلما رآها الرب، أخذته الشفقة عليها، فقال لها: "لا تبكي!" ثم دنا من السرير، فلمسه، فوقف حاملوه. فقال: "يا فتى، أقول لك: قم!" فجلس الميت وأخذ يتكلم، فسلمه إلى أمه. فاستولى الخوف عليهم جميعا فمجّدوا الله قائلين: "قام فينا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه!" وانتشر هذا الحديث عنه في اليهودية كلها وفي جميع النواحي المجاورة" (لوقا ٧: ١١-١٧).

إن المشابهات واضحة. ففي الروايتين، يصادف صانع المعجزات موكبا جنائزيا على الطريق. والحالة تبدو يائسة، والتدخل غير المتوقع للبطل، والأعجوبة وبرهانها (الموتى يتكلمون)، وردة الفعل لدى الجمهور، كلها تبدو مألوفة الرنّة. ذلك ان الرواية تتوخى اثارة ردة فعل، لدى القارئ، مشابهة لردة فعل الجمع.

والاختلافات هي أيضاً واضحة. كان فيلوسترات كاتب سيرة أبولونيوس أديبا. وكانت كتاباته، شأن كتابات معاصريه، تتناول الشخصيات والأحداث المثيرة. وكان الملوك والقادة وكبار الموظفين والفلاسفة موضوع كتب السيرة المفضل. أما العامة، فلم يكونوا ليحظوا بالاهتمام إلا لغرض الانشراح والتسلية. ففي رواية فيلوسترات، يعود الحدث المحزن الذي يعالجه إلى طبقة اجتماعية راقية من مستمعيه. فإن الشابة كانت على وشك الزواج، والخطيب المفجوع قد فقد خطيبته. والحضور (روما كلها) يشير إلى حالة الشابة الاجتماعية. وعودتها إلى الحياة تثير جوابا مناسبا: يسعى والداها أن يجعلا أبولونيوس رجلا غنيا، الأمر الذي يرفضه هذا الزاهد.

لكن الرواية تختلف عند لوقا بصورة متميزة. فمنذ البدء التزم يسوع قضايا "الصغار": الرعاة، كهنة الأرياف، البغايا، العاطلين. والدفنة التي يوقفها هي دفنة شاب، أمه أرملة. وقد حرمت، ليس من زوجها وابنها حسب، بل من وسيلة عيشها الوحيدة أيضاً. وحالة الشفقة تناسب الناس ذوي الموارد الضئيلة والذين ليس لهم مستقبل مرموق. ولم تكن نتيجة عودة الشاب إلى الحياة جمع شمل العائلة حسب، بل ضمان الحياة المادية للأم أيضاً.

وسنلاحظ أيضاً، عند الراوية، اختلافات في ردود الفعل تجاه الأعجوبة. فإن فيلوسترات عقلاني، إذ يشك في حقيقة الأعجوبة، ويدع مجالا لشكه في تلوين القصة. وبطله أبولونيوس هو اقرب إلى فئة الحكماء، منه إلى صانعي المعجزات.

أما لوقا وجمهوره، فهم، على النقيض من ذلك، لا يشكون في قدرة يسوع على إقامة الموتى. ومنظوره ليس منظور أرستقراطي يأخذ مسافة للحكم على الشيء. إنه منظور رجل يعلم أن الحياة صراع بين قوى الشر وقوى الخير، وهو لا يشك لحظة واحدة في إمكانية نجاة عجائبية، كما أنه لا يشك في حقيقة عبودية الشر.

وهناك اختلاف أخير بين الروايتين، وهو اختلاف يضع النبرة على مظهر هام من الرواية الإنجيلية. ذلك ان فيلوسترات وجمهوره، لكي يجعلوا الأعجوبة

مقبولة، يلتفتون إلى الميثولوجيا الكلاسيكية: إن قيامة الشابة تشبه قيامة ألسست؛ وبوسعهم مقابلة أبولونيوس بهرقل.

أما في إنجيل لوقا، فالإطار كتابي، وشهود الأعجوبة يشرعون بتمجيد الله، ويعبّرون عن قناعتهم بان يسوع نبي عظيم. فلا يمكن فهم أعاجيب يسوع إلا في الإطار الأوسع الذي يقدمه لوقا وتقليده.

يصوغ المؤلف إطاره، مستلهما بصورة واسعة، أحلام إسرائيل وأمانيه. فمنذ عشرات السنين، بل ربما منذ قرون، كان اليهود يتطلعون إلى مجيء مُلك الله في العالم، أي "**ملكوته**" هو. إلا أن الأماني كانت متنوعة. فجميعهم كانوا يرجون تدخل الله الذي سوف يخلصهم من العبودية والظلم. وتشكّل رسالة يسوع، بحسب لوقا، مرحلة البداية. ففي حادث ورد في الفصل الحادي عشر، يوجّه الرؤساء الدينيون إلى يسوع تهمة التعاون مع رئيس الشياطين. ان هؤلاء الروساء الدينيين لا يناقشون قدرته، إنما يلحّون على كونه يستمد هذه القدرة من الشيطان، وليس من الله. ولا يكتفي جواب يسوع بالإشارة إلى سخافة ادّعائهم، بل يعطيهم، بالإضافة إلى ذلك، مفهومه الشخصي بشأن معنى طرد الشياطين:

"**إنكم تقولون إني ببعل زبول أطرد الشياطين. فإن كنت أنا ببعل زبول أطرد الشياطين، فبمن يطردهم أبناؤكم؟ لذلك هم الذين سيحكمون عليكم. وأما إذا كنت بإصبع الله أطرد الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله. إذا كان القوي المتسلح يحرس داره، فإن أمواله في أمان. ولكن إذا فاجأه من هو أقوى منه وغلبه، ينتزع ما كان يعتمد عليه من سلاح، ويوزع أسلابه**" (لوقا ١١: ١٨-٢٢).

فيسوع هو ذاك الأقوى من الشيطان. هو الذي جاء ليحرّر المأسورين باجتياح حصن الشرير. وفي الإنجيل، قبل هذا الزمان بقليل، كان الشيطان يفتخر بأن جميع ممالك العالم تعود إليه. لكن يسوع يحتجّ على هذه السيطرة، و يبرهن طرده الشياطين عن نجاحه. فإن أعمال طرد الشياطين تمثل مجيء يوم جديد: لقد

بلغ ملكوت الله إليكم. فيسوع ليس المنادي بالملكوت حسب، بل هو الذي يعمل على افتتاحه.

ويسوع، في دوره هذا، يحقّق النبوءات. وتدل أفعاله على اهتمامه بالذين ما يزالون عبيد الخطيئة وقوى الشر، كما انها تكشف عن قدرته. ولكنها، بالإضافة إلى ذلك، تحيل إلى الإطار الكتابي الذي كان إسرائيل بموجبه يتصور المستقبل. وفي مجمع الناصرة، يستشهد يسوع باشعيا ٦١، ويضيف إليه هذا الشرح: إن النبوءة قد كملت "**اليوم**". وأقوال يسوع بشأن المعمذان في لوقا ٧: ٢٢ ترجّع الصدى، ليس لاشعيا ٦١ حسب، بل لمقاطع أخرى مألوفة، مثل اشعيا ٣٥: ٥-٦.

"حينئذ تتفتح عيون العميان،
وآذان الصم تتفتح،
وحينئذ يقفز الأعرج كالأيل،
ويهتف لسان الأبكم".

وتعطي أعاجيب يسوع، في إطار تراث إسرائيل، البرهان على أن وعود الأزمنة القديمة وجدت تحقيقها. ولا يتوقف الأمر هنا على أحداث منعزلة، بل على "أحداث جرت في ما بيننا" (لوقا ١: ١ — ترجمة المؤلف).

وبنوع أكثر تخصيصا، تأتي أعاجيب يسوع لتشهد على كونه أحد الأنبياء (ولعله النبي) الموعود به في الكتاب المقدس. وحينما سأل يسوع تلاميذه عن قول الناس فيه، أجابوه: "يوحنا المعمذان" وبعضهم يقول: "ايليا"، وبعضهم "نبي من الأولين قام" (لوقا ٩: ١٩). وإزاء قيامة ابن الأرملة، هتفت الجموع: "لقد قام فينا نبي عظيم". وعند المشهد الافتتاحي في مجمع الناصرة، نعلم ان ما قرأه يسوع هو مرجع مقرون بالنشاطات المرتبطة تقليديا بالأنبياء. وفي التقليد اليهودي، كان هناك تمييز بين الأنبياء والمشيح. اما لدى من يؤمن بيسوع، فلم يعد هناك تمييز.

ليس من الصعب أن نفهم لماذا اعتُبِرَ يسوع نبيا. إنه، مثل الأنبياء السابقين، يتكلم باسمه الخاص ("**بخلاف الكتبة**"). وكانت أعاجيبه تذكّر بالمآثر التي تجلت لدى بعض كبار أنبياء إسرائيل: ايليا وأليشع. فإن ايليا (١ ملوك ١٧:

١٧-٢٤) وأليشع (٢ ملوك ٤: ١٨-٣٧) كانا قد أعادا الحياة إلى بعض الصبيان. وكان أليشع قد أقات جمعا كبيرا ببضعة أرغفة، "وقد فضل منها" (٢ ملوك ٤: ٤٢-٤٤، راجع لوقا ٩: ١٠-١٧). وإذا كان ثمة تنبؤ يعلن عن عودة ايليا (ملاخي ٣: ٢٣)، فلا عجب أن يكون البعض قد اعتبروا يسوع هذا النبي العظيم الذي عاد ليعلن عن مجيء الأزمنة الجديدة.

ولعلّ المقارنات مع التقاليد المتعلقة بموسى، في سفر تثنية الاشتراع، هي من اكثر الامور بلاغة. فإن النبي، حسب تحديد هذا السفر، هو شخص ينطق باسم الله ويصنع آيات ومعجزات. وموسى يمثل تجسيد هذا المثل الأعلى، إذ شرح لإسرائيل إرادة الله، وصنَعَ الأعاجيب في البرية. وحتى في سفر التثنية، فإن أهمية موسى تأتيه، لا من صفته قديما حسب، بل من كونه النموذج المثالي:

"يُقيمُ لك الرب إلهك نبيا مثلي في وسطك، من اخوتك، فله تسمعون (...)" وقال لي الرب: "لقد احسنوا فيما قالوا، سأقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيخاطبهم بكل ما آمره به" (تثنية الاشتراع ٨: ١٥-١٨).

يظن بعض علماء الكتاب المقدس أن الوعد، في الأصل، كان يحيل إلى تتابع في الأنبياء. ويعتقد غيرهم أن المقصود هو ايليا. إلا أن الأتقياء من اليهود، في زمان يسوع، كانوا يرون في هذا المقطع قولا يخبر عن مجيء نبي في نهاية الأزمنة[١٠]. وفي سفر الأعمال (٣: ٢٢-٢٦)، نرى بطرس يشخّص يسوع، بنوع صريح، بصفته "نبيا مثل موسى"، مستشهدا بسفر تثنية الاشتراع (٨: ١٨). ويقدم هذا التشخيص إطارا، تصبح فيه أعاجيب يسوع (الأنبياء يصنعون "آيات وخوارق") وتعاليمه قابلة للفهم. ويقدّم سرد سفر التثنية أيضاً، لمن يرتبط بيسوع، تعليما رئيسا: إن النبي الحقيقي هو مقياس أمانة إسرائيل تجاه الله:

"أي رجل لم يسمع كلامي الذي يتكلم به هذا النبي باسمي، فإنني أحاسبه عليه" (تثنية الاشتراع ١٨: ١٩).

اما الذين يتذمرون على يسوع، كما فعل الإسرائيليون سابقا ضد موسى، فهم يكشفون عن أنهم ليسوا يهودا حقيقيين. ويستخلص بطرس النتيجة الحتمية: "من لا يسمع لذلك النبي (يسوع)، يُستأصل من بين الشعب" (أعمال الرسل ٣: ٢٣). ويسلط هذا التقليد النبوي عينه الأضواء على المعضلة المعقدة التي يجابهها قادة إسرائيل. فليس الأنبياء الحقيقيون وحدهم يصنعون الآيات والخوارق. فإن سفر التثنية، في الفصل الثالث عشر، يعطي هذا التحذير:

"إذا قام في وسطكم نبي أو حالم أحلام فعرض آية أو خارقة، ولو تمت الآية أو الخارقة التي كلمكم عنها وقال لك: لنَسِرْ وراء آلهة أخرى لم تعرفها فنعبدها، فلا تسمع كلام هذا النبي أو حالم الأحلام. فإن الرب إلهكم ممتحنكم (...)، **وذلك النبي أو حالم الأحلام يُقتل"** (تثنية الاشتراع ١٣: ١-٥).

إنها لمهمة شاقة للمسؤولين في إسرائيل أن يميزوا ما بين الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذبة؛ إذ يجب أن يقتل هؤلاء الكذبة، أما الأولون فعلى الجميع أن يتبعوهم. إن هذا الرهان كبير جدا. ويستحيل ان يدّعي احد انه يجهل "الآيات والخوارق" التي يصنعها يسوع، فهي تعني أنه نبي ملهَم. وتتوقف المسألة في معرفة من أين يستمد إلهامه. فهل تحالف مع الشيطان، كما يفترض ذلك بعض خصومه؟ هل يريد تدمير الهيكل وتغيير العادات التي أقرّها موسى، كما يدّعي آخرون (أعمال الرسل ٦: ١٤)؟ إن الاهتمام القليل الذي يبديه تجاه الصيغ التقليدية للتقوى، قد يعني أنه نبي كاذب، وانه يصنع الأعاجيب لإغواء الجماهير. وفي هذه الحال، يترتب على رؤساء الشعب أن يُسكتوا صوته. ولكن إذا كان يسوع "النبي الحقيقي"، وإذا كانت أشفيته، بما فيها طرد الشياطين، تظهر أنه مُرسَل من عند الله وصانع الملكوت، وإذا كان يسوع هو "النبي الحقيقي" الذي أقامه الله مثل موسى، فيترتب على الشعب الإسرائيلي أن يقيم وزنا لما يقوله. وكل رفض من جهتهم، يعني التخلي عن تراثهم، ويؤدي إلى انتباذهم من وسط شعبهم.

من الواضح، في نظر لوقا والذين يوجه إليهم كلامه، أن يسوع كان المسيح، مخلص العالم، والنبي الشبيه بموسى الذي أقامه الله ليعلن عن مجيء الملكوت وينتزع كل سلطة من الشيطان. وكانوا يظنون أن يسوع، بعمله هذا، قد حقق وعود الله نحو شعبه. ولكنهم كانوا يشعرون مع ذلك بوجود أمور غامضة. هناك كثيرون، من بين معاصري يسوع أو من الجيل اللاحق، كانوا يجدون صعوبة في استشفاف إصبع الله في رسالة يسوع. ولم يكن رؤساء الشعب يرون في يسوع سوى مسبّب اضطرابات، سيما وانه لا يحترم التقليد. لاشك أنه كان يحظى بقدرة -ولم يكن بوسع أحد أن ينكر ذلك!- إلا أن العالم القديم كان يسعه أن يفتخر بغيره من صانعي المعجزات والمروّجين الدينيين. وكان على الناس أن يقرروا، في حالة يسوع كما في أحوال أخرى، ماذا كانت تعني هذه القدرة. فهل كان يسوع ذاك الذي مسحه الله ليحرر المأسورين؟ أم أنه ليس سوى مدّعٍ اعتيادي ونبي كاذب، وصديق الخاطئين والعشارين، يسعى إلى تحطيم التقليد؟ سوف يسري هذا السؤال الأساسي طوال الإنجيل وسفر الأعمال، ويفرز مآسي حتى النهاية (أعمال الرسل ٢٨).

ملك اليهود

مع ان ميلاد يسوع قد جرى بطريقة لم يلاحظها عظماء هذا العالم، إلا أننا نعلم أنهم لم يكن بوسعهم أن يتجاهلوا طويلا ذاك الذي كان معَدّا أن يجلس على "عرش داود أبيه" و"يملك على بيت يعقوب إلى الأبد" (لوقا ١: ٣٢-٣٣). ويستبعد يسوع، دفعة واحدة، كل مساومة مع السلطات الحاكمة، منذ مجابهته الشيطان الذي بيده "جميع ممالك العالم" (لوقا ٤: ٥). فيسوع يواجه الخلافات، إذ يرفض العرضَ الذي يقدمه له الشيطان بسيادة على الصعيد الأرضي (لوقا ٤: ٦-٨). وتُظهر أعاجيب طرد الشياطين نيته في السيطرة على كل شيء بذاته. وهكذا يصبح يسوع في مجابهة مع قوى الظلمات. ويزيد تعليق الراوية، في لوقا

٤: ١٣، من حدة انتظار هذه المجابهة المحتومة، حين يذكر أن الشيطان يبتعد عن يسوع "إلى أن يحين الوقت".

ويوحي العداء الذي يلاقيه يسوع في الناصرة بأن سيادة الشيطان قد تمتد حتى إلى قادة إسرائيل. ومع أن لوقا لا يصف القادة اليهود، بصريح العبارة، بلقب "أبناء الظلمات"، كما هي الحال في إنجيل يوحنا، إلا أن الخلافات الكبرى في الإنجيل والأعمال تشير إلى ذوي المناصب الرفيعة في المؤسسات الدينية. فإن المناوشات مع القادة المحليين تنبئ بالمأساة الأخيرة التي ستضع يسوع في خلاف مع الكتبة ورؤساء الكهنة والشيوخ، وهم فريق يضمّ موظفي الهيكل والمسؤولين الشرعيين في الجماعة الدينية. وهكذا، فإن السلطات العليا ستفعل بيسوع ما تنبأ به هو نفسه:

"يجب على ابن الإنسان أن يعاني آلاما شديدة، وأن يرذله الشيوخ والأحبار والكتبة، وأن يُقتل ويقوم في اليوم الثالث" (لوقا ٩: ٢٢).

هناك أصوات قصف منذرة تُسمَع وتُلاحَظ طوال الرواية، وهي تخبر بحلول العاصفة الوشيك في أورشليم. فهي تمضي من الإعلان الصريح إلى استباقات أكثر دقة. وهكذا يحوم ظل الكارثة المتوقعة على الجزء الاكبر من رسالة يسوع:

"ولما حانت أيام ارتفاعه، عزم على الاتجاه إلى أورشليم" (لوقا ٩: ٥١).

وفي القسم الذي يخصصه إنجيل لوقا "بالرحلة" (لوقا ٩: ٥١، ١٩: ٢٧)، نلمح شيئا مصطنعا. ومع أن الوقت قد حان ليقوم بهذه الرحلة (أنظر أيضاً لوقا ١٣: ٢٢)، فليست هناك إشارات توحي بالتنقل على الصعيد الجغرافي. ذلك ان الأحداث منسقة حسب أطر محايدة. "وكان يصلي في بعض الأماكن" (لوقا ١١: ١). "وكان يطرد شيطانا أخرس..." (لوقا ١١: ١٤)، "واحتشدت الجموع" (لوقا ١١: ٢٩)، "وبينما هو يقول ذلك، دعاه أحد الفريسيين إلى الغداء عنده" (لوقا ١١: ٣٧). وكما أشرنا إلى ذلك سابقا، إن مثل هذه الروايات تحمل في طياتها علامة تقليد شفهي. و"**روايات الرحلات**" المزعومة في إنجيل لوقا تشبه مجموعة

قصص و"**أقوال**" متنوعة، اكثر من كونها تقريرا أصيلا. ويبدو أن المؤلف أتى بإطاره الخاص إلى الخزين التقليدي. ولأن هذا الإطار مصطنع، إلى حد ما، فهو يعرب عن أهميته. ذلك ان رسالة يسوع العلنية يجب أن تؤوَّل على ضوء ما سيجري في أورشليم.

وفي وسعنا أن نطرح هذا السؤال: لماذا يصرّ يسوع إلى هذا الحد على الذهاب إلى أورشليم؟ والجواب الأول هو على الصعيد التاريخي المحض: هناك نبذ الرؤساء اليهود والرومان يسوع. لكن هذا لايشكّل كل شيء. فلوقا عالم بأهمية أورشليم في التقليد اليهودي. إنها المدينة المقدسة، اي الموضع الذي اختاره الله مقرا لاسمه القدوس (مزمور ١٣٢)، والمكان الذي منه يجب أن ينطلق التحرير الذي وعد الله به. والمؤلف مُطَّلِع أيضاً على تقاليد أقل إيجابية، بموجبها يُعطى دور رئيس لأورشليم، وهي تقاليد تترك أثرا على تاريخها:

"يجب عليَّ أن أسير اليوم وغدا واليوم الثالث بعدهما، لأنه لا ينبغي لنبي أن يهلك في خارج أورشليم. أورشليم أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردت أن أجمع أبناءك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها. فلم تريدوا. ها هوذا بيتكم يترك لكم. وإني أقول لكم: لا ترونني حتى يأتي يوم تقولون فيه: "تبارك الآتي باسم الرب!" (لوقا ١٣: ٣٣-٣٥).

يكتسب الرفض الذي قابل به يهودُ أورشليم يسوعَ معنى خاصا، على ضوء تقاليد متعلقة برفض الأنبياء. ومهما كان العهد القديم شحيحا في الأخبار المتعلقة بموت الأنبياء، فهناك حكايات تكونت في ما بعد العهد القديم، وقد وصلت إلينا مكتوبة أحيانا[١١]. واستنادا إليها، يقدم لنا لوقا تقييما مسبقا لنبذ يسوع. ففيها يظهر يسوع، برفقة سلسلة متتالية من الناطقين باسم الله، كانوا ضحايا للمعاملات السيئة من قبل شعبهم الخاص. كما نميز فيها الاستشعار بأن نبذ يسوع وموته سيجعلان الكأس المروعة تطفح، وسيقودان حقبة بكاملها إلى نهايتها:

"الويل لكم، فإنكم تبنون قبور الأنبياء، وآباؤكم هم الذين قتلوهم. فأنتم تشهدون على أنكم توافقون على أعمال آبائكم: هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم. ولذلك قالت حكمة الله: سأرسل إليهم الأنبياء والرسل. وسيقتلون منهم ويضطهدون، حتى يُطالَب هذا الجيل بدم جميع الأنبياء الذي سُفك منذ إنشاء العالم (...). أقول لكم: أجل، إنه سيُطالَب به هذا الجيل" (لوقا ١١: ٤٧-٥١).

ويختم هذه اللوحة تنبؤ يسوع الذي يقضي بخراب أورشليم ذاتها، دون أن يُترك فيها حجر على حجر (لوقا ٢١: ٥-٦).

وبمجيء يسوع إلى أورشليم، تتغير النبرة فجأة. لقد كانت المجابهة بين يسوع وممثلي السلطة الرسمية، حتى الآن، من خلال عبارات مستعارة من التقليد النبوي. لكن يسوع يدخل أورشليم كملك، راكبا جحشا، والجموع تهتف له: "تبارك الملك الآتي باسم الرب! السلام في السماء والمجد في العلى!". هكذا كانت الجموع تصرخ، متجاوبة في ذلك، مع نشيد الملائكة الذين كانوا قد حيوا ميلاد يسوع (لوقا ١٩: ٣٩، انظر لوقا ٢: ١٣-١٤). وهكذا تهيمن هنا صور الملوكية. فإن الأشخاص الرسميين -الرومان واليهود معا- يسألون يسوع كيف يدّعي انه المشيح (لوقا ٢٢: ٦٧، ٢٣: ٢-٣). وبينما كان على الصليب، نراهم يستهزئون به ويعيّرونه أنه "مسيح الله، المختار" و"ملك اليهود" (لوقا ٢٣: ٣٥-٣٧). ووجهُ التهمة ضد يسوع، كما عبّر عنها بيلاطس، هو أنه "ملك اليهود".

إن هذه المفردات المجازية، المستعارة من الملوكية، تولي الرواية كلها نبرة من التهكم الشديد الذي يبدو في غير محلّه. فمن الممكن أن يكون أنبياء إسرائيل قد اختبروا النبذ، لابل الاستشهاد، ولكن... بالنسبة للمسيح، لم يكن هذا الأمر متوقعا. وحتى إذا كان لوقا قد استدرك أن الأمر سيؤدي إلى مجابهة، إلا أن الحدث، في فظاظته، كان يسير ضد هذا التيار. فالشاب الذي يبتسم له المستقبل والمعدّ ليملك على إسرائيل يبدو عاجزا. وحينما "دخل الشيطان في يهوذا" (لوقا ٢٢: ٣)، اخذت الحركة المناصرة ليسوع بالتفكك. والجمع الذي كان قد هتف له

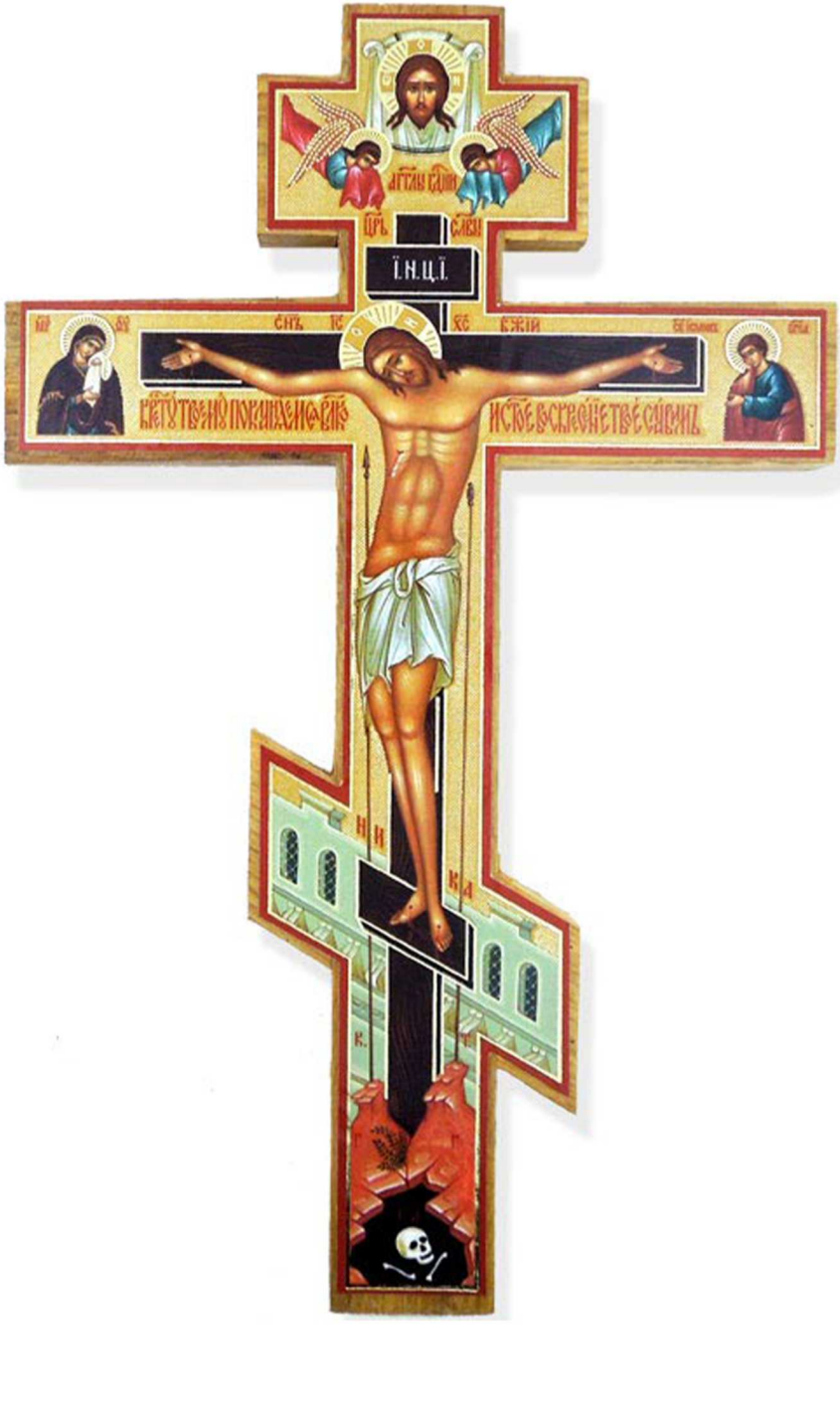

І.Н.Ц.І.
НИ
КА

ملكا، يظهر الآن متذبذبا. لقد خابت آماله حينما شاهد يسوع لا يرفض الحكم الروماني البغيض. والتلاميذ الذين هيأهم يسوع بعناية كبيرة، لكي يواصلوا رسالته، يخيبونه بمرارة: فيهوذا يخونه، وبطرس الذي يعني اسمه "الصخر" ينهار وينكره ثلاث مرات. وتنحل حركة أنصار يسوع عند أقدام الصليب! ويسوع "ابن العلي"، وريث عرش داود، مطارد الشياطين القدير، والواعظ الشهير، ينبذه رؤساء شعبه الخاص، ويُحاكَم أمام بيلاطس، ويموت على الصليب. ويتخذ التاريخ منعطفا فريدا، يتميز عن منعطف قصص زعماء من أصل متواضع. فيسوع ملك فُرض عليه أن يموت! انه لا يتوافق مع ذلك الانتظار الذي بموجبه هو "غصن من جذع يسّى"، ذاك الذي "يميت الشرير بنَفَس شفتيه (اشعيا ١١: ١-٤)!

وبالطبع، لا تنتهي القصة هنا. إذ يحدث انقلاب آخر مذهل حين يقيم الله من بين الأموات يسوع ، محيلا الحجر المنبوذ إلى "حجر الزاوية" (مزمور ١١٦: ٢٢، استشهد به لوقا ١٧ وسفر الأعمال ٤: ١١). إلا أن المؤلف لا يمر سريعا على مشهد الموت، إذ إن الموت يعطي لمحة متميزة عن ماهية الحياة البشرية. فهناك السخرية: ليست الأشياء كما تبدو للعيان. فالرؤساء الدينيون والسياسيون يحيون على مستوى المظاهر. إنهم يمارسون سلطتهم للحفاظ على التقاليد وصيانة السلام. ولما كانوا مقتنعين بأن يسوع يشكّل تهديدا للتقليد والشريعة والنظام، فإنهم يُصفّونه. إلا ان ما لا يخفى عليهم، هو أن يسوع هو مسيح الله المرسل لإعلان مُلكه ولتحرير المأسورين. وهم ذواتهم يشهدون -ويا للسخرية!- للحقيقة: فالاستهزاء الذي يكيلونه ليسوع، بمنحهم اياه لقب الملك، يشهد هو ذاته لهذه الحقيقة التي كانوا يريدون الازدراء بها. لم يكونوا على خطأ حين رأوا في يسوع تهديدا لسلطتهم. إن ما يرفضون الاعتراف به، هو أنه إذا كان يشكّل تهديدا، فذلك لأن سلطتهم هي من الشيطان. وإذ ينبذون يسوع، الملك الحقيقي، يضعون ختما على مصيرهم الخاص (لوقا ١١: ٤٧-٥١). إنهم يشاركون في مسار أحداث هذا العالم، دون أن يكون لهم أي مفهوم عما يجري، ودون أن تراودهم الفكرة بأن يسوع "ماضٍ كما قضي بذلك" (لوقا ٢٢: ٢٢)، أو أنه "كان يجب على المسيح

أن يعاني تلك الآلام" (لوقا ٢٤: ٢٦-٤٦) (او بحسب المؤلف: كان يجب على المسيح ان يموت). إن الموت العنيف الذي كابده يسوع، جرّدهم من أقنعتهم، ووفّر من ثمة للقارئ لمحة وجيزة عن طبيعة العالم الحقيقي. فليست الأمور على ما تظهر. وبالرغم من أن يسوع مزدرى ومنبوذ، فهو مع ذلك الرئيس الحقيقي ومقياس الحقيقة. وحكامه المزعومون، يُحكَم عليهم بدورهم؛ وما ان كُشفت أقنعتهم، وإذا بهم غير جديرين بالقيادة...

ولكننا نلاحظ اختلافا بين إنجيل لوقا والأناجيل الأخرى الثلاثة. فإن صورة العالم التي يرسمها ليست قاتمة إلى حد كبير. والمظهر والحقيقة ليسا منفصلين بهاوية لا يمكن اجتيازها، كما يظهر الأمر عند يوحنا ومرقس. فإلى جانب شيء من السخرية، يتجلى أيضاً في يسوع نبل لا غبار عليه، وحتى ابان الموت. فعند مرقس مثلا، تأتي النبرة مأساوية: يسوع ضحية، خذله ذووه، ونبذه الجميع وازدروا به. والكلمات الوحيدة التي يلفظها من أعلى الصليب: "إلهي إلهي، لماذا تركتني؟" (مرقس ١٥: ٣٤) تلاقي تأويلا خاطئا، وفي اثرها يموت يسوع. وعلى النقيض من ذلك، فإن الدور الذي يقوم به يسوع في قصة الآلام، بحسب لوقا، هو دور نشط. ففي طريقه إلى الجلجلة، يلقي موعظة قصيرة يدعو فيها النساء النائحات إلى البكاء على ذواتهن وليس عليه (لوقا ٢١: ٢٨-٣١). وبالرغم من كونه على وشك الموت، فهو قادر أن ينعش الرجاء في قلب مجرم تائب يشاطره مصيره: "الحق أقول لك: ستكون اليوم معي في الفردوس"(*) (لوقا ٢٣: ٤٣). وهكذا لم تكن كلماته الاخيرة صرخة الشعور الخائب بتخلي الله (أنظر مزمور ٢٢)، بل كلمات الانتصار المقتبسة من مزمور آخر: "يا أبت، في يديك أجعل روحي!" (لوقا ٢٣: ٤٦، مزمور ٣١: ٥). وإذا كان الموظفون الكبار عاجزين عن تمييز الحقيقة، فإن هذه الحقيقة لا تخفى على غيرهم: لقد فهم أحد اللصين، واعترف قائد المائة: "حقا،

(*) على ضوء شهادات جديرة بالثقة، يجب اعتبار الكلمات التقليدية ليسوع على الصليب: "أبتِ اغفر لهم..." اضافة متأخرة أُدرجت في انجيل لوقا.

هذا الرجل كان بارا!" (لوقا ٢٣: ٤٨). والمشاهدون أنفسهم يعترفون بأن موت يسوع كان خطأ.

"وكذلك الجماهير التي احتشدت لترى هذا المشهد، فعاينت ما حدث، رجعت جميعا وهي تقرع الصدور" (لوقا ٢٣: ٤٨).

إذا كانت الحقيقة مخفية تحت المظاهر، فإنها، عند لوقا، ليست مخفية بعين العمق الذي عند الآخرين. ذلك إن عظمة يسوع لا يعتريها الظلام، ولا حتى من جراء عار الموت. وكونه حُسب مع مجرمين من الحق العام، لا يقوى على التعتيم عليه.

وبالتالي، إنه لأمر مهم، في نظر المؤلف، أن يكون مجرى التاريخ مطابقا لتصميم. ذلك ان التنبؤات التي نطق بها يسوع تجد تحقيقا لها في نكران بطرس، مثلما في القبض على يسوع ذاته وإعدامه. والأسفار المقدسة أيضاً تتحقق. ونرى نموذجاً عنها في القصة التي لا ترد إلا عند لوقا، وهي محاولة بيلاطس في إحالة يسوع الى هيرودس. هل كانت مثل هذه الإحالة ممكنة شرعا؟ لا يتفق المؤرخون على هذه النقطة. وتضاف إلى ذلك صعوبة تنسيق هذا المشهد كله مع الصورة التي يرسمها لنا فيلون ويوسيفوس المعاصران للوقا عن بيلاطس. إنهما يريان فيه إداريا شرسا (لقد كان من الشراسة بحيث أدى الأمر أخيرا إلى "تجميده")[١٢]، يضمر بغضا عنيفا لليهود. في حين أن بيلاطس، بحسب لوقا، يبدو مهتما إلى الغاية بمصير يهودي من أصل متواضع، ويتوق بإفراط إلى التنازل عن مسؤولياته الشرعية.

إن المسألة التي يثيرها هذا الحادث الصغير تُشرَح في سفر الأعمال. ففي (٤: ٢٥-٢٦)، يسرد بطرس الآيات الأولى من المزمور الثاني:

"لماذا ضجّت الأمم، وسعت الشعوب إلى الباطل؟
قام ملوك الأرض وتحالف الرؤساء جميعا
على الرب ومسيحه".

ثم يقدم بطرس تفسيره:

"تحالف حقا في هذه المدينة هيرودس وبنطيوس بيلاطس والوثنيون وشعوب إسرائيل على عبدك القدوس الذي مسحته، فأجروا ما خطته يدك من ذي قبل وقضت مشيئتك بحدوثه" (أعمال الرسل ٤: ٢٧-٢٨).

هيرودس هو "ملك اليهود" (لوقا ١: ٥)، وبيلاطس "والٍ". وهذا ما يشرح التفسير الغريب الذي نجده في لوقا في قصة الآلام:

"وتصادق هيرودس وبيلاطس يومئذ، وكانا قبلا متعاديين" (لوقا ٢٣: ١٢).

يشكل هيرودس وبيلاطس كتلة في معارضتهم ليسوع. فسواء كان لهذه القصة أساس تاريخي أم لا، فإن هذا الحادث الصغير يجد مكانه الملائم، تماما كمشهد في قصة معقدة. فلقد كان معلَنا ومتوقعا وضروريا. ومع ان يسوع لا يشبه أي ملك آخر، فإن موته ذاته يشكل جزءا من تصميم قد خططه الله منذ البدء: "أما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده"! قالها يسوع لتلميذي عماوس في لوقا (٢٤: ٢٦). ويفترض لوقا أن هذه الأشياء ما إن تحققت، تكون ضرورتها أمراً مقبولاً.

القيامة «في اليوم الثالث»

فيما عدا روايات الطفولة، يظهر الاختلاف بين الروايات الإنجيلية على أشدّه، في قضية الفصح (القيامة) بنوع خاص. فالاتفاق يتوقف بين الإزائيين، انطلاقا من اكتشاف القبر فارغا، وهذا ما يولي ثقلا للرأي القائل إن مرقس هو المصدر المشترك لمتى ولوقا. فلا اتفاق بين هذين الاثنين إلا حينما يكونان متفقين مع مرقس، ولا تصح هذه الحال مع خاتمة مرقس (١٦: ٨)؛ ومن هنا كان الاختلاف بينهم. وكان بوسعنا، إلى حد ما، أن نتوقع مثل هذه الفروق. فليس في رواية ما، ما هو أكثر حسما من خاتمتها، حيث تُحدد خاصية المؤلف بأجلى بيان.

إن القائمين بالدور الرئيس في المشهد الأول، صبيحة القيامة، في جميع الأناجيل، هم نساء. فهن وحدهن بقين من بين جميع الذين يتبعون يسوع: لقد اختبأ الرجال! و يسترعي لوقا مرتين انتباه القراء إلى أهميتهن، إذ يذكر "النسوة اللواتي تبعنه من الجليل" (لوقا ٢٣: ٤٩، ٥٥). إنهن الوحيدات اللواتي يعرفن موضع القبر، وهن الوحيدات في اتخاذ التدابير لتأمين دفنة لائقة. نراهنّ يجلبن عطورا قبل أن يبدأ السبت، ولكنهن ينتظرن غداة السبت، حتى شروق الشمس، ليذهبن إلى القبر.

تتميز رواية لوقا المتعلقة بزيارتهن للقبر الفارغ باختلافات طفيفة في التفاصيل. فهناك "رجلان عليهما ثياب براقة"، عوض شاب واحد (مرقس) أو ملاك، هو الآخر وحيد (متى). في لوقا، لا يقول أحد للنساء بوجوب ذهاب التلاميذ إلى الجليل لكي يجدوا يسوع هناك. وإذا ورد ذكر الجليل، فما ذلك إلا لأنه الموضع الذي فيه تنبأ يسوع بكل ما كان ينبغي أن يجري في أورشليم.

تتذكر النساء تنبؤ يسوع، ولسنَ بحاجة إلى أن يقال لهن أن يذهبن ليحملن البشرى. لقد أسرعن ليخبرن "الاثني عشر والآخرين جميعا" (لوقا ٢٤: ٩) بما رأين. إلا أن كلامهن يصطدم بارتياب الرجال الذين يستمرون في الاختباء.

ولن يضيّع الراوية هذا التفصيل، هو الذي منذ البدء أظهر اهتماما ملحوظا بالهامشيين وبصغار الناس. فكان من المناسب لنساء، ذات الأهمية الثانوية في السلم الاجتماعي، أن يَكُنَّ هن الأوليات في إعطاء الإنجيل، كما كان ينبغي أن تكون مريم، تلك الشابة الفتية الاعتيادية، هي التي تنجب مخلص العالم وتكون نموذج التقوى. وينبغي ان ننتظر النهاية كي تجري تغيّرات. والحدث الرئيس في رواية القيامة، بحسب لوقا، هو مشهد ظهور يسوع لمسافرَين على طريق عماوس. ومما يثير الانتباه: سعة الرواية وغزارة التفاصيل. إلا ان المشهد يكتنفه السر. فواحد من المسافرين فقط يدعى باسمه، قلاوبا، وهو الاسم الوحيد في العهد الجديد. فمن هو الشخص الثاني؟ أهو شخص معروف لدى القراء؟ ليس لدينا في هذا الشأن سوى تخمينات. كما ان مظهر يسوع يدعو إلى مضاربات. انه يسير ويتحدث إلى

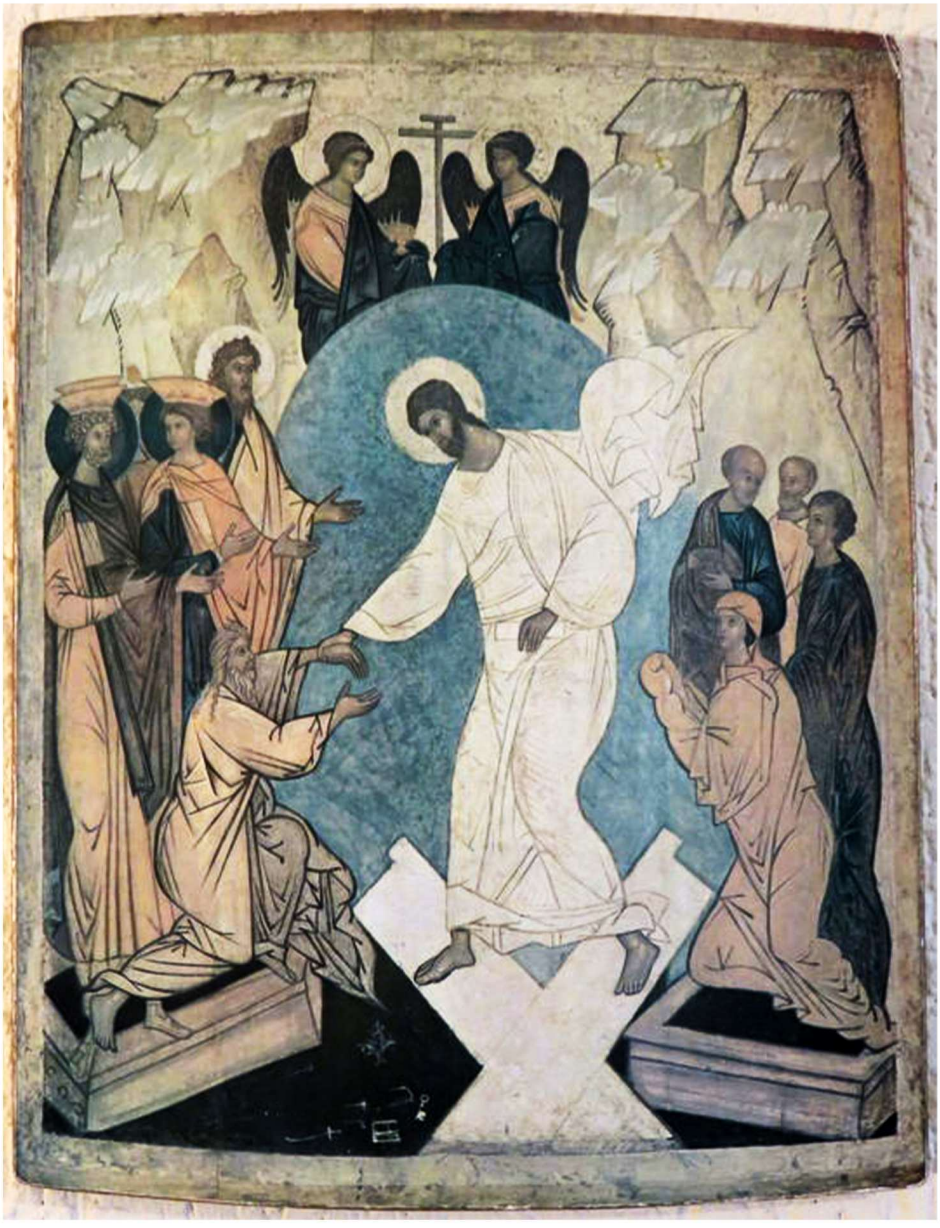

المسافرين، مثل رجل اعتيادي، ولكنهما لا يعرفانه. ولا يزوّدنا المؤلف بأي شرح ما خلا هذا القول: "ان أعينهما حجبت عن معرفته" (لوقا ٢٤: ١٦).

ويدور الحوار بين يسوع والمسافرين حول بطلان أمانيهم الظاهر: "ولكننا كنا نحن نرجو أنه هو الذي سيفتدي إسرائيل" -هذا ما قالاه للغريب. ومع ان الأمر لم ينته بعدُ تماما، بسبب الأقوال الغريبة التي نقلتها النساء ورؤيتهن المزعومة لـ"ملائكة"، لم يبق للمسافرَين سوى أمل ضئيل، سيجيب إليه يسوع بدرس في الكتاب المقدس:

"يا قليلَي الإيمان وبطيئي القلب عن الإيمان بكل ما تكلم به الأنبياء. أما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام فيدخل في مجده؟ فبدأ من موسى وجميع الأنبياء يفسّر لهما ما ورد في شأنه في جميع الكتب (لوقا ٢٤: ٢٥-٢٧).

ويستمر المسافران في عدم التحقّق من أن الغريب هو يسوع، وأنه تكلّم عن نفسه. ولم تتم لهما هذه المعرفة إلا على المائدة، حين دعيا هذا الغريب وقدّما له الضيافة المعهودة. ومع أن قلبهما "كان متقدا في صدرهما"، فإنهما لم يعرفاه إلا حينما أخذ يسوع الخبز وبارك ثم كسر وناولهما. إلا أنه غاب عنهما على الفور.

إن قصة الطعام هذه تذكّر بقصص أخرى لدى لوقا، خاصة العشاء الأخير الذي تقاسمه يسوع مع تلاميذه، والذي خلاله (كما بدا) "أخذ خبزا وشكر وكسر وناولهم إياه" (لوقا ٢٢: ١٩). وكما أدلى المسافران: انهما عرفاه "عند كسر الخبز" (لوقا ٢٥: ٣٥). فأن يتعلق هذا الأمر بالأفخارستيا، أو بمحض مقاسمة أخوية في البيوت المسيحية، أو بصيغة تمزج بين الأمرين، فإن الألفاظ تتعمد أن تترك المجال للتكهّن بممارسة "كسر الخبز في البيوت"، كما ينقلها لنا سفر أعمال الرسل (١: ٤٦). ذلك ان حضور يسوع بين المؤمنين به، يتواصل من خلال ألفة طعام بين أصدقاء. وسنلاحظ بعض فجوات في القصة، مثلا حينما اقتحم المسافران الحاملان هذه البشرى التلاميذ... ليعلما أن يسوع قد سبق وتراءى لسمعان (لوقا ٢٤:

٣٣-٣٤). و لم يُروَ هذا الظهور في أي مكان من العهد الجديد، وإن أُلمح إليه غالبا (١ قورنتس ١٥: ٥؛ مرقس ١٦: ٧). و لوقا، على مثال سائر الإنجيليين، لا يحاول أن يكون كاملا. فهناك قصص ليس بوسع روايتها أن تفرض ذاتها.

ان ظهور يسوع للتلاميذ المجتمعين يقدم لنا وجهة جدلية. ويبدو لنا انه قد رُتّب لدحض التأكيدات القائلة إن يسوع كان "روحا" (Pneuma) أو خيالا. وإذا رأيناه يتناول الطعام، ولكننا لسنا بازاء علامة للألفة بعدُ، بل ازاء برهان على أنه من لحم وعظم (وإن كان ذلك بنوع غير اعتيادي، طالما أنه يستطيع، مع ذلك، أن يجتاز الأبواب المغلقة، ويختفي كلما شاء). ربما أرادت هذه الرواية أن تشكّل جوابا على الذين يدّعون أن المسيح المنبعث كان كائنا ملائكيا محضا جاء يسكن في يسوع الأرضي[١٣].

ويشكّل المشهد النهائي انتقالا، إذ يجمع خيوط القصة كلها، ويهيّئ للفعل الأخير من المأساة[١٤].

يقدّم يسوع أيضاً درسا في شرح الكتاب المقدس، ويلحّ من جديد على "الضرورة" الكتابية لموته وقيامته. ولكنه في هذا المثل، يضيف هذه العبارة: "ما كتب"، وهي عبارة تشمل هذه المرة مهمة الرسل:

"كتب (...) أنْ باسمه تُعلَن التوبة وغفران الخطايا في جميع الأمم ابتداءً من أورشليم" (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٧).

ويروي لنا سفر الأعمال قصة الشهود المختارين لإعلان هذه الرسالة، وسيُقدّم البرهان المفصل على الأسس الكتابية لرسالة يسوع ولمهمة رسله. لقد كانت هذه الرواية ضرورية، إذ إن ثمة أناسا لا يصدقون الشهود، كما لم يصدّقوا يسوع نفسه. وإعلانات يسوع عن "ضرورة" كتابية ستتجسد في خطابات سفر الأعمال. ويتوقف الأمر هنا على شيء أساسي، في نظر لوقا، هو الذي كان، منذ البدء، قد وعد بأنه سيروي "ما قد جرى بيننا"، لكي يبيّن على أي أساس متين يقوم التقليد الذي تلقاه.

ربما لن نكون على ضلال كبير إذا رأينا في هذه المناقشة، لصالح الضرورة الكتابية، أحد الأهداف الرئيسة لكتابة هذين المجلدين (الإنجيل-الأعمال). ذلك ان قصة يسوع وتلاميذه، كي تصبح مفهومة كما ينبغي، يجب أن تُقرأ في السياق البيبلي لتاريخ إسرائيل.

ومثلما بدأ إنجيل لوقا في الهيكل، ففي الهيكل أيضاً سينتهي، إلا أن القصة لّما تنته. فقد أوصى يسوع تلاميذه بأن عليهم أن ينتظروا "القوة من العلى"، هذه القوة الضرورية لكي يقوموا بالرسالة التي عُهدت إليهم: أن يحملوا الشهادة إلى جميع الأمم. إنهم يعرفون ما ينتظرهم من الشدائد، إذ ان ملامح السعادة التي بها ينتهي الإنجيل لا يمكن أن تستمر دوما. فالرسالة يجب أن تبلغ إلى ما وراء أورشليم -وهي التي لن يبقى فيها حجر على حجر.

هوامش الفصل الثاني

(١) لدراسة مفصلة عن المشهد، انظر:

- TIEDE, "Prophecy and History" (ch. II)

(٢) للحصول على مقدمة عن نقد الصيغ، انظر الترجمة الفرنسية لكتاب ديبليوس: "من التقليد إلى الإنجيل":

- Martin DIBELIUS, "De la Tradition à l'Evangile" (New york Scribner's, ١٩٣٥)

وأيضاً كتاب بولتمان: "تاريخ التقليد الازائي":

- Rudolf BULTMANN, "Hisoire de la Tradition Synoptique" (New York, Harper and Row, ١٩٦٣)

ومن المفيد أيضاً مراجعة ادكار كنايت:

- Edgar V. Mc KNIGHT, "What is Form Criticism?" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٧٩)

فضلا عن مؤلّف جديد:

- Arland J. HULTGREN, "Jesus and his Adversaries" (Minneapolis, Augsburg, ١٩٧٩)

(٣) تفسير ديبليوس، في كتابه "من التقليد إلى الإنجيل"، حيث يقول بانه ينبغي ان نعتبر الإنجيليين بمثابة "مخبرين، قنوات للتقليد، ناشرين" (ص ٣)

(٤) انظر نورمان بيران

- Norman PERRIN, "What is Redaction Criticism?" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٦٩)

ولتحليل موجز بشأن انزلاق العبقرية البيبلية باتجاه طرح اكثر ادبيا للدراسات البيبلية، انظروا كتابي ف٢:
"An Introduction to New Testament Literature"

- A. JULICHER, "Die Gleichnisredeu Jesu" (٥)
(Tubingen, J. C. B. Mohr, ١٨٩٩)

- C. H. DODD, "The Parables of the Kingdom" (٦)
(London, Nisbet, ١٩٣٥)

- Joachim JEREMIAS, "Les Paraboles de Jésus" (New york, Scribnen's (٧)
(الترجمة الانكليزية : ١٩٦٣)

- Robert W. FUNK, "Language, Hermeneutic and Word of God" (٨)
(New York, Harper and Row, ١٩٦٦)

(٩) الترجمة هي بقلم كارتريج ديونكان

- Cartridge-Dungan, "Documents for the Study of the Gospels", ص ٢٣١

- Howard M. TEEPLE, "The Mosaic Eschatological Prophet" (١٠)
(Philadelphie, Société de Littérature Biblique, ١٩٥٧)

(١١) ان مصدر مثل هذه التقاليد المتعلقة بالانبياء المضطَهَدين والشهداء ليس واضحا؛ إلا ان هذه التقاليد كانت متداولة في عصر ما قبل المسيح. فيوسيفوس، المؤرخ اليهودي، نقل احدها عن منسّي (الآثار اليهودية ١٠، ٣، ١؛ وانظروا أيضاً ٩، ١٣، ٢). وهذه العناصر جمعت في مؤلف بالألمانية على يد شويز

- H. J. SCHOEPS, "Die Judische Prophetenmorde" (Upsala, Max Niehans, ١٩٤٣)

انظر أيضاً المقدمة لـــ"استشهاد اشعيا" في:

- R. H. CHARLES, "Apocrypha et Pseudepigrapha of the Old Testament" (Oxford, Clarendon Press, ١٩١٣) ص ٢، ١٥٥-١٥٨

(١٢) يرسم يوسيفوس عن بيلاطس وجهين، كلاهما سلبيان، في "الآثار اليهودية" ١٨، وفي "حرب اليهود"، ٢

(١٣) انظر مؤلّف شارل تالبيرت

- Charles H. TALBERT, "Luke and the Gnostics" (Nashville, Abingdon, ١٩٦٦)

(١٤) راجع بنوع خاص:

- Paul SCHUBERT, "The Structure and the Significance of Luke ٢٤" in Neutestamentliche Studien Für Rudolf Bultmann (Berlin, Töpelmann, ١٩٥٤) ص ١٦٥-١٨٦

٣

الفصل الثالث

على أطراف الأرض

يُفتتح سفر أعمال الرسل في جو من الانتظار. فلقد طرح التلاميذ على يسوع هذا السؤال: "يا رب، أفي هذا الزمن تعيد المُلك إلى إسرائيل؟". ويعتبر بعض المفسرين هذا السؤال خطأً نموذجياً في التأويل، لدى الذين لم يحققوا حتى الآن انتقالهم إلى صعيد جديد، إذ لم يبقَ شيء مما كان على صعيد إسرائيل. إلا أن يسوع لا يصحح هذا الخطأ المزعوم. وجوابا على سؤال الرسل، يكتفي بتكرار الوعد الذي قطعه لهم: "الروح القدس سيترل عليكم فتنالون قوة وتكونون لي شهودا" (أعمال الرسل ١: ٨)، ولكن "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات" (أعمال الرسل ١: ٧). وهذا الوعد بالروح يذكّر بنبوءة يوحنا المعمذان المتعلقة بعماذ "في الروح القدس والنار". وهكذا سيرتبط لوقا (٣: ١٦) لاحقا بالأعمال (١: ٥). ذلك ان وعد يسوع يعيد أيضاً أقواله الأخيرة المنقولة في الإنجيل (لوقا ٢٤: ٤٧-٤٨)، وإن كان الانتقال بين الإنجيل والأعمال قد إتّسم بطريقة خرقاء بعض الشيء[1]. فمع صعود يسوع واختيار بديل ليهوذا، يكون المسرح معدّا للمشهد اللاحق.

العنصرة

الرواية

إن الحدث الذي يطبع الانتقال بين عهد يسوع وعهد الكنيسة هو حلول الروح القدس على فرقة صغيرة، في علية، يوم العنصرة (الخمسين). بعد كل هذه التفاصيل التي تُعطى عن الحالة، يروى الحدث في ذاته، بأقصى إيجاز. فالصور تبدو مضبّبة: يسمع التلاميذ دويًّا "مثل" دويّ ريح عاصفة، ثم يشاهدون ظهور ألسنة "كأنها من نار". فانقسام الألسنة الخارقة واجتياح الريح (باليونانية: الروح) يحققان تماما نبوءة يوحنا ووعد يسوع. لكن الرواية شحيحة بالتفاصيل التي كان من شأنها أن تسهّل التفسير.

والوصف الذي يقدمه لوقا عن تجمهر الناس، في اعقاب ذلك، غامض أيضاً. وتوصف الشهادة التي يدلي بها الرسل الذين امتلأوا من الروح القدس، بأنهم "يحدثون [...] بعجائب الله" (أعمال الرسل ٢: ١١). وقد يكون في الأمر مغزى طالما أن المناسبة هي عيد الخمسين (الفنطقسطي). وربما يفترض لوقا أن قراءه يعرفون ما يمثل هذا العيد، المعروف أيضاً باسم "عيد الأسابيع"، وهو أحد أعياد الحج الثلاثة التي كان على اليهود أن يأتوا ويمضوها في أورشليم. وكان ولا شك حضور يهود قادمين من كل جهات العالم، أمرا هاما، بأهمية قدرتهم على استيعاب معنى الشهادة التي يدلي بها الرسل، بلغتهم الخاصة. وان ألفة المستمعين مع التقاليد المتعلقة بالعنصرة تجعل غياب تفاصيل تتيح التأويل أمرا مفهوما.

لقد أشار بعض الاختصاصيين إلى أن مصادر رابينية متأخرة، ترى في العنصرة، ليس عيدا للحصاد حسب، بل أيضاً تذكارا لإعطاء الشريعة على جبل سيناء[٢]. فإذا لم يكن ربط هذين الاحتفالين أمرا جاريا في زمان لوقا، فإن الإعلان عن أعاجيب الله بكل لغة، كان لابد أن يدخل في موازاة مع الأساطير المتعلقة بالشكل الذي بموجبه تكون الشريعة، بعد أن أُعطيت لموسى، قد تُرجمت بأعجوبة إلى جميع اللغات المعروفة تحت الشمس[٣]. وطُرحت افتراضات أخرى: مثلا أن يكون الراوية قد رأى، في هذه الأحداث، الوجه المعاكس لقصة برج بابل الواردة

Сошествіе С҃го Д҃ха

في الفصل ١١ من سفر التكوين: فإن عطية روح الله توحد الأسرة البشرية المشتتة، إذ تولي الجميع طاقة على استيعاب عجائب الله التي تجلت في يسوع المسيح. وقد يتسنى لنا أيضاً أن نرى في هذا الحادث تحقيق النبوءات المتعلقة بنهضة شعب إسرائيل المشتت.

إن مثل هذه الروابط التقليدية محتملة، ومن شأنها أن تشرح الاهتمام الذي أبداه المؤلف بتعداد البلدان التي كان المستمعون ينتمون إليها، كما تشرح النقص في التفاصيل التي كان بوسعها ان تسهّل التأويل. لقد كان المؤلف في وضع يتيح له أن يفترض، عند مستمعيه، معارف لا نطالها نحن بصورة مباشرة. ذلك ان نوع الأفكار التي كانت مرتبطة بمفهوم العنصرة، يجب أن يبقى على صعيد التكهّنات، بالنظر إلى طبيعة مصادر أخبارنا وتاريخها. هناك أمر واحد يجب ألا يغيب عن فكرنا، وهو أن المؤلف، في تفسيره العنصرة -وقد يزودنا به عن طريق خطاب بطرس- لا يعطي لتنوع الألسنة سوى أهمية ضئيلة.

ففي نظرة بطرس ولوقا، لا يصبح مغزى العنصرة واضحا بالنسبة إلى الرسالة التي أُنيطت بتلاميذ يسوع، إلا على ضوء مقاطع أخرى وتقاليد كتابية. فالتكلم بالألسنة ليس غاية في ذاته، ولكنه يشير إلى أن عهدا جديدا قد بدأ.

خطاب بطرس

تشغل الخطابات حيزا هاما في سفر أعمال الرسل، وأهمها تلك التي ألقاها بطرس واسطيفانس وبولس. وقد أولاها الاختصاصيون انتباها بالغا، وفحصوها أحيانا على ضوء خطابات كتبها مؤرخون قدامى. وقد كان لمارتن ديبيليوس وهنري كادبوري[٥]، في هذا الميدان، دور رائد. فقد تبنيا، وبصورة مقنعة، البرهان التالي: لا نكتب التاريخ مثلما ندون مجرد يوميات؛ فتقتضي كتابة التاريخ أن يكون للمرء وجهة نظر. وكانت الخطابات، في نظر هؤلاء الاختصاصيين، توفر للمؤرخ فرصة لإبراز فنه في التأليف وتقييم طريقة معالجته للمسألة، إذ ان كتابة خطاب تشكل عنصرا للتفسير من الدرجة الأولى. وبالرغم من التنوع السائد بين كتبة

التواريخ القدامى -هذا التنوع الذي يجعل التعميم صعبا- فإن الاعتبار الكبير الذي تحظى به كتابة الخطابات، لدى كتبة التاريخ الممتهنين، ووجود نماذج من معاصري لوقا مثل يوسيفوس، والأهمية القصوى المعطاة للخطابات في سفر الأعمال: هذا كله يضطرنا إلى أن نولي انتباها خاصا للدور الذي أدته الخطابات في مجرى تاريخ الكنيسة الأولى.

ويبدأ التحريض الأول الذي فاه به بطرس، بشكل جواب على سوء فهم. ففي الجمع، لا يرى بعض المستمعين سوى حماقة في تصرّف الرسل الغريب، وأخذوا ينسبونه إلى السكر:

"وكان آخرون يقولون ساخرين: لقد امتلأوا من النبيذ" (أعمال الرسل ٢: ١٣).

ويعكس بطرس البرهان، ويلح على أنه يجب فهم هذا الحدث على ضوء نبوءة وردت في الكتاب المقدس. فإن التصرف الخاص لدى هؤلاء المتكلمين بالألسنة يحقق نبوءة نطق بها يوئيل. ويسردها بطرس قائلا:

"سيكون في الأيام الأخيرة، يقول الرب، إني أفيض من روحي على كل بشر. فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبانكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلاما. وعلى عبيدي وإمائي أيضاً أفيض من روحي في تلك الأيام، فيتنبأون، وأجعل فوقا أعاجيب في السماء، وسفلا آيات في الأرض (دما ونارا وعمود دخان). فتنقلب الشمس ظلاما والقمر دما، قبل أن يأتي يوم الرب، اليوم العظيم المجيد. فكل من يدعو باسم الرب حينئذ يخلص" (أعمال الرسل ٢: ١٧-٢١).

إن سمات كثيرة من هذا المرجع جديرة بالملاحظة: أولا تأويل الخطاب الملهم الذي يتميز بكونه نبوءة. فيجب أن نرى في الروح المفاض على تلاميذ يسوع، الروح الذي كان يلهم الأنبياء. ويقول يوئيل إن الله قد وعد، "في الأيام الأخيرة"، بأن يفيض هذا الروح، ليس على قلة من المحظوظين حسب، بل "على كل بشر".

اعتقد اليهود، خلال القرن الأول، أن العهد النبوي قد انتهى منذ ملاخي، وأنه لن يُستأنف إلا في الأيام الأخيرة. وإذا ببطرس يعلن: "أن هذه الأيام الأخيرة قد حلّت". وما الخطاب العجيب الذي يلقيه إلا برهان على أن الله قد أفاض روحه. وهكذا افتتح عهد نبوي جديد، هو فجر "الأيام الأخيرة".

أما السمة الثانية الجديرة بالملاحظة في هذا المرجع، فهي أنه ينتهي قبل أن يعطي الخاتمة الواضحة الواردة في نبوءة يوئيل. وفي الواقع، إنه يتوقف فجأة في منتصف جملة، في حين أن النبوءة تتواصل في يوئيل على الوجه التالي:

"... لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم يكون ناجون، كما قال الرب، وفي الباقين أحياء من يدعوهم الرب" (يوئيل ٣: ٥).

هذا الانقطاع المفاجئ في المرجع، قبل النهاية الاعتيادية للنبوءة، لا يمكن أن يكون من دون قصد. لماذا انتهت النبوءة عند هذه الأقوال: "كل من يدعو باسم الرب يخلص"؟

إن مسألة اخرى من هذا النوع ترد في سفر الأعمال (٢: ٢٢). فبطرس يوجه الكلام من جديد إلى مستمعيه ("يا بني إسرائيل، اسمعوا هذا الكلام"): فمن جهة، يشير تكرار النداء إلى نهاية الاستشهاد بالنص الكتابي، وهو ضروري، لأن النص اليوناني الأصلي كان يجهل الضوابط؛ ومن جهة أخرى، بدا بطرس وكأنه يقفز من موضوع إلى آخر. فهو يتكلم الآن عن يسوع، وليس عن الروح القدس. لذا اتخذ بعض المفسرين الموقف التالي: إن الآية ٢٢ من الفصل الثاني من سفر الأعمال تشير حقا إلى انقطاع في النص. ومع ذلك، من المحتمل جدا أن يكون هناك ارتباط بين النهاية الغريبة لمرجع يوئيل وبين التغيير الظاهر في الموضوع.

يتكلم مقطع يوئيل عن فجر جديد يشار إليه بفيض روح الله، وهي فرصة للجميع "ليدعوا باسم الرب" ويخلصوا. ويقول بطرس بأن قد جاء الآن زمن الخلاص، وهذا هو معنى الألسنة. فالخلاص، من الآن، يُعرض "باسم الرب". ولكن من هو "**الرب**" في هذا النص؟ ليس من غموض ممكن في الكتاب المقدس العبري، إذ ان الكلمة المترجمة بـ "الرب" هو الاسم الخاص بالله "**يهوه**". إلا أن الترجمات

عن اليونانية، والتي يعتمدها معظم المسيحيين، لجأت إلى اللفظة اليونانية "رب" لترجمة اسم الله[٦]. والنقاش التالي الذي يدور حول يسوع، قد يوحي بأن المؤلف يستخدم لفظة "رب" عند يوئيل، بمثابة اشارة إلى يسوع، معتقدا أن النص يتكلم عن الخلاص باسم يسوع هذا عينه. وهذا هو بالضبط ما يرمي الخطاب إلى تبيانه.

إن التدليل في هذا الخطاب معقّد ويرتكز على تأويل محكم للنصوص الكتابية. فالاستشهادات بالعهد القديم وتأويلها، تزوّدنا بالإطار العام. والشروح التي تعطيها الآيات ٢٢-٢٤ عن يسوع، تقيم ارتباطا مع الاستشهاد بيوئيل. "**فالأعاجيب**" و"**الآيات**" التي وعد بها الله في نبوءة يوئيل (راجع أعمال الرسل ٢: ١٩) توجهنا إلى "الآيات" و"الخوارق" التي صنعها يسوع طوال رسالته العلنية (١: ٢٢). والنبوءة التي تقول إن "الشمس تنقلب ظلاما" تتحقق في موت يسوع (لوقا ٢٣: ٤٤). والشروح عن يسوع يتبعها مرجع طويل مقتبس من المزمور ١٦. ذلك ان الخطيب، مثل معاصريه من القرن الأول، يعتبر أمرا بديهيا أن تُقرأ المزامير وكأنها اقوال نبوية تخبر بالمستقبل. وإن سرد المزمور المنسوب إلى داود، لا يمكن أن يعود إلى داود نفسه. ذلك ان المزمور يشير إلى "**قدوس**" الله الذي لن يرى الفساد. لكن داود مات، وهو من ثمة لا يمكن أن يكون "القدوس" المذكور. ويفترض المؤلف، و دائما على ضوء نصوص كتابية أخرى[٧]، أن عبارة "القدوس" يجب أن تكون طريقة للإشارة إلى المشيح المتحدر من صلب داود، هذا الوريث الذي كان الله قد وعد بأن يجلسه على عرش داود (أعمال الرسل ٢: ٣٠، وهو يشير إلى المزمورين ٨٩ و ١٣٢).

والله، إذ يقيم يسوع من بين الأموات، يحقق وعد المزمور ويشخّص المسيح في يسوع. وإذ ذاك يتخذ خطاب بطرس منعطفا غريبا: "رفعه الله بيمينه". والآية الأخيرة من المزمور ١٦، التي لا يسردها سفر الأعمال لسبب مجهول، تبدو وكأنها تشرح الانتقال، إذ تقول: "عن يمينك نعيم على الدوام". وحرفيا يضع المزمور "القدوس" إلى يمين الله. فالحديث هو، إذن، عن القدوس الذي رُفع، أي المسيح الذي تحدث عنه المزمور ١١٠: ١، وهذا ما يشرح كيف رجع بطرس إلى الآية التالية:

"قال الرب لربي: اجلس عن يميني
حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك" (أعمال الرسل ٢: ٣٤-٣٥).

في هذه الآية، يدعو الرب الإله الشخص الثاني "**ربا**". وباللجوء إلى هذه الآية، برهن الخطيب عن اطروحته:

"فليعلم يقينا آل إسرائيل أجمع أن يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم قد جعله الله ربا ومسيحا" (أعمال الرسل ١: ٣٦).

وبعد أن برهن بطرس أن بوسعنا أن ندعو يسوع "**ربا**"، إذ ذاك يقدّم للجمع الخلاص بالعماذ "باسم يسوع المسيح" (أعمال الرسل ١: ٣٨). فيسوع هو، إذن، الرب الذي باسمه يُعطى الخلاص، كما كان يوئيل قد تنبأ. ويعود الخطاب الآن إلى سرد قول النبي، ويكمله إذ يحيل إلى "العدد الكبير من الذين يدعوهم الرب إلهنا" (أعمال الرسل ٢: ٣٩). وبهذا يتم كل شيء.

إن خطاب بطرس، وهو أول الخطب في سفر أعمال الرسل، يقدّم لنا الإطار الذي ضمنه يمكن استيعاب القصة. ذلك ان الأحداث الجارية تؤوَّل بمثابة تحقيق لرؤية يوئيل عن "**الأيام الأخيرة**". فقد جاء وقت النبوءة: وساعة التوبة والغفران التي طال انتظارها، اصبحت الآن وشيكة. والذين اختارهم يسوع ليحملوا الشهادة، يجمعون في أورشليم البقية الصغيرة من الأمناء، كما كان يوئيل قد تنبأ أيضاً بذلك. والآيات والخوارق التي تجري على أيديهم، تقدم البرهان على أن "**الأيام الأخيرة**" بلغت حقا، وأن الروح عامل الآن، بعد ان أفاضه يسوع المنبعث، من مكانه الخاص به، عن يمين الله. وتأتي خطابات أخرى لتملأ الفراغات وتزوّدنا بتفاصيل إضافية، ولكن الإطار الأساسي للأعمال قد سبق ان اكتمل. وهكذا يبدو الخطاب ضروريا للرواية. فهو، إذ يستخدم لغة الكتاب المقدس والتقليد، يقول لنا على مَ يقوم التاريخ: إنه يروي مجيء الأيام الأخيرة، ويقول ان نهضة شعب الله تواصل سيرها.

هناك شرحان إضافيان يسيران حسب النهج ذاته. الأول يتطرق إلى قيمة هذا الخطاب (والخطابات الأخرى الواردة في سفر الأعمال) بمثابة مصدر مفضّل، يمكننا انطلاقا منه أن نعيد تكوين لوحة أصيلة لمهمة الرسل.

فالخطاب مرتبط ارتباطا وثيقا بالمخطط العام لسفر الأعمال، وهو أساسي لفهم مجمل الرواية، بحيث يصعب عدم اعتباره من وضع مؤلف الأعمال ذاته. ويكشف الاستخدام المعقّد لنصوص الكتاب المقدس عن معرفة عميقة بالعهد القديم. والبرهان الأكثر إقناعا على أن صياغة هذا الخطاب هو من عمل لوقا، يكمن في أن الأدلة الحاسمة للنص والارتباط فيما بينها، ترتكز على النقل اليوناني للعهد القديم وليس على النص العبري. ولكن أية كانت النواة التاريخية الأولى الكامنة في الرواية، في صيغتها الحالية، فإن خطاب العنصرة الكبير مدين بوجوده، على الأرجح، لمؤلف سفر الأعمال. والعديد من الذين يختصون بدراسة هذا الكتاب يعتقدون أن الأمر هو ذاته بالنسبة إلى الخطابات الأخرى التي وردت فيه.

اما الشرح الثاني، فيتناول الصيغة. ومفاده ان الخطاب يطلع علينا في منظور يهودي نموذجي: ذلك ان بطرس يوجّه الكلام إلى مستمعين، مكوّنين من يهود جاءوا من جميع أنحاء العالم، لذا يؤوِّل خطابُه الكتاب المقدس اليهودي. ففي منظور خطاب العنصرة، لم ينشئ مجيء يسوع وموته وقيامته ديانة جديدة. وانما يفتتح فيض الروح عهدا جديدا من تاريخ إسرائيل، العهد الذي توقّعه الأنبياء. إنها حقبة نهضة (أعمال الرسل ١: ٦-٨). ولن تظهر علاقة هذا الأمر بالوثنيين إلا في وقت لاحق.

مُرسَلو المسيح

إن الحركة التي نشأت يوم العنصرة، انتشرت مثل نثار بارود في الإمبراطورية الرومانية برمتها. والعنوان الحالي لمجلد لوقا الثاني "أعمال الرسل"، لم يكن مكتوبا على النسخة الأصلية، وقد يقودنا إلى خطأ في التأويل. فالمؤلف يبدو أقل اهتماما برسم صورة حية للأبطال السابقين منه بعرض النمو المذهل "**للطريقة**".

ان قصة انتشار هذه الطريقة هي، إلى حد كبير، قصة حفنة من الأشخاص. وتضم لائحتهم بطرس ويعقوب ويوحنا وفيلبس واسطيفانس وبولس. ويقوم فيلبس ويعقوب بدور هام في المأساة، ولكن شخصيتهم ضعيفة؛ ويبدو يوحنا الرفيق الصامت لبطرس، ولا يخرج قط من الخفاء. ويحتل اسطيفانس المسرح وقتا لا بأس به، لكي يلقي خطابا رئيسا، ومن ثم يختفي. أما بطرس وبولس، فيمكننا أن نقول إنهما شخصان لهما وزنهما. وحتى فيما يتعلق بهذين الشخصين المرموقين، فإن خطاباتهما مقولبة إلى حد كبير. وقليلة جد هي العناصر التي تميز خطابات بطرس الرسولية عن خطابات بولس. ذلك ان التدخلات العامة الشخصية حقا والوحيدة، هي الخطاب الذي ألقاه بولس في اريوباغس مدينة أثينا (أعمال الرسل ١٧)، فضلا عن الخطابات التي ألقاها للدفاع عن نفسه (الفصول ٢٢-٢٦). وبخلافه، لا تبرز الخصوصيات إلا في الروايات، وهنا أيضاً تحتل "الكلايش" مكانا كبيرا. ومع أن لوقا لا يجهد نفسه للدخول إلى اعماق أشخاصه، لكنه يظهر اهتماما خاصا بدور المبعوث أو الرسول، وهو الدور الذي يبدو هاما في نظره، بأهمية الذين يطلق عليهم هذا اللقب.

ومهمة هولاء المبعوثين أو الرسل قد تناولها لوقا مفصلا، وبعناية، في إنجيله. فلنلق نظرة على ما قاله عنهم:

لوقا (٦: ١٢-١٦):

من بين جماعة هامة من التلاميذ، يختار يسوع اثني عشر، ويطلق عليهم اسم "الرسل" (او المبعوثين). ولا يكاد يذكر شيء عن هذه المهمة، ما خلا أنهم سيُرسلون.

لوقا (٩: ١-٥):

يرسل يسوع الاثني عشر للكرازة، ويوليهم "قدرة وسلطانا على جميع الشياطين، وعلى الأمراض لشفاء الناس منها". إنه يرسلهم "ليعلنوا ملكوت الله ويشفوا المرضى". ولا نرى فرقا بين دورهم كموفدين، وبين دوره. (راجع ٤: ١٨-١٩).

لوقا (١٠: ١-١٦):

خلال الرحلة التي قام بها يسوع إلى أورشليم، هوذا يرسل سبعين (أو اثنين وسبعين) موفدا يهيئون الطريق. ويتلقى هؤلاء تعليمات مفصلة حول طريقة القيام برسالتهم: "من سمع إليكم سمع إليَّ، ومن أعرض عنكم أعرض عني، ومن أعرض عني أعرض عن الذي أرسلني". فالرسول يتكلم بسلطة ذاك الذي أرسله.

لوقا (١٢: ٨-١٢):

حينما يحدد يسوع "التجديف على الروح القدس"، يميّز ما بين الكلام على ابن الإنسان (أي ضده، هو يسوع)، وهي خطيئة يمكن أن تنال المغفرة، والكلام ضد الروح القدس، وهي خطيئة لا تُغفر. ومعنى الكلمات السابقة يُشرح في الآيات التي تتبعها مباشرة:

"عندما تساقون إلى المجامع والحكام وأصحاب السلطة، فلا يهمّنّكم كيف تدافعون عن أنفسكم أو ماذا تقولون، لأن الروح القدس يلقنكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوا".

إن رفض قبول الشهادة التي يقدمها الرسل الممتلئون من الروح القدس، بعد أن يكون زمان "الجهل" قد ولّى (أعمال الرسل ٣: ١٧-١٩؛ ١٧: ٣٠-٣١)، يشكّل في حد ذاته "التجديف على الروح القدس".

لوقا (٢١: ١٢-١٩):

خلال تحريض يتناول المستقبل، ينبه يسوع تلاميذه إلى ما ينتظرهم من قبل الناس المتمركزين: سوف يُسجنون، ويضطرون إلى المثول في المجامع وأمام الملوك والحكام. ويعد يسوع بدعم شهادتهم، بإعطائهم "من الكلام والحكمة ما يعجز جميع خصومهم عن مقاومته او الرد عليه". وفي تصريح يهم كثيرا القصة التي ينقلها لنا سفر أعمال الرسل، يعد يسوع تلاميذه وعدا احتفاليا "بأن شعرة من رؤوسهم

لن تُفقد" (الآية ١٨). وترد في الأعمال روايات نجاة عجائبية تبرهن عن تحقيق هذا الوعد.

لوقا (٢٢: ٢٨-٣٠):

يقطع يسوع لتلاميذه، في خطاب أثناء العشاء الأخير، وعودا مذهلة:

"أنتم من ثبتم معي في محنتي، وأنا أوصي لكم بالملكوت، كما أوصى لي أبي به، فتأكلون وتشربون على مائدتي في ملكوتي، وتجلسون على العروش، لتدينوا إسرائيل الاثني عشر".

وكان من الضروري ان يختار رسول ثاني عشر، بعد اختفاء يهوذا، ليكون لكل من أسباط إسرائيل الاثني عشر حاكمه (أعمال الرسل ١: ١٢-٢٦).

لوقا (٢٤: ٤٦-٤٩):

في مقطع دار النقاش حوله، في موضع سابق من هذا الكتاب، يحدَّد دور الرسل في سياق ما "كُتب". عليهم أن يعلنوا التوبة وغفران الخطايا في جميع الأمم، ابتداءً من أورشليم.

والوعد بقوة من العلى يُقيم ارتباطا مباشرا بحدَث العنصرة.

بطرس

يجسّد بطرس، أكثر من أي شخص آخر، المثل الأعلى للرسول، وقد بُذلت عناية كبيرة في تثقيفه طوال الإنجيل كله. ليس بوسع المرء أن يتوقع من بطرس شيئا مثيرا. إنه الخطيب الذي لم يتلقَّ تثقيفا واسعا، وكان ذلك الصياد الممتهن. فكل ما كان يرجى منه قد تلاشى، اثر تصرفه خلال محاكمة يسوع (لوقا ٢٢/٥٤-٦٢). إلا أن بطرس، مثل سائر التلاميذ، قد نال الغفران واستعاد صداقة يسوع. ومن ثم، بمجيء الروح القدس في العنصرة، استحال بطرس زعيما لا جدال

فيه. وأحرز خطابه الأول نجاحا باهرا أدى إلى اهتداء ثلاثة آلاف من المستمعين. وسرعان ما يسترعي هذا الصياد الاعتيادي انتباه السلطات -كما كان يسوع قد أعلن ذلك- حين أُخضع، هو ويوحنا، للاستجواب، وجُلدا، ثم أُودعا السجن؛ وكان ذلك كله دون جدوى: فإن السجون ذاتها عجزت عن حجزهما (أعمال الرسل ٥: ١٧-١٦). وبلغت شعبية بطرس درجة جعلت رؤساء الكهنة يخافون أن يسيئوا معاملته، خشية التعرض للرجم (أعمال الرسل ٥: ٢٦). وروايات النجاحات التي أحرزها بطرس مطنبة إلى حد كبير. فهو، مثل يسوع، يشفي المقعدين، لا بل يقيم الموتى. وبعض التعليقات بشأنه تمضي إلى مدى أبعد مما قيل عن يسوع ذاته:

"كانت جماعات من الرجال والنساء تنضم إلى الرب (...)، حتى إنهم كانوا يخرجون بالمرضى إلى الشوارع، فيضعونهم على الأسرّة والفرش، لكي يقع ولو ظل بطرس عند مروره على أحد منهم" (أعمال الرسل ٥: ١٤-١٥).

إلا أن جوهر الرواية لا يكمن في العظمة الملازمة لبطرس أو لرفاقه؛ انما فصاحته هي شهادة تؤدَّى لحضور الروح:

"لما رأوا جرأة بطرس ويوحنا، وقد أدركوا أنهما أميّان من عامة الناس، أخذهم العجب (أعضاء المحفل)، وكانوا يعرفونهما من صحابة يسوع" (أعمال الرسل ٤: ١٣)

إن الروح الذي أفاضه يسوع ذاته على الرسل، هو الذي يشرح التغيير العجيب والنجاح الباهر لهذه الحركة الجديدة. فَلَكَم قيل لنا أن بطرس ويوحنا لا يتصرفان من تلقاء ذاتهما: إنهما "باسم يسوع الناصري" يجريان الأشفية (أعمال الرسل ٣: ٦، راجع ٤: ١٠)، ويتكلمان بجرأة، لأن الروح القدس هو الذي "يهب لهما أن يتكلما" (أعمال الرسل ٢: ٤). إنهما يتخلصان من أعدائهما، طبقا للوعد

الذي قطعه يسوع. وواحد من رؤساء اليهود المحترمين -ويا للسخرية!- اسمه جملائيل هو الذي، بتدخله في المحفل، يزوّدنا بتأويل لما يجري، إذ يقول:

"يا بني إسرائيل، إياكم وما تبغون لهؤلاء الناس، فقد قام ثودس قبل هذه الأيام، وادّعى أنه رجل عظيم، فشايعه نحو أربعمائة رجل، فقتل وتبدّد جميع الذين انقادوا له، ولم يبق لهم أثر. ثم قام يهوذا الجليلي (...). وأقول لكم في صدد ما يجري الآن: كفوا عن هؤلاء الرجال، واتركوهم وشأنهم، فإن يكن هذا المقصد أو العمل من عند الناس، فإنه سينتقض. وإن يكن من عند الله، لا تستطيعوا أن تقضوا عليهم. ويخشى عليكم أن تجدوا أنفسكم تحاربون الله" (أعمال الرسل ٥: ٣٥-٣٩).

يمكننا أن نحدد موضوع الفصول الأولى من سفر الأعمال بمثابة "انتصار الروح" -هذا الروح الذي يتكلم ويعمل من خلال تصرفات بطرس والرسل الآخرين. لقد افتتح عهد جديد، يعلن عنه أولئك الذين يشهدون لقيامة يسوع. والاندفاع الذي نشأ في أورشليم، سيؤدي بالرسالة إلى أقاصي الأرض، رغم كل العقبات. والذين يسعون سدى إلى معارضة الرسل، فهم انما يعارضون الله. وإذ يرفض رؤساء الشعب شهادة أولئك الذين من خلالهم يتكلم روح الله، فهم بذلك يفقدون حقوقهم في هذا اللقب، ويجعلون أنفسهم مذنبين بالتجديف على الروح القدس وعلى الله. ويحل الاثنا عشر محلهم كرؤساء حقيقيين للشعب الإسرائيلي.

ويهيمن بطرس على النصف الأول من سفر أعمال الرسل، بصفته يحيا تحت قيادة الروح بصورة نموذجية، مجترحا آيات وأعاجيب، وملقيا خطابات هامة. انه يقوم أيضاً بدور حاسم، إذ يجسّد التيار "المتحرر" في حضن كنيسة أورشليم. فبطرس الذي كان، بحسب بولس، وبشيء من التهكّم، مكلّفا بالتبشير بالإنجيل لأهل الختان (غلاطية ٢: ٧)، يظهر في الأعمال بصفته أول من أُرسل إلى غير المختونين. وحتى في الأعمال، ليس من البديهي أن يكون الأمر قد جرى هكذا. ففي الفصلين ٦ و٧، يصف المؤلف جدالا دار بين الهلينيين والعبرانيين تمخض عن تعيين سبعة شمامسة؛ واثر ذلك، استشهد واحد منهم، وطُرد الآخرون من

أورشليم. ويقول النص إن الاضطهاد موجّه ضد "**الكنيسة**"، ولكن بما أن بطرس والآخرين ما زالوا في أورشليم بعدُ، لمدة وجيزة، فيبدو أن هذا الاضطهاد كان موجها ضد فئة معينة من الحركة، أعني ضد الهلينيين (راجع أعمال الرسل ٨: ١).

و**فيلبس**، واحد من الذين طُردوا، أخذ يحمل البشرى للسامريين، ولكن لا للوثنيين بعدُ. وهذا الأمر يشكل استثناء في نوع الكرازة التي مارسها التلاميذ إلى ذلك الحين. ونعلم أن بعضا من الهلينيين ساروا إلى أنطاكيا، حيث وجهوا الكلام إلى اليونانيين أيضاً (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٠). ثم تتوقف قصة الوعاظ المشتتين بعد ذكر فيلبس، ولا تُستأنف إلا في وقت لاحق (أعمال الرسل ١١: ١٩ وما يتبع).

أما الآن، (ونحن في أعمال الرسل ٨: ١)، فقد انقطعت هذه القصة باهتداء **بولس**، رسول الأمم الشهير. ولكن قبل مواصلة قصة بولس، نحن أمام استطراد جديد، وهذه المرة، للكلام عن اهتداء قرنيليوس على يد بطرس (الفصل ١٠). فلأن يكون هذا الوثني أول من اهتدى أو لا، فإن اهتداءه، في سفر أعمال الرسل، يشير إلى بداية رسمية لتوجّه جديد. وبطرس هو الذي أعطى الضوء.

لا يشعر بطرس بميل طبيعي إلى الذهاب عند قرنيليوس. ونعلم، من رؤية رآها قرنيليوس (أعمال الرسل ١٠: ٣-٦)، ان هذا ما ينتظره الله منه. وكان ينبغي لبطرس ثلاث رؤى، يطهّر الله خلالها ما كان نجسا، بالإضافة إلى تدخل مباشر من الروح القدس (أعمال الرسل ١٠: ١٩-٢٠)، لكي يقبل الامتثال لهذا الأمر. انه يدخل بيت الوثني على مضض، ولكنه، بصفة يهودي ملتزم، أخذ يبدي تحفظاته (أعمال الرسل ١٠: ٢٨-٢٩)، ومن ثم راح يلقي خطابا وجيزا ألحّ فيه على "ما يجريه الله في بلاد اليهود". وإذا بالخطاب ينقطع باجتياح الروح القدس.

"فدهش المختتنون الذين رافقوا بطرس إذ رأوا موهبة الروح القدس قد أفيضت على الوثنيين أيضاً" (أعمال الرسل ١٠: ٤٥).

ونقرأ حرفيا ان بطرس اصبح مرغما على منح العماذ لقرنيليوس وأهل داره وقبولهم في أسرة الله، مع كونهم وثنيين. ولدى عودته إلى أورشليم، تعرض بطرس

لخصام المختونين "على أنه أكل مع أناس قلف" (أعمال الرسل ١١: ٢-٣). ولا تتوقف القضية على معرفة ما إذا كان يجب قبول الوثنيين في مقاسمة الإنجيل، وانما بأي شروط يمكن أن يتم ذلك. ذلك ان التوراة تمنع كل الصلات معهم في حقل الحياة الاجتماعية، وهوذا بطرس قد أكل مع الوثنيين... والقصة التي يرويها بطرس عن رؤياه وعن فيض الروح القدس على الوثنيين -وقد تطهروا من جراء ذلك- تخمد الخلاف بصورة مؤقتة.

لكن القضية تظهر من جديد، وبصورة أكثر حدّية، في الفصل ١٥، في ما سمّي بـ "**المجمع الرسولي**". ويبدو أن المناسبة، هذه المرة، كانت قضية تتعلق بالخدمة في كنيسة أنطاكيا، وبالأخص بشأن خدمة بولس وبرنابا. و يحدونا كل شيء إلى الافتراض بأن الاجتماع الذي نحن بصدده هو الاجتماع عينه الذي يرد وصفه في رسالة بولس إلى الغلاطيين (الفصل ٢).

إلا أن بطرس هو الذي، في سفر الأعمال، يقوم بالدور الأول: فالتقرير الذي يقدمه عن زيارته لقرنيليوس، يوفر ليعقوب المجال لاتّخاذ قرار بشأن الوثنيين، بدعم من نصوص كتابية. وحينما يقدم لوقا هذا الحدث، يبدو وكأن لا أثر للدور الذي يقوم به بولس، في المجمع، كما في القرار. وسنلقى قضية اليهود-الوثنيين في فصل لاحق. لنشر هنا فقط إلى الدور الرئيس لبطرس في الرسالة الموجهة إلى غير اليهود.

ونلاحظ في الأعمال أن القرارات "**المتحررة**" المتعلقة بقبول الوثنيين، يأخذها بطرس ويعقوب، وهما شخصيتان لا غبار على ألقابهما كممثلين للديانة اليهودية[٨]. وهكذا لا تأتي أهمية بطرس من كونه ذاك الملهَم من الروح القدس بنوع ممتاز ورئيس حلقة الرسل حسب، بل لأنه أيضاً يهودي يُتّخذ من نفوذه سندا لإقرار شرعية قبول الوثنيين غير المختونين كمنتمين إلى "**الطريقة**".

ويزوّدنا بولس، في الرسالة إلى أهل غلاطية، بوصف مختلف بعض الشيء عن "**المجمع**" وعن الدور الذي لعبه فيه بطرس، وهذا يسهم فقط في دعم المعنى الذي ينطوي على دور هذا الأخير، لمن يريد استيعاب منظور سفر الأعمال.

اسطيفانس

طوال الفصول الخمسة الأولى، نلاحظ أن بطرس هو الشخصية الرئيسية: فهو يشفي المرضى، وكلمته تجري الالوف من الاهتداءات، وهو الذي يمارس السلطة في الشيعة الجديدة التي تنتشر في أورشليم. والحركة تنمو وتمتد، بالرغم من سخط الصدوقيين الذين لا يؤمنون بالقيامة، لذا فهم مستاؤون جدا من كرازة الرسل (أعمال الرسل ٤: ٢). وتأتي الاضطرابات في الخارج، ولكنها لا تفلح في إيقاف موجة الاهتداءات.

ويسجل الفصل السادس من سفر الأعمال فترة انتقال. ذلك إن الحركة الفتية تتعرض لصعوبات متزايدة: "كان اليهود الهلينيون يتذمرون على العبرانيين" (أعمال الرسل ٦: ١). ولا يوضح المؤلف هوية هاتين الفئتين. لا شك أن التعابير تشير إلى اليهود الناطقين باليونانية واليهود الناطقين بالآرامية. والأسماء اليونانية "**للشمامسة**" السبعة المختارين من بين الهلينيين، والإشارة إلى أن أحدهم هو أنطاكي دخيل (أعمال الرسل ٦: ٥) تدعم هذا التأويل. أما دواخل الخصام، فلا تبدو واضحة. وإذا نظرنا إلى المعضلة من الخارج، بدت لنا على النحو التالي: إن ثمة، في نظر البعض، عدم مساواة في توزيع الخيرات. لكن الشمامسة ليسوا مجرد مدبرين للشؤون المالية ومسؤولين عن "**خدمة الموائد**". هوذا اسطيفانس وفيلبس يسهمان بنشاط في التبشير. ومن الواضح أن هناك معضلات معقدة تتجاوز ما كشفه لنا لوقا. وربما كان يعكس خلافات عميقة بين الفرق داخل مجتمع أورشليم. ومن المؤكد تقريبا أن هذه الخلافات كانت تجد صدى لها عند المسيحيين. وهذا ما يبيّنه الحدث التالي: حينما يثور اضطهاد كبير ضد الكنيسة، نتيجة قتل اسطيفانس، يبدو أن الوحيدين الذين يطردون هم الهلينيون. وستستمر طبيعة الخلاف في إفساح المجال لتأويلات مختلفة عند الاختصاصيين، إلى أن نتوصل إلى معرفة أكمل للمجتمع اليهودي في القرن الأول.

واسطيفانس، الرجل الثاني في الأهمية في سفر الأعمال، يدخل بغتة إلى مسرح الأحداث، ويقدَّم كواحد من الشمامسة، ويقال عنه فقط أنه "ممتلئ من

النعمة والقوة"، وإنه "يأتي بأعاجيب وآيات مبينة في الشعب" (أعمال الرسل ٦: ٨). ومع أنه ليس من بين الاثني عشر، فهو عاكف بنشاط على رسالة تجاه يهود الشتات الموجودين في أورشليم (أعمال الرسل ٦: ٩). وتثير كرازته نزاعا سيفضي إلى المحاكم. وليست قضية القيامة هنا موضوع الخلاف، كما كانت الحال لبطرس ويوحنا، بل ان ما يُتّهَم به اسطيفانس هو الجحود والتجديف؛ وهذه هي المرة الأولى التي تلصَق فيها هذه التهمة بالذين يؤمنون بيسوع:

"فرشوا أناسا ليقولوا: إننا سمعناه يجدّف على موسى وعلى الله" (أعمال الرسل ٦: ١١).

واسطيفانس، المتهم بالهرطقة، يدعى للمثول:

"هذا الرجل لا يكفّ عن التعرض بكلامه لهذا المكان المقدس وللشريعة. فقد سمعناه يقول إن يسوع ذاك الناصري سينقض هذا المكان، ويبدّل ما أورثنا موسى من سُنن" (أعمال الرسل ٦: ١٣-١٤).

إن هذه الاتهامات الشبيهة، إلى حد كبير، بتلك التي اختلقها "شهود زور" في محاكمة يسوع، كما ورد في روايتي متى ومرقس، تعطي اسطيفانس الفرصة لإلقاء خطابه، وهو أطول خطاب جاء في سفر الأعمال. وهذا الخطاب دفاعي تماما!

ينصبّ هذا السيل من الفصاحة في زمان دقيق من التاريخ: فهو يشير إلى الانتقال من رسالة عند سكان أورشليم إلى رسالة عند السامريين ويهود الشتات، وأخيرا عند الوثنيين. ويتجاوز الرهان مصير اسطيفانس. ولا تأتي أهميته من صفته مرسلا، بقدر ما تأتي من صفته ممثلا للتقليد وللأزمة الوشيكة الانفجار في حضن الجماعة اليهودية. فما هو المعنى الذي يجب إعطاؤه لفعل رؤساء شعب إسرائيل الذين يحكمون على اسطيفانس كجاحد؟ لقد كانت إحدى التهم التي أثقلت كاهل اسطيفانس هي أنه تعرض بكلامه للهيكل. وكان يسوع، بحسب لوقا (٢١: ٥-٢٤)، قد أنبأ بخرابه. هل يُعقل أن يكون يسوع وتلاميذه من الجاحدين والهراطقة الذين يرفضون تراثهم الخاص، ويحرمون أنفسهم من الحق في أن يدعوا أبناء إبراهيم؟

إلى أي مدى يمكن ان تكون المعارضة للهيكل واضحة؟ وهل تنطوي مثل هذه المعارضة على تهجّم على طريقة الحياة اليهودية في مجملها؟ يرمي الخطاب إلى الجواب على هذه الأسئلة، في صيغة منهاج حقيقي. وكما كان الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه بطرس صبيحة عيد العنصرة، كذلك يرمي خطاب اسطيفانس إلى إعطاء إطار، فيه ستُفهم أحداث الساعة وأحداث المستقبل أيضاً[٩].

يختلف خطاب اسطيفانس عن جميع الخطابات التي وردت حتى الآن في سفر أعمال الرسل. فهو ليسر تحريضا رسوليا يحاول اجتذاب المهتدين، ولا طرحا مكثفا للنصوص الكتابية. إنه رواية على شاكلة ملحمة، ولوحة تاريخية من النوع المألوف في العهد القديم الذي يذكّرنا بحديث يشوع إلى الأسباط المجتمعة (يشوع ٢٤)، أو بصلاة عزرا التي وردت في سفر نحميا (الفصل ٩)، أو بصلاة دانيال (دانيال ٩) -وربما أيضاً بالتأمل التعليمي الذي يشكله المزمور ٧٨. وكما يجري الأمر غالبا في اطار الرؤى البانورامية، فقد اختيرت بعض الأحداث لإبراز النقاط الأساسية من الخطاب. فعناصر التاريخ الدينامية ترتبط فيه مع بعضها، في منظور محدد، إذ إن الرواية تهدف إلى إحداث مفعول معيّن على المستمعين، لا بل انها تسعى إلى إثارة جواب ما. وستتيح لنا المقاربة بروايات أخرى أن نبرز الطابع الخاص للمنظور المرسوم في الفصل السابع من الأعمال ونوضح مهمته.

لقد كان خطاب يشوع، وهو أبسط انواع الخطابات، يرتكز على فكرة واحدة: كل ما في حوزة الأسباط، هو عطية من الله. فهو الذي مهّد الطريق أمامهم، وأنقذهم من العبودية، ومنحهم أرضا. وبالمقابل، يبقى الالتزام الوحيد الذي ينتظره: أمانة لا عيب فيها.

وقصة المآثر التي حققها الله لصالح شعبه، تقود رأسا إلى الاختيار الذي يعرضه يشوع: "انبذوا الآلهة الغريبة واعبدوا الله الذي حارب عنكم (يشوع ٢٤: ١٥).

والمزمور ٧٨ -على مثال التاريخ التصحيحي لما بعد الحرب الأهلية، في الولايات المتحدة الأمريكية- يروي تاريخ شعب الله من وجهة نظر "جنوبية": ان

تدمير الآشوريين سنة (٧٢١ ق.م.) للمملكة الشمالية، هو بمثابة جزاء العصيان. كما أدّت مباشرة تصاميم الله على شعبه، حسب المؤلف-الكاتب، إلى اختيار داود ملكا وإلى توطيد سلالته. و القصة التي يسردها تعكس صورة مختلفة عن صورة الإنسان الذي يعتبر نفسه في عداد مختاري الله؛ فهي تشدد على الأمانة لبيت داود وتجاه المؤسسة الدينية الموجودة في أورشليم.

أما صلاتا عزرا ودانيال، فكلتاهما تلقيان نظرة استذكارية على تاريخ شعب الله، لتَرَيا فيه قصة عصيان. فالسرد هو سلسلة تمردات تؤدي إلى دمار إسرائيل. إلا أنه، فيما يخص عزرا، كل شيء موجه نحو تسليم الشريعة كنقطة جوهرية في تاريخ إسرائيل. انه يجهل نسبيا عهد الملوك، وينتهي، عبر تحليق واسع، بدعوة إلى الطهارة الطقسية. أما دانيال، فهو يرى في مدينة داود تجسيدا للوعود التي قطعها الله لإسرائيل، وينتهي بتضرّع مضطرم كي يعاد إليها مجدها التليد.

وهكذا تقدّم جميع هذه القصص ميزات خاصة بكل منها، وتعكس مفاهيم عن الهوية، كما تعكس تنوع الأماني المتعلقة بالمستقبل.

ان بداية كل لوحة، ونهايتها، واختيار الأحداث، كل هذا يسهم في حمل المستمعين على إعطاء جواب موجّه. وكذا الشأن مع الخطاب الوارد في الفصل السابع من الأعمال.

فالتاريخ الذي يرويه اسطيفانس يبدأ بإبراهيم "أبينا" وبوعد من الله: "أخرج... واذهب إلى الأرض التي أدلّك عليها". إلا ان الآية السابعة تحمل الوعد الذي غيّر مجرى التاريخ. فإبراهيم يتلقى تنبيها إلى أن البركة التي تحل على ذريته لن تكون نافذة إلا بعد حقبة من العبودية:

"أما الأمة التي تستعبدهم، فإني أدينها، ويخرجون بعد ذلك فيعبدونني في هذا المكان" (أعمال الرسل ٧: ٧).

ومع بقية قصة أسرة إبراهيم، يتم مسار هذا الوعد. والسؤال هو التالي: ماذا يعني الله إذ يقول: "هذا المكان"؟ قد يسعنا أن نجيب: جبل سيناء. وحينذاك

يكون من شأن إعطاء الشريعة على هذا الجبل تحقيقا للوعد الإلهي. إلا أن تأويلا أكثر تداولا في التقليد اليهودي يرى ان هذا التحقيق يكمن في تشييد الهيكل. ذلك ان "المكان"، في سفر تثنية الاشتراع، هو نسبيا مرادف للهيكل المقام على جبل صهيون، أي "المكان" الذي اختاره الله ليسكن فيه إلى الأبد (راجع مز ١٣٢: ١٤).

وسنرى كيف يحدّد اسطيفانس تحقيق الوعد في موضع آخر.

ان اختياره لأحداث مستقاة من تاريخ إسرائيل، ليس مألوفا. ولا يتحدث اسطيفانس قط عن القصص (أو الأعمال) التي تخص اسحق ويعقوب. وبالمقابل، نراه يتكلم عن يوسف، هذا الشخص الذي لا يخلو حقاً من أهمية، ولكنه لا يحتل الموقع الأول فيما يتعلق بماضي إسرائيل.

إلا أن قصته هامة لسببين: أولا لأنها تروي كيف تحققت وعود الله المتعلقة بالعبودية وبالمعاملات السيئة؛ وثانيا، لأنها تأتي بموضوع سيبقى متداولا خلال القصة كلها: موضوع خلاف في قلب العائلة: يوسف يتعرض لحسد اخوته الذين يبيعونه عبدا. هكذا، منذ ذلك الحين، كانت أسرة إبراهيم تعاني من النزاعات الداخلية. ومن حسن حظ الخلف، ان الله كان مع يوسف، ولم تَحُلْ مساعي اخوته الدنيئة دون تحقيق مخططات الله. وهكذا ستبقى مساحة لموضوع الرفض والانتقام على مدى التاريخ. والقسم الأكبر من الرواية يختص موسى؛ ومن جديد يظهر موضوعان مختلفان: لقد اختير موسى كي يحرر أبناء إبراهيم من العبودية. وفيما "كان يقترب زمان الوعد" أقام الله موسى. إلا ان الراوية يتوقف هنا ليحكي اول رفض لقيه موسى لدى قومه (أعمال الرسل ٧: ٢٣-٢٩): "من أقامك علينا رئيسا وقاضيا؟".. بهذا السؤال توجه اليه "اخوته". ولكن الجواب قد أُعطي: هو الله الذي أرسله إليهم رئيسا ومحررا (أعمال الرسل ٧: ٣٥). وهكذا كان هذا الرفض الأولي الذي لقيه موسى استباقاً لما سيجري في الصحراء. وفيما كان موسى لا يزال يتسلم لوحَي الشريعة، في سيناء، راح شعبه يصنع صنما:

"فلم يشأ آباؤنا ان ينقادوا له، بل ردّوه، وتلفّتت قلوبهم نحو مصر..." (أعمال الرسل ٧: ٣٩).

وعوض أن يطيعوا موسى الذي أقامه الله لهم رئيسا ومحررا، قرّب "آباؤنا" ذبيحة للصنم "وابتهجوا بصنع ايديهم" (أعمال الرسل ٧: ٤١).

فموسى هو، في آن واحد، صانع تحقيق المواعيد الالهية الماضية، ونموذج المحرر الآتي:

"هوذا موسى الذي قال لبني إسرائيل: سيقيم الله لكم من بين اخوتكم نبيا مثلي" (أعمال الرسل ٧: ٣٧).

ان يسوع، في خطاب بطرس، كما نقله لنا سفر الأعمال، مشخَّص بوضوح على انه النبي الشبيه بموسى (أعمال الرسل ٣: ٢٢-٢٣). ويسوع، على مثال موسى، أجرى آيات ومعجزات (أعمال الرسل ٢: ٢٢ و٧: ٣٦). ومثل موسى، رفضه بعضٌ من اخوته. وهكذا نرى ان نموذج المعارضة المتأصلة في تاريخ إسرائيل يسري في الحاضر أيضاً:

"يا غلاظ الرقاب، ويا غلف القلوب والآذان، إنكم تقاومون الروح القدس. وكما كان آباؤكم، فكذلك أنتم. أي نبي لم يضطهده آباؤكم. فقد قتلوا الذين أنبأوا بمجيء البار، وأنتم أصبحتم له خونة وقتلة. فقد أخذتم الشريعة التي أعلنها الملائكة ولم تحفظوها" (أعمال الرسل ٧: ٥١-٥٣). (والتشديد على المخاطب الجمع هو زيادة من وضع المؤلف).

فيسوع ومرسلوه يندرجون في سلسلة طويلة من الناطقين باسم الله، الذين رُفضوا. وإذا ما تبنينا هذا الطرح، تكون أسرة إسرائيل قد عرفت الانقسام دوما، ويكون فرع منها قد رفض بإصرار أولئك الذين اختارهم الله لقيادة شعبه والتكلم باسمه، وهم الرؤساء والناطقون باسمه الذين اختصّهم. وحين يرفض رؤساء اليهود يسوع ومرسليه -مثل اسطيفانس- فهم بذلك يعارضون الروح القدس (انظر أعلاه) ويظهرون انتماءهم إلى فرع الأسرة الذي نبذ الله دوما. فهم، وليس

اسطيفانس والذين يتكلم باسمهم، هم يهود أثمة وخونة تجاه التقليد. بل هم، وليس اسطيفانس، المذنبون بالتجديف على روح الله.

ثم يتمحور الخطاب حول مظهر آخر من تاريخ إسرائيل، في صلة مباشرة مع حالة اسطيفانس: الهيكل. وكما قلنا سابقا، رأى بعض الشراح في ظهور الله لموسى على جبل سيناء، اكتمال الوعد بعبادة تؤدى "**في هذا المكان**". ومع ذلك فإن اسطيفانس لا يذكر ذلك في خطابه. وبوسعي أن أقول بالأحرى، إنه يصف "**قبة الشهادة**" كموضع للعبادة طوال زمان التيه في البرية. لقد كانت هذه الخيمة "**مكان**" السجود، إلى أن حدّده داود في أورشليم وفي الموضع الذي فيه أقام سليمان الهيكل. فإن تشييد الهيكل، في الفكرة الرابينية، وحسب التعليم اللاهوتي الداودي لسفر الملوك والتثنية والمزامير "الملوكية"، هو تحقيق الوعد الذي قُطع لإبراهيم. فجبل صهيون هو الموضع الذي اختاره الله لسكناه، وهناك، من الآن، يجب تقديم العبادة له. وحسب اسطيفانس، يحتوي هذا الأمر على سوء فهم خطير، لأن الله لا يسكن البيوت:

> "**إن العلي لا يسكن في بيوت صنعتها الأيدي، كما قال النبي:**
> **يقول الرب: السماء عرشي، والأرض موطئ قدمي.**
> **أي بيت تبنون لي؟ أم أيا يكون مكان راحتي؟**
> **أليست يدي قد صنعت هذه كلها؟**" (أعمال الرسل ٧: ٤٨-٤٩).

ويلاحظ اسطيفانس، في نص اشعيا، على غرار الرابيين، التناقض بين ما صنعته يد الله وما بنته يد البشر. ولكنه، خلافا للرابيين، يختار ألاّ يرقى إلى أبعد من إشعيا: لا يسكن الله في بيوت صنعتها أيدي البشر. وبالنتيجة، يستحيل أن يمثل بناء هيكل سليمان تحقيق الوعد الذي قطعه الله، بصدد "**المكان**" الذي يقدَّم له فيه السجود.

إن الخيار لإنماء هذه الصورة التاريخية عن بناء هيكل سليمان وعن مرجع اشعيا، يبرز موضوع الجدال: هل الهيكل جزء مكوّن وأساسي للهوية اليهودية؟ وهل التنبؤ بخرابه يشكل جحودا؟ من البديهي أن الجواب الذي يعطيه اسطيفانس

ولوقا هو جواب سلبي. والكتاب المقدس ذاته يشكل عائقا لمثل هذا التأويل. وفي الواقع، حينما يفضّل رؤساء الشعب بناء "من صنع الأيدي" على نبي مثل موسى ومرسليه، فهم انما يجعلون من الهيكل صنما. وسيعاقَبون مثل آبائهم الذين سجدوا لما صنعته أيديهم (أعمال الرسل ٧: ٤١). ومن الاستشهاد بعاموص، يرشح تهديد يكاد يكون محتجبا:

"فأعرض الله عنهم وأسلمهم لعبادة جيش السماء، كما كتب في سفر الأنبياء: "يا آل إسرائيل، هل قرّبتم لي الضحايا والذبائح مدة أربعين سنة في الصحراء؟ قد حملتم قبة مولك وكوكب إلهكم رفان، التمثالين اللذين صنعتم لتسجدوا لهما. فسأجليكم إلى ما وراء بابل" (أعمال الرسل ٧: ٤٢-٤٣).

فالهيكل المصنوع بيد الإنسان هو، في الظاهر، مثل "قبة مولك"، بالتضاد مع "**خيمة الشهادة**" الحقيقية، أي الموضع الذي يليق بالعبادة. وبالرغم من قلة المنطق في متابعة التأويل، فإن الإشارة إلى "خيمة داود المتهدمة" التي عاد الله فأقامها (أعمال الرسل ١٥: ١٦)، تأتي بالتأويل الأصيل للوعد الذي قُطع أصلا لإبراهيم. فإن "**مكان**" العبادة هو حيثما يجتمع اثنان أو ثلاثة باسم يسوع؛ ففي بيوت الذين يتوبون ويؤمنون بيسوع، والذين يقبلون الخلاص باسمه، يُسجَد لله كما ينبغي.

وبين اليهود الذين يتوبون ويؤمنون بكلمة نبي مثل موسى والمرسَلين من لدنه، تستمر وعود الله في تلقّي تحقيقها، وهي مدعوة لتشمل اليهود في كل أنحاء العالم، وحتى الوثنيين (راجع أعمال الرسل ١٥: ١٦-١٧).

وإذ يلجأ الخطاب إلى أسلوب اللوحة التاريخية، فهو ينفث شعورا بالهوية في الذين، مثل اسطيفانس، يجدون أنفسهم في حرج مع أخوة وأخوات داخل الأسرة اليهودية. ولا جديد في هذه المعارضة ذاتها -و في الواقع، قد تصبح هذه المعارضة، في ضوء رواية اسطيفانس، تأكيدا على أن اليهود المضطهَدين لأجل إيمانهم بيسوع هم حقا ضمن تقليد موسى والأنبياء. ويزوّد الخطاب أيضاً الهوية اليهودية بملامح تتيح الاستغناء عن الهيكل. فلا جدال منظما ضد الذبائح بحد ذاتها، ولا اتهام شاملا

ضد الإدارة القائمة. هوذا الرسل يترددون إلى الهيكل. ولكن يبدو أن المسألة هي التالية: "ليس الهيكل نهاية التاريخ، و لم يُعَدّ قط لكي يبقى "موضع سكنى الله إلى الأبد". إلا ان القائمين عليه يفقدون حقهم في الحكم، بسبب رفضهم قبول يسوع والمرسَلين من لدنه، وبسبب غيرتهم العمياء على الهيكل والدفاع عنه ضد اسطيفانس وبولس (انظر الفصل ٢ من سفر الأعمال). إنهم بالتالي ينكرون تراثهم الخاص، وسيؤدي بهم الأمر إلى التجديف على الروح. فهم، وليس اسطيفانس، المذنبون بالخيانة تجاه التقليد. وكان بوسع قرّاء سفر الأعمال، سواء ظهر في سنة ٧٠ أم بعد سنة ٨٠، أن يروا في خراب الهيكل على أيدي الرومان، عام ٧٠، التأكيد على ان الله نبذ الهيكل ورؤساءه. وان الإطار الذي يتيح إدراك هذا الخراب، وفي الوقت ذاته إدراك هوية يهودية في غياب الهيكل، انما يزوّدنا به بصورة حاسمة خطاب اسطيفانس.

وهكذا قدّم لوقا لقرائه تفسيرا للماضي، كما كان يفعله المعلمون داخل الجماعة اليهودية. فالطريقة الرابينية اليهودية والديانة المسيحية كانتا "شيعتين" قويتين بالكفاية بحيث أمكنهما البقاء بعد خراب الهيكل. إلا أن تآويلهما تختلف في نقطة واحدة كبرى. ففي نظر الرابيين، دمّر الهيكل بسبب خطايانا وخطايا آبائنا. وفي نظر لوقا، بسبب خطاياكم وخطايا آبائكم. فلقد حدثت قطيعة حاسمة، وسيحاول هذا الخطاب ومجمل سفر الأعمال شرحها.

وفشل دفاع اسطيفانس! لا بل، كان دفاعه هو الذي أدّى إلى إعدامه، جاعلا منه الشهيد الأول. إلا أن هذا الإعدام، وطرد الهلينيين الناجم عن ذلك، لم يفلحا مطلقا في إيقاف "**الحركة**". وعلى النقيض من ذلك، "أخذ الذين تشتتوا يسيرون من مكان إلى آخر، مبشرين بكلمة الله" (أعمال الرسل ٨: ٤). هوذا فيلبس يبشر السامريين، وآخرون يصلون إلى أنطاكيا ويعلنون الإنجيل للوثنيين أيضاً (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٦). وتصبح كنيسة أنطاكيا قوة كبرى في تنظيم مهمة بولس التبشيرية. ومن قبيل المفارقة ان تكون المساعي التي بذلها الرؤساء اليهود قد أدّت بالتالي إلى انتشار الإنجيل، ويتجدد ما قاله يوسف لأخوته: "أنتم نويتم عليَّ

شرا، والله نوى به خيرا" (تكوين ٥٠: ٢٠). وهكذا جرى الأمر، كما كان جملائيل قد قال:

"(...) **فإن يكن هذا المقصد أو العمل من عند الناس، فإنه سينتقض. وإن يكن من عند الله، لا تستطيعوا أن تنقضوه. ويُخشى عليكم أن تجدوا أنفسكم تحاربون الله**" (أعمال الرسل ٥: ٣٨-٣٩).

إن خطاب اسطيفانس، على غرار خطابات بطرس، ذو أهمية كبرى بالنظر إلى منهاج سفر الأعمال، إذ ان منظوراته تأتي في اتفاق تام مع منظورات مجمل مؤلّف لوقا-الأعمال، إلى حد يصعب ألاّ نرى فيه تأليفا أنتجته ريشة المؤلف.

بولس

يثير بولس الاهتمام أكثر من جميع الأشخاص الذين نلقاهم في سفر الأعمال. فإن رسالته تشغل نصف هذا الكتاب. ومع كونه أحد مرسلي المسيح الرئيسيين، فهو يشذ عن معظم القواعد. إنه ليس من بين الذين تبعوا المسيح في حياته الأرضية، لا بل يفتتح عمله كمضطهد شهير للمسيحيين، وقد تورط في مقتل اسطيفانس. وخلافا لبطرس الذي تأتي متاعبه من بعض رؤساء معادين، فإن بولس يثير الجدالات حيثما يذهب، وفي جميع الأوساط التي يتردد إليها تقريبا. فيلقى في السجن، ثم يطلق سراحه. و يُرجم مرة ويُترك في عداد الموتى. إنه يثير غضب اليهود بكرازته، ومنهم من يترصدون خطاه عبر الإمبراطورية وحتى في أورشليم ذاتها. ولبولس مشاكل خطيرة، واحداها مع برنابا رفيقه بالذات. وتتعرض حياته للتهديد أثناء زيارته الأولى لأورشليم. والزيارة الثانية التي يقوم بها إلى هذه المدينة، تسوي ظاهريا مشكلة خطيرة، ولكن هذا النزاع يظهر من جديد في زيارته الثالثة ويؤدي إلى اعتقاله. ويشعر اليهود المتنصرون أنفسهم، في أورشليم، بقلق لما يلاحظونه في كرازة بولس.

وأغرب من ذلك، محاكمة بولس، وهي تمتد على ستة فصول.

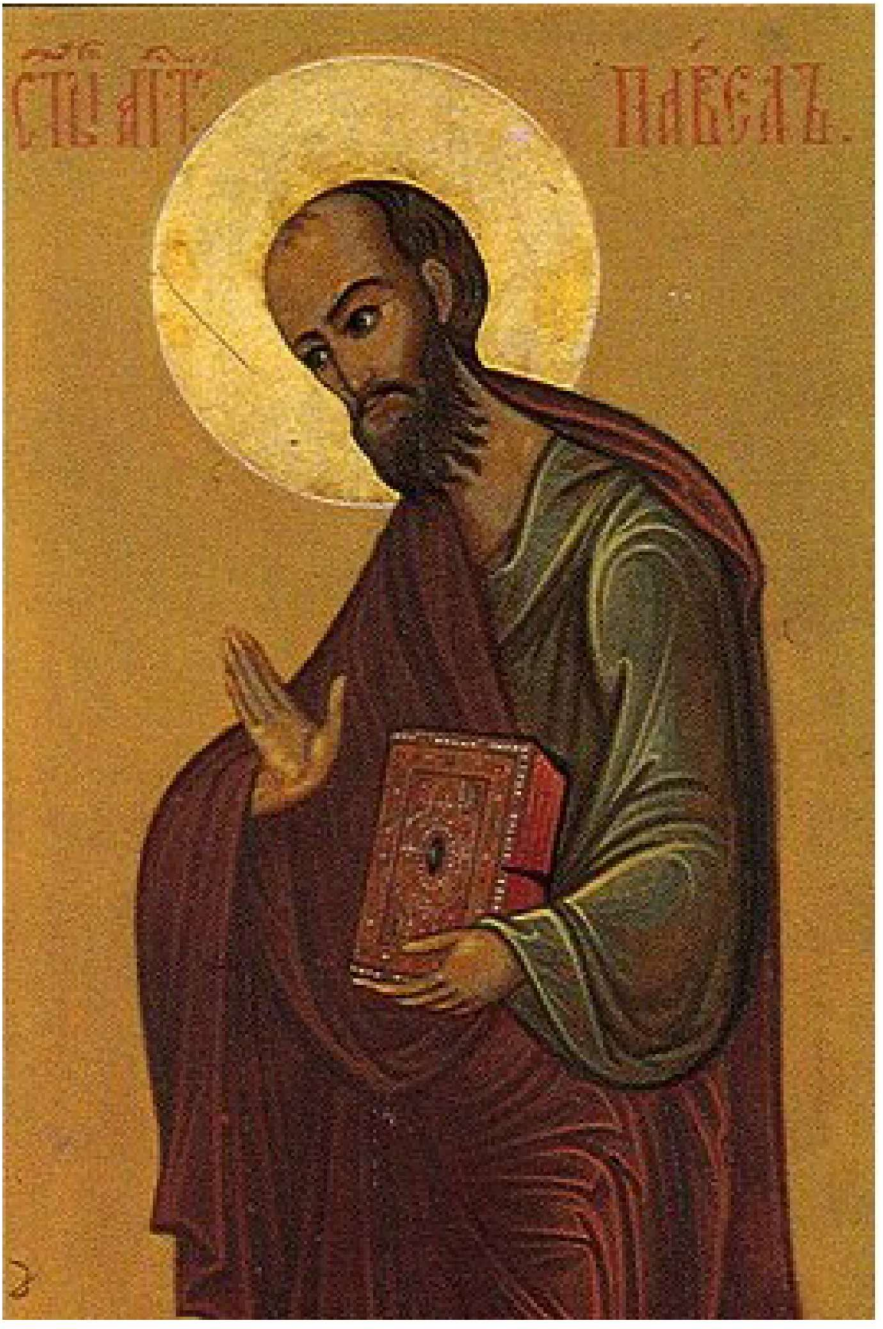
СТЫЙ ПАВЕЛЪ.

فبينما كانت المحاكمة آخذة مجراها، يلاحظ عدد من الموظفين الرومانيين أن بولس بريء من كل جريمة تجاه الشريعة الرومانية. والخطابات الكثيفة التي يلقيها بولس للدفاع عن نفسه، لا تتطرق إلى التهم في المادة السياسية، بل إلى استقامة إيمانه، وهذا مفهوم مغلق تماما عن الرومان. وتنتهي القصة دون أن تُعطى نتائج المحاكمة، مع ان المؤلف ومستمعيه على يقين من إعدام بولس. ولما لم يستطع لوقا رواية تاريخ الكنيسة دون أن يخصص فصلا طويلا جداً لرسوله الأكبر، فإن بولس يتطلب اهتماما خاصا، إلى درجة أن ثمة أناسا قد عنونوا الجزء الثاني من سفر الأعمال "**الدفاع عن بولس**".

صعوبات تاريخية

ليس لدينا فقط، لحسن الحظ، رواية كاملة لعمل بولس الرسولي، عكسها سفر أعمال الرسل، بل لدينا أيضاً رسائل عديدة كتبها "بيده" هذا الرسول العظيم نفسه، وهذا ما يشير إلى ضرورة إجراء مقارنة بين السيرة والرسائل. ولكن من الغريب ألاّ يكون الأدب المتداوَل، الخاص ببولس، قد مال بالكفاية إلى هذه الناحية. فإن خرائط أسفار بولس التي نجدها في نهاية كتبنا المقدسة هي نقل مباشر عن سفر الأعمال. إلا ان بولس، في رسائله، لا يعطي قط الانطباع بأن أسفاره كانت منظمة في "جولات" اقليمية، وإن كان سفر الأعمال يقدّمها على هذا النحو[١٠]. فروايات اهتداء بولس مستمدة بصورة نموذجية ومباشرة من الفصل التاسع من سفر الأعمال، ولا تعير اهتماما قط بالرسالة إلى الفيلبيين (الفصل الثالث) أو الرسالة إلى الغلاطيين (الفصل الأول). وقد يكمن أحد التفاسير في القناعة بأن مؤلف الأعمال هو رفيق بولس في أسفاره (راجع المقاطع التي فيها يستعمل لفظة "نحن"، وخاصة في الفصل ١٦).

كل هذا يثير بعض صعوبات تاريخية. وإحدى هذه الصعوبات تتعلق بالصلات بين بولس وكنيسة أورشليم. فبموجب الرواية التي يعطيها بولس عن أسفاره، في الفصل الأول من الرسالة إلى أهل غلاطية، يكون قد ذهب إلى

أورشليم، للمرة الأولى، ثلاث سنين بعد اهتدائه؛ وفي هذه المناسبة، لم يلتقِ سوى بطرس ويعقوب أخي الرب (غلاطية ١: ١٥-١٩). أما السنوات الأربع عشرة التالية، فيكون قد أمضاها، على حد قوله، في سوريا وقيليقية (غلاطية ١: ٢١-٢٢). وكان سفره الثاني إلى أورشليم يهدف إلى تسوية قضايا متعلقة بشرعية رسالته تجاه الوثنيين، وبوحدة الكنيسة، وقد انتهى هذا الاجتماع -ويلحّ بولس على ذلك- باعتراف رسمي برسالته من قبل "أركان" الكنيسة (غلاطية ٢: ٩-١٠).

وتختلف بعض الشيء الصورة المرسومة في سفر الأعمال: قاعدة عمليات بولس هي أورشليم. فهناك يعرفونه جيدا، وقد تلقى من المحفل تخويلا رسميا بإلقاء القبض على الذين يؤمنون بيسوع. وبعد اهتدائه بمدة وجيزة، عاد إلى أورشليم، حيث يقدّمه برنابا للرسل (أعمال الرسل ٩: ٧). وخلال هذه الزيارة الأولى، حدث خلاف بينه وبين الهلينيين، وقد يكونون من اليهود الناطقين باليونانية الذين اصطدم بهم اسطيفانس أيضاً. وإذ يشعر بالخطر، يهرب من هناك.

اما زيارته الثانية بمناسبة "**مجمع أورشليم**"، وفق ما اتفق على تسميته، فهي تتزامن مع خلافات داخلية في كنيسة أنطاكيا. وترتسم صورة بولس فيها كمجرد موفد بين آخرين. وجاء القرار النهائي، في الواقع، دون صلة بشهادة بولس، بل ارتكز على خبرة بطرس مع قائد المائة قرنيليوس، وعلى تأويل يعقوب للكتب المقدسة. وكانت السياسة المتخذة بشأن الوثنيين قد تطلبت إرسال بولس، دون أن يكون ذلك تصديقا لوجهة نظره. ويصدر المجمع قرارا يفرض على الوثنيين المهتدين الالتزام ببعض بنود من التوراة (**اجتناب اللحوم المخنوقة وكل ما يخل بالأخلاق**)(*)، وهذا ما سيتيح لهم مقاسمة الطعام مع اليهود المتنصرين، دون مخالفة

(*) إن هذا التفصيل يزداد إثارة، لاسيما لأن بولس يناقش فيه قضية تناول اللحم المقرّب للأصنام التي تتكلم عنها ١ قورنتس ٨: ١٠. ولم يرد ذكر للشريعة اليهودية في هذه المناقشة الطويلة. فمن الممكن أن يكون هذا القرار قد صدر، ولكن بعض الوقت بعد "مجمع أورشليم". ويمكن أن يكون القرار قد استوجبه المجمع المذكور. وهكذا تصبح معلومة لوقا هذه غير واضحة. انظر ديبيليوس "The Apostolic Council" في "Studies in the Acts of the Apostles" (ص ٩٣-١٠١). ولمزيد من التفاصيل بشأن خلفية مفاهيم لوقا، يمكن قراءة الفصل ٥، حاشية ٩.

الشريعة -وهو قرار لا يذكره بولس قط في رسائله. وتعكس هذه المقاطع أيضاً خلافات أخرى خطيرة: في رومية (١: ٥)، يقدّم بولس ذاته للرومانيين بمثابة رسول للأمم؛ وفي غلاطية (٢: ٧)، نراه يعبر عن ذاته في ما يخصه: "رأوا أنه عُهِد إليَّ في تبشير القلف، كما عُهد إلى بطرس في تبشير المختونين...". ويدعى بولس، في سفر الأعمال، ليكون "مسؤولا عن اسم الرب عند الوثنيين... وبني إسرائيل" (أعمال الرسل ٩: ١٥). وهكذا فان إدراك بولس للشريعة اليهودية وصلتها بالإنجيل، وتأثير هذا الإدراك على رسالته إلى غير اليهود -وهو عنصر أساسي لرسالته، حسب غلاطية ورومية-، وكل هذا لا يظهر قط في سفر الأعمال.

وتتطلّب مقارنة صارمة ودقيقة، بين بولس سفر الأعمال وبولس الرسائل، مجلدا ضخما، وقد نُشرَ الشيء الكثير منه. لا شك أن سفر الأعمال يحتوي على عناصر كثيرة لا جدال فيها من الوجهة التاريخية؛ ولكنه، في الوقت ذاته، يبتعد عن بولس، بشكل واضح، في نقاط هامة تتمحور، قبل كل شيء، حول ما يتعلق بالتقليد اليهودي. يكفينا في هذه الدراسة أن نسترعي الانتباه إلى هذه الاختلافات. ولما كان هذا الفصل يتوخى فحص دور بولس في سفر الأعمال، فبوسعنا أن نترك المسائل المتصلة "ببولس التاريخي" معلقة.

أسفار بولس

إذا كان موضوع سفر الأعمال يتناول انتشار الإنجيل حتى أقاصي الأرض، فإن بولس هو العامل الرئيس في هذه المهمة التبشيرية. وستحمله مهمته الخارقة على اجتياز آسيا الصغرى وعلى التجوال في بلاد اليونان، لتقوده في النهاية إلى روما. وبهذا المعنى، لا يمكن أن يتمثّل بولس بأي من الوجوه البارزة في سفر الأعمال. فهو في حركة دائمة: يسافر برا وبحرا، يضطره الروح إلى تجنب بعض المناطق، في حين أن رؤى اخرى تحرّضه على زيارة غيرها. وخلافا لبطرس واسطيفانس وفيلبس، يعمل بولس بانتظام، في ما بين أطراف الجماعة اليهودية. وهو، وإن يبدأ بالمجامع اليهودية، إلا أنه مستعد دوما لتركها ليوجّه الكلام إلى

"خائفي الله". وبوسع سفر الأعمال أن يصف بولس عبر ملامح رسول يبدو كأنه متجه نحو الأمم لا غير، ولكنه الوحيد، من بين جميع الشخصيات المرموقة في الأعمال، يعمل في ما بين غير اليهود. وإذا كان التاريخ لا يذكر سوى حالات واضحة قليلة، فإن ما يحققه الله عند الأمم هو، بالدرجة الاولى، ما يحققه الله من خلال بولس.

وإذا أولينا اعتبارا للمكان المخصص لأسفار بولس، فمن الجدير بالملاحظة ان حصة التفاصيل الدقيقة فيها ضئيلة جدا. وإن روايات مآثر بولس لم يسعها بالتالي تمييزه عن أشخاص آخرين، وعن بطرس، على سبيل المثال، الذي هو، في نظرة لوقا، النموذج المثالي للرسول. لا شك ان بولس يصنع آيات وخوارق: يشفي المرضى، ويطرد الشياطين، ويقيم الأموات أيضاً. ويصل تأثيره إلى حد أن الناس يهتفون له بصفته إلها (أعمال الرسل ١٤: ٨-١٨). وتصل سلطته إلى حد أن مدينة برمتها تندفع لتضع كتبها السحرية أمامه وتحرقها على محضر من الجميع (أعمال الرسل ١٩: ١٧-٢٠). ويتعرض بولس للسجن والرجم والغرق؛ ويلسعه ثعبان سام، ومع ذلك يبقى في الحياة؛ وهو بذلك يحقق ما قاله يسوع: "لن تفقد شعرة من رؤوسكم" (لوقا ٢١: ١٨).

وعلى مثال بطرس واسطيفانس، يلقي بولس خطابات. فهو ممتلئ من الروح القدس، وفصاحته لا تجارى، ولا يُغلب في المناظرات الخطابية. ويؤدي الأمر بهذا الرسول الكبير إلى توجيه الكلام إلى أريوباغس أثينا، قلعة الثقافة اليونانية الكلاسيكية (أعمال الرسل ١٧). ويتجاوب المستمعون مع كرازة بولس، مثل تجاوبهم مع كرازة بطرس: منهم يؤمنون، فيما غيرهم لا يؤمنون. ومن جديد لا نرى ان خطابات بولس تميزه كثيرا عن مرسَلين آخرين للمسيح.

وأسفار بولس ذاتها مقَولَبة إلى حدّ ما. فغالبا ما يذكر الراوية اسم البلدة أو المدينة التي فيها يبشّر بولس، مشيرا إلى أنه بدأ كرازته في المجمع اليهودي (أعمال الرسل ١٣: ٥، ١٤: ١، ١٧: ١-٢، ١٠: ١١-١٧، ١٨: ٤-١٩). و يذكر أحيانا أسماء الأشخاص الذين سكن بولس عندهم (أعمال الرسل ١٦: ١٤-١٥، ١٨: ١-٣). وفي بعض المناسبات، يُدخل المؤلف قصصا طريفة، وفي غيرها

خطابات. إلا أنه أحيانا لا يزودنا بتفاصيل. ففي سفر الأعمال (١٦: ٦-١٠)، مثلا، يتكلم لوقا عن الأسفار التي قام بها بولس إلى آسيا الصغرى، وبالتالي إلى مقدونية. وباستثناء مناطق غلاطية وفريجية وميسية وبتينية، لا نكاد نجد تفصيلا. فلا يقال لنا كيف منع الروح القدس بولس من الكلام في آسيا، أو كيف دفعه للتوجه نحو الشمال، إلى بتينية (أعمال الرسل ١٦: ٦-٧). ولا ترد كلمة واحدة عن رسالة بولس في جميع "كنائس غلاطية" التي كتب بولس رسالة إليها. وفي هذه الرسالة، يشير بولس إلى مرض أرغمه على المكوث في غلاطية، وقد صار فرصة له لتبشيرهم (غلاطية ٤: ١٢-١٥).

كان بوسع بولس، ربما عبر نظرة إلى الماضي، أن يعتبر مرضه إكراها فرضه الروح عليه.

وقد تأتي شحة التفاصيل هذه من نقص في المصادر[١١]. إلا أن الانطباع الذي تحدثه الرواية، في صيغتها الحالية، ليس أقل أهمية من جراء ذلك. فبفضل بولس، ينتشر الإنجيل في طول الإمبراطورية وعرضها. وتنتقل الرسالة إلى آسيا الصغرى لكي تصل إلى بلاد اليونان، وأخيرا إلى روما. ويبدو الروح بمثابة القوة المحرِّكة الفاعلة، وليس بولس سوى مجرد أداة، يتحقق بواسطته وعد يسوع: "... في اليهودية كلها والسامرة وحتى أقاصي الأرض" (أعمال الرسل ١: ٨). والعناية الإلهية ذاتها التي قادت رسالة يسوع ورسالة بطرس واسطيفانس، تقود رسالة بولس. وهذا أيضاً قد "كُتب" (لوقا ٢٤: ٤٦-٤٧).

إن دور بولس، في سفر الأعمال، بالمعنى النهائي، هو دور تجسيد مثل أعلى: إنه يتألم[١٢]. وفي قصة اهتدائه، نجد تصريحا موضوعيا يتكهن بمهمته. فإن حنانيا، وهو تلميذ في دمشق، أُعلم برؤيا، ان عليه أن يضع الأيدي على بولس. وجوابا على اعتراضه، يقول الله له:

"اذهبْ، فهذا الرجل أداة اخترتها لكي يكون مسؤولا عن اسمي عند الوثنيين والملوك وبني إسرائيل. فإني سأُريه ما يجب عليه أن يعاني من الألم في سبيل اسمي" (أعمال الرسل ٩: ١٥-١٦).

وتكمن مهمته في تحقيق هذا التنبؤ. ففي دمشق، كما في أورشليم، تُحاك مؤامرات تستهدف حياته. وفي لسترة، يُرجم بولس ويُترك وكأنه قد مات (أعمال الرسل ١٤: ١٩). وفي فيلبي، يُضرب بالعصي ويُلقى في السجن (أعمال الرسل ١٦: ١٩-٢٤)، ويضطر إلى الهرب إلى تسالونيقي (أعمال الرسل ١٧: ٥-١٠).وحيثما يجتاز، يثير اضطرابات ستؤدي إلى اعتقاله في أورشليم.

ومثل اسطيفانس، يشرح بولس المعارضة التي كان عليه أن يجابهها في مطلع مهمته. فإن خطابه الأول الكبير في أنطاكية بيسيذية (أعمال الرسل ١٣: ١٦-٤١)، -وهو الخطاب الذي كانت له القيمة المنهجية ذاتها مثل خطاب اسطيفانس وخطاب بطرس في العنصرة- ينتهي بتعليق من الكتاب المقدس عن نوعية الاستقبال الذي كان ينتظره. ويُدرج الاستشهاد بحبقوق تحذيرا بصدد مهمة بولس التبشيرية عبر الشتات:

"انظروا أيها المستخفون، اعجبوا وتواروا. فإني لصانع في أيامكم صنعا لو حدثكم به أحد لما صدّقتم" (أعمال الرسل ١٣: ٤١).

ومثل معاصريه في قمران، على ضفاف البحر الميت، يعتبر بولس أن هذا المقطع النبوي يخص زمانه[١٣]. فهو ذاك الذي عيّنه الله "لإعلان" الإنجيل. ولكن، كان بين المستمعين من سيستخفون ويقون غير مؤمنين؛ وهؤلاء هم الذين قصدهم النبي. ويزودنا المرجع من جديد بوسيلة لاستيعاب سبب المعارضة التي يلقاها بولس. فالذين يرفضون الرسالة التي ينقلها، فهم، بمعارضتهم ذاتها، يحققون ما جاء في الكتاب المقدس، ويهلكون. انه المخطط ذاته منذ مطلع سفر الأعمال: الخلاص، للذين يؤمنون بيسوع (أعمال الرسل ٢: ٢١). أما الذين يرفضون الالتزام بما قاله هذا النبي الشبيه بموسى، فإنهم يفقدون الحق في أن يُدعوا أبناء إبراهيم، وسيكون مصيرهم الإنتباذ بالإبادة (أعمال الرسل ٣: ٢٢-٢٣ وهو يستشهد بتثنية الاشتراع ١٨). وهكذا فان إقامة بقية من **"يهود حقيقيين"**، ينضَمّ إليهم وثنيون أتقياء -وقد افتتحها بطرس في أورشليم- تتواصل عبر خدمة بولس في الشتات.

توقيف ومحاكمة

تشكّل الفصول (٢١-٢٨) من سفر الأعمال أمرا شاذا في نظر العديد من علماء الكتاب المقدس. فإلى هذا الحين، يقوم مرسلو يسوع بمهمتهم بنقل رسالة التوبة والغفران، باسم يسوع، عبر الإمبراطورية كلها. وكانت كنائس قد تأسست في اليهودية والسامرة وسوريا وقيليقية وآسيا الصغرى وبلاد اليونان. ومع ذلك، وعلى حين غرّة، تتوقف الرسالة، أو في الأقل يقطع الراوية قصته. ففي الأعمال (١٩: ٢١)، يعلن بولس عن مشروعه بزيارة أورشليم، لكي يتجه بعد ذلك نحو الغرب، إلى روما. ولا يعطى أي شرح لذلك. ولكننا نستطيع ان نملأ بعض الفراغ بعودتنا إلى رسائل بولس(*). فحين تحدث اضطرابات في أفسس، يغادر بولس المدينة؛ ولكنه، عوض التوجُّه إلى أورشليم، ينطلق إلى بلاد اليونان. وبعد بضعة أشهر، يجتاز بحر إيجه، ثم يبدأ رحلته الحاسمة شطر أورشليم. والخطاب الوداعي الاحتفالي الذي يوجّهه إلى شيوخ كنيسة أفسس (أعمال الرسل ٢٠: ١٧-٣٥) يشير إلى نهاية مهمته الإرسالية. ويستأنف مسيرته إلى أورشليم، وكأنه مرغم على ذلك، وهو عالم بالصعوبات الخطيرة التي تنتظره هناك (أعمال الرسل ٢١: ١١-١٤). وتتحقق النبوءات المشؤومة: فكان التوقيف... وتروي لنا تتمة القصة محاكمته وكيف رفع أخيرا دعواه إلى روما (الفصول ٢٢-٢٨).

أما أسباب القصة المفصلة عن محاكمة بولس، فتبقى غامضة. وتكمن إحدى الصعوبات في بقائنا غير مطلعين على خاتمة القضية. فسفر الأعمال ينتهي حينما نلقى بولس قد وصل إلى روما، في انتظار الحكم. وما خلا الاحتمال بان يكون سفر الأعمال قد كُتب قبل اختتام المحاكمة -وهذا أمر بعيد- فقد يوحي غياب خاتمة المحاكمة بأهمية تتعدى أهمية مجرد سيرة.

(*) إن السبب الأول الذي حدا ببولس للذهاب إلى أورشليم، هو ايصال الصدقات التي كان قد جمعها في الكنائس التي أسسها؛ وكان لهذه المبادرة مغزى سياسي كبير. ذلك ان بولس كان يعتبر قبول كنيسة أورشليم مجمل هذه الصدقات بمثابة تصديق لرسالته واعتراف بوحدة الكناس المسيحية الآتية من اليهودية والوثنية. وكان بولس على وعي بأنه سيصطدم بالمقاومة (أنظر رومية ١٥: ٣٠-٣٣). الا ان لوقا لا يبدو مطّلعا جدا، لا على جمع الصدقات ولا على الأهمية التي انطوت عليها.

ويرى بعض الاختصاصيين، على سبيل المثال، أن ما يهم المؤلف حقا ليس تبرئة بولس أو تجريمه. ذلك ان بولس، في نظرهم، يجسّد الحركة "المسيحية" الجديدة. وكان على الموظفين الرومان أن يقرروا، منذ الآن، موقفهم تجاه هذه الحركة. فهل يجب اعتبار الذين يؤمنون بيسوع يهودا؟ وفي هذه الحال يستحقون الضمانات الدينية الشرعية ذاتها المعطاة لليهود الآخرين؟ أم هل يجب اعتبارهم أنصار حركة دينية جديدة غير شرعية؟ فإذا اعتمدنا هذا التأويل، تكون محاكمة بولس، في نظر مؤلف سفر الأعمال، فرصة لمناقشة المعضلة السياسية التالية: هل يحق للمسيحيين أن يمارسوا عبادتهم؟

أسئلة كثيرة تطرح ذاتها: أليس غريباً ان تُجرى محاكمة بولس امام السلطات الرومانية؟ والاغرب فيها ان نتيجتها لن تكون حتما مؤاتية لبولس؟ ولا تطلعنا القصة على دفاع شرعي قام به بولس أمام المحاكم الرومانية، وهذا يبدو مستحيلا. وحسب التقليد، استشهد بولس في روما. وبالإضافة إلى ذلك، فإن جدالا حول الحالة الشرعية للمسيحيين، تحت القانون الروماني، يصعب إقحامه ضمن الطروحات الواردة في لوقا-الأعمال. ليس من المستحيل، بالتأكيد، أن تشكّل هذه الفصول ملحقا، إلا أن الافضل هو الأخذ بتأويل يتيح إقامة ارتباط بين قصة المحاكمة والتصميم الإجمالي للوقا-الأعمال. وفي نهاية الأمر، تشغل العناصر القضائية مكانا ضئيلا في قصة المحاكمة المسهبة. فمنذ البداية، يلح الرومان على كون بولس لم يقترف أية جريمة (أعمال الرسل ٣٢: ٢٦-٣٠؛ ٢٥: ١٤-٢٢؛ ٢٥: ٢٤-٢٧). ونرى ان أغريبا ذاته يقول لفسطس: "لو لم يرفع هذا الرجل دعواه إلى قيصر، لأمكن إخلاء سبيله" (أعمال الرسل ٢٦: ٣٠-٣٢). وخطابات بولس المسهبة تُبعد المظهر السياسي لتركّز على العلاقات مع التقليد اليهودي، وهذه وجهة نظر لا يفهمها حتما الموظفون الرومان (أعمال الرسل ٢٣: ٢٩؛ ٢٥: ١٨-٢٠). ويجب علينا أن نرى، في خطابات بولس هذه، تقريضات موجهة إلى موظفين رومان. لقد قدّم "يعقوب جرفل"[١٤]، بشكل مقنع، تفسيرا مقبولا لمحاكمة بولس، إذ ربطها بالمعارضة التي لقيها، طوال رسالته، لدى يهود مناوئين.

وتبلغ هذه المعارضة ذروتها في الفصل ٢١، لدى اعتقال بولس. وشيوخ كنيسة أورشليم أنفسهم يبدون تحفظات بشأن زيارته، لأنهم كانوا تحت تأثير الشائعات التي تحوم حول تعليمه:

"فقالوا له: ترى، أيها الأخ، كم ألف من اليهود قد آمنوا وكلهم ذوو غيرة على الشريعة، وقد بلغهم ما يشاع عنك من أنك تعلّم اليهود المنتشرين بين الوثنيين أن يتخلوا عن موسى، وتوصيهم بألا يختنوا أولادهم ولا يتبعوا السُنّة..." (أعمال الرسل ٢١: ٢٠-٢١).

ومع علم الشيوخ ببطلان تلك الشائعات، فقد اقترحوا على بولس أن يقوم بمبادرة استعراضية تسترعي الأنظار، بشأن أمانته للشريعة. وهذه المبادرة ستبرهن لهؤلاء "الغيارى على الإيمان" أن بولس ليس بجاحد (أعمال الرسل ٢١: ٢٣-٢٤). وحينما نتابع قصة لوقا، لا يحق لنا أن نشك في النزاهة التي يخضع بها بولس لهذا الرأي. وفي الواقع، تبدو تتمة القصة كلها وكأنها تهدف إلى تبيان "أرثوذكسية" بولس اليهودية.

و يتّسم توقيف بولس في أورشليم بطابع السخرية، إلى حد كبير. فاليهود الذين تعقبوا خطواته من آسيا يثيرون الجمع:

"النجدة، يا بني إسرائيل! هذا هو الرجل الذي يعلّم الناس جميعا، من كل ناحية، تعليما ينال به من شعبنا وشريعتنا وهذا المكان. ثم كان منه أن أدخل اليونانيين إلى الهيكل. ودنّس هذا المكان" (أعمال الرسل ٢١: ٢٨).

ويتزامن إلقاء القبض عليه، بالضبط، مع قيامه برتبة التطهير واشتراكه في أقدس النذور (أعمال الرسل ٢١: ٢٦). فبولس، مثل اسطيفانس، يُتَّهم بالتعرّض للهيكل وللشريعة. ويعرف القارئ أن هذه التهم عارية عن كل صحة. وسيناقش بولس هذه النقطة بالتفصيل في الخطابات التي سيلقيها دفاعا عن نفسه. وتختلف كثيرا هذه الخطابات التي تشكّل محتوى الفصول اللاحقة عن تلك التي نلقاها في

مواضع أخرى من سفر الأعمال. إنها تتعلق، بالدرجة الاولى، بالسيرة الذاتيـــة، في هذا السفر (يروي بولس مرتين قصة اهتدائه: ٢٢: ٦-١٦؛ ٢٦: ٩-١٨)، دون ان ترمي إلى هداية الناس، بل إلى إعلان براءة بولس. والاتهامات التي يدحـــضها بولس، لا تمتّ بصلة إلى مسائل الحق الروماني. والقضايا التي يتطرق إليها، نجدها مطروحة في التهم التي يثيرها ضده يهود من بني مذهبه: فهل يعلّم بولس اليهـــود التخلي عن الختان؟ هل تهدف كرازته الى إثارة الناس ضد الـــشريعة؟ هـــل هـــو جاحد؟ وتأتي تعليقات بولس أمام المحفل الكبير، ومن ثم أمام أغريبا، متميزة جدا:

"أيها الأخوة، أنا فريسي ابن فريسي، فمن أجـــل الرجـــاء في قيامـــة الأموات أحاكَم" (أعمال الرسل ٢٣: ٦).

"وقد مثلت اليوم لأحاكم من أجل رجاء ما وعد الله به آباءنا، والـــذي يرجو أسباطنا الإثنا عشر أن يبلغوا إليه بالمواظبة على عبادة الله ليل نهار (أعمال الرسل ٢٦: ٦-٧).

"وأنا بعون الله قد مثلتُ إلى اليوم شاهدا للصغير والكبير، ولا أقول إلا ما أنبأ الأنبياء وموسى بحدوثه" (أعمال الرسل ٢٦: ٢٢).

ومع ان محاكمة بولس تعالج علانية جرائم ضد الشرع الرومـــاني، إلا أن الخطابات الدفاعية تتطرق إلى العلاقات بين بولس والتقليد اليهودي الذي ينتمـــي إليه. وبالكلام الواضح، وفّرت محاكمة بولس الفرصة لدحض التهم التي كانـــت تجعل من بولس هرطوقيا، بالنسبة إلى الديانة اليهودية. وما نستخلصه منها هو أنه من المستحيل أن يكون بولس قد علّم قط ما يتّهمه به خصومه. فهو، كما كـــان دوما، ابن أمين للعهد، ويؤمن بأن يسوع هو المسيح.

و يصل بولس أخيرا إلى روما، كما كان الله قد وعد، بعد أن مرّ بسلسلة من المغامرات خارقة العادة، وأجدرها بالملاحظة مغامرة غرقه التي رُويـــت في أدق تفاصيلها. وهنا نلقى بالتأكيد إحدى التحف القصصية في العهد الجديد (أعمـــال الرسل ٢٧). وهكذا توفرت الفرصة للمرسَل العظيم لكي يحمـــل الـــشهادة إلى

عاصمة الإمبراطورية. ليس انه هو أول مَن وصل إليها: لقد كانت في المدينة جماعة مسيحية من قبل، وإن لم يولِها مؤلف الأعمال أهمية كبيرة (أعمال الرسل ٢٨: ١٥-١٦). اما المشهد الأخير من حياة بولس الرسولية خارقة العادة، فهو ذو مغزى كبير: انه يوجّه خطابا أخيرا إلى يهود مجتمعين في مجمع، فكانت ردة الفعل نموذجية: بعضهم يؤمنون، وآخرون لا يؤمنون. وينهي بولس شهادته بسرد من اشعيا اقترن بنبوءة مقلقة:

"فاعلموا إذًا أن خلاص الله هذا أُرسِل إلى الوثنيين، وهم سيستمعون إليه" (أعمال الرسل ٢٨: ٢٨).

وحينما تنتهي القصة، نجد بولس تحت حكم خاص: إنه رهن الاحتجاز المترلي، منتظرا تسوية قضيته، دون أن يكفّ عن الكرازة طوال المدة التي نعتبرها أيامه الأخيرة.

إن الآيات التي بها يُختم سفر أعمال الرسل، لا تعطي خلاصة فيما يتعلق بتاريخ "حركة" يسوع. وفي الواقع، إنها تستبق مستقبلا سيحمل خلاله مرسَلون ما زالوا مجهولين، الإنجيل إلى أقاصي الأرض، إلى الوثنيين، هم الذين "سيستمعون". علينا أن نفترض أن المؤلف ومستمعيه يعيشون في عهد الوثنيين هذا. إلا أن ظهور بولس أمام الجماعة اليهودية في روما، يعطي انطباعا بنهاية القصة. لقد أدلى بولس ولا شك بمثل هذه التصريحات المتعلقة بالخلاص الممنوح للوثنيين، حينما كان يلاقي مقاومة في المجامع اليهودية (أعمال الرسل ١٣: ٤٦-٤٧؛ ١٨: ٦). اما هنا، فنجد الانطباع بأن شيئا ما قد بلغ نهايته، موحيا بأن زمن التبشير باتجاه المجمع، بزعامة بطرس وبولس، قد زال من الآن فصاعدا، وان مستقبل "الحركة" هو من جهة الوثنيين.

من المحتمل أن يكون بولس، في منظور لوقا، هو المسيحي الوحيد والفريد في الكنيسة الأولى. فهو يبدو، وإن لم يكن المرسَل الوحيد، وكأنه مارس على العالم الروماني نفوذا أقوى من نفوذ أي شخص آخر. ويكفي ان الكنائس التي أسسها قد ملأت خارطة آسيا الصغرى وبلاد اليونان. ولنضف، أنه أثار ولا شك الكثير من

الجدالات. ولم يكن خصومه فقط من الصدوقيين الذين كانوا على خلاف مع تعليمه المتعلق بالقيامة، بل كان من بينهم أيضاً يهود من جميع زوايا الإمبراطورية، رأوا فيه هرطوقيا. فلقد كان يخلق عدم ارتياح، حتى في أوساط اليهود المتنصرين. ويكمن مثار الجدال بصدد طريقة بولس في فهم الشريعة وصلتها بالإيمان بالمسيح. والسيرة الوجيزة التي يزوّدنا بها لوقا عن بولس هي أكثر من تقرير: إنها دفاع يشدد على أن بولس "أرثوذكسي"، في عداد أولئك الذين، داخل الأسرة اليهودية، يؤمنون أن يسوع هو المسيح. وبوسعنا أن نجازف بافتراض: إن المستهدَف لم يكن بولس وشهرته الشخصية حسب، بل الوضع الشرعي لكل هذه الرقعة من المسيحية التي تدين بوجودها لهذا الرسول العظيم. وهكذا، قد تكون وحدة الكنيسة ذاتها هي التي كانت معرضة للخطر.

هوامش الفصل الثالث

(١) انظر المصدر المذكور ص ١٤٤-١٤٦ - E. HAENCHEN

(٢) لمعلومات تتعلق بالاعياد اليهودية (ولاسيما عيد المظال) انظر

- Théodore H. GASTER, "Festivals of the Jewish Year" (New York, Morrow, ١٩٥٢-١٩٥٣)

ولمناقشة عبور البحر الاحمر، مدعومة بمصادر متكاملة انظر: - E. HAENCHEN

المصدر المذكور، ص ١٧٢-١٧٥

(٣) البرهان المأخوذ عن فيلمون والمصادر الرابينية قد أوجزها كيرسوب لاك

- Kirsopp LAKE, "The Gift of the Spirit on the Day of Pentecost" in Beginning of Christianity, ص ١١٤-١١٦

(٤) المصدر السابق

(٥) راجع الفصل الاول/ حاشية رقم ١

(٦) للاحاطة بالنتاج الحالي انظر

- Joseph A. FITZMYER, "Der Semitische Hintergrund des Neutestamentlichen Kyriostitels", dans Jesus Christus in Histoire und Theologie, éd. G. Strecker (Tubingen, J. C. B. Mohr, ١٩٧٥) ص ٢٦٧-٢٩٨

وتوجد هذه المحاولة بالانكليزية أيضاً:

- A Wandering Aramean: "Collected Aramaic Essays" (Missoula, Scholars Press, ١٩٧٩) ص ١١٥-١٤٢

(٧) لمناقشة حول تغيير التفسير في قلب الخطاب، انظر كتابي:

- "The Use of Psalm ١٦ in Acts II" in Catholic Biblical Quarterly, ٤٣, ١٩٨١, ص ٥٤٣-٥٥٦

(٨) - Jacob JERVELL, "James: The Defender of Paul", in Luke and the People of God (Minneapolis, Augsbourg, ١٩٧٢) ص ١٨٥-١٩٩

(٩) تفسيري لخطاب اسطيفانس مدين بدرجة كبرى إلى محاولة بقلم:

- Nils Alstrup DAHL, "The Story of Abraham in Luke-Acts", dans Jesus in the Memory of the Early Church (Minneapolis, Augsbourg, ١٩٧٦) ص ٦٦-٨٦

(١٠) هذه النقطة قد ناقشها كنوكس بقوة:

- J. KNOX, "Chapters in a Life of Paul" (Nashville, Abingdon, ١٩٥٠)

(١١) انظر المناقشة لدى ديبيليوس

- DIBELIUS, "The Acts of the Apostles in the Setting of the History of Early Christian Literature" dans Studies in the Acts of the Apostles, ص ١٩٦-٢٠٦

(١٢) ان آلام بولس في سفر الأعمال هو موضوع كتاب دافيد آدمس كان على وشك الظهور لدى Fortress Press

(١٣) انظر التفسير بشأن حبقوق ١٩ في

- G. VERMES, "The Dead Sea Scrolls in English" (Baltimore, Penguin Books, ١٩٦٢) ص ٢٣٢-٢٤٠

(١٤) - Jacob JERVELL, "Paul: The Teacher of Israel", dans Luke and the People of God, ص ١٥٣-١٨٤

٤

الفصل الرابع

حياة الإيمان

إن قصة يسوع وانتشار "**الطريقة**"، بقلم لوقا، لا تتوخى الوصف حسب، بل إصدار التعليمات أيضاً.

و يتناول المؤلف القضية أحيانا، بشكل مباشر. تلك هي الحال مع أمثال يسوع، بصدد سوء التصرّف بالأموال أو بشأن العلاقات الصحيحة مع الذين تضعهم الحياة على طريقنا، وكذلك مع تصريحاته حول قضايا تتعلق بحفظ السبت أو بالصوم، أو بتفسيراته حول الصلاة. فهذا كله يسلط الأضواء، ليس على البشرى السارة التي يعلنها المرسلون المسيحيون حسب، بل أيضاً على نوعية الحياة التي يجب أن يحياها الإنسان، حينما يعلن أن يسوع هو المسيح. وإن خطب بطرس واسطيفانس الواردة في سفر أعمال الرسل تعبّر هي أيضاً عن الإيمان وعن نوعية التلميذ.

وتعكس الروايات، هي الأخرى، اهتماماً تعليميا، وإن بطريقة أقل مباشرة. فإن رسالة يسوع ومهمة الذين تبعوه، تقدمان للقراء لمحات حول ما تقتضيه حياة التلميذ، وحول ما بوسع المؤمنين أن ينتظروه من العالم، وما بوسع العالم أن ينتظره منهم.

ويقدّم سفر الأعمال لوحة عن حياة تُعاش طبقا لتعاليم يسوع، في صلة مع الإنجيل، على مثال صلة نبتة مزدهرة ببذرتها الأصلية. ويلجأ يسوع بالضبط إلى هذه الصور للكلام عن عمله (لوقا ٨: ٤-١٨، ١٣: ٨-١٩). وبما أن لإنجيل لوقا وسفر الأعمال المؤلّف ذاته، فمن المدهش ألاّ يكون طرحهما مماثلا إلى حد ما.

وسرعان ما بدت صورة علاقة البذرة/ النبتة، المطبّقة على الإنجيل وعلى سفر الأعمال، غير وافية تماما. هناك بذور كثيرة زُرعَت في الإنجيل و لم تبلغ نضجَها في سفر الأعمال. كما ان هناك مفاجآت: لا تشكِّل الثروات لمؤمني الأعمال عين المعضلات التي كان بوسعها ان تظهر، بعد أنشودة مريم أو في أعقاب تحذيرات يسوع. ولا يُبدي تلاميذ يسوع نحو الهامشيين الاهتمام الذي كان متوقعا منهم. وقد يكون الاختصاصيون على صواب حينما يتكلمون عن الحدود التي فرضها على لوقا التقليد الإنجيلي الذي ورثه. وما نراه في سفر الأعمال قد يكون الطريقة التي بها اختار المؤلف أن يؤوِّل التقليد، مختارا السمات التي كانت تتعلق خاصة بحالة الكنيسة كما كانت تبدو له.

ولكن، بالرغم من الاختلافات، يستحق الأمر أن نبحث عن "**منظور خاص بلوقا**" يتناول حياة الإيمان، في الإنجيل كما في سفر أعمال الرسل.

هناك بعض التوافقات تسلط ضوءا خاصا على مفهوم التلميذ:

الضيافة

قد تكون السمة الأكثر تعبيرا عن رسالة يسوع، في إنجيل لوقا، هي الانتباه الذي يوليه لأولئك الذين ينبذهم المجتمع. وحينما يتعجب البعض من العلاقات التي يقيمها يسوع مع غير الاتقياء ومع المرضى، يجيبهم من خلال ما يقوله عن الله. فما يتوق إليه الله، فوق كل شيء، هو أن يستعيد ما كان ضائعا:

"أقول لكم: هكذا يكون الفرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر منه بتسعة وتسعين من الأبرار لا يحتاجون إلى التوبة" (لوقا ١٥: ٧).

ويُصوَّر قبول الخطأة التائبين في ملكوت الله، بشكل حي، عبر الدعوة لمقاسمة المائدة ذاتها؛ فإن وجبات الطعام كانت فرصة فريدة للألفة، وكانت هناك أعراف تشرف على تنظيمها. وكان اليهود المحافظون على وعي بقيمة الألفة، كقوة روحية، حتى انهم رأوا في وجبات الطعام فرصة ممتازة للإعراب عن أمانتهم

لتقليدهم. أما تصرّف يسوع، فكان يشككهم. لقد كان يسوع على وعي أيضاً بقيمة الألفة، ولكنه كان ينوي ابلاغ رسالة مختلفة. انه يشدد على أن وجبات الطعام المشتركة مع تلاميذه، كانت بمثابة مقدمة للشركة التي تسود حينما سيجتمعون كلهم حول مائدة واحدة في ملكوت الله (لوقا ٢٢: ٣٠). فالمقاسمة التي كان يجسّدها في رسالته أفسحت المجال للتكهن بالحقيقة الجديدة التي استبقتها هذه الرسالة.

إن مشاهد وجبات الطعام وافرة في إنجيل لوقا. والدروس التي تعلّمها واضحة هي أيضاً. فحينما ينضَمّ لاوي، ذلك العشار، إلى معشر تلاميذ يسوع، نراه يقيم مأدبة على شرف يسوع، ويدعو إليها خطأة آخرين وعشارين. ويتذمر الفريسيون، لكن يسوع يجيبهم: "ما جئت لأدعو الأبرار، بل الخاطئين إلى التوبة" (لوقا ٥: ٢٥-٣٢). وجوابا على اعتراضات مماثلة، يروي يسوع قصة راع يترك قطيعه ليذهب ويبحث عن نعجة واحدة ضائعة (لوقا ١٥: ٣-٧)، وقصة امرأة تقطع عملها لكي تبحث عن درهمها الضائع إلى أن تجده (لوقا ١٥: ٨-١٠).

ويتكلم أيضاً عن ابن ضال يندم فيعود إلى بيته، مما يُسبب فرحة كبيرة لأبيه وضجرا لأخيه الأكبر (لوقا ١٥: ١١-٣٢). والسؤال المؤثر الذي وجهه الأب إلى ابنه الكبير، والذي ينتهي به المثل، هو: لماذا يعجز الذين بقوا أمناء عن الاحتفال بعودة الخطأة إلى الحظيرة. وهوذا يسوع، في الأقل، يعكف على مهمة إرجاع الضالين إلى حضن العائلة. ويبرز اهتمامه هذا حين يقاسم مائدته.

وتبدو هذه المقاسمة هامة أيضاً في سفر الأعمال، إذ نقرأ أن المسيحيين كانوا يلازمون الهيكل كل يوم، بقلب واحد، ويكسرون الخبز في البيوت (أعمال الرسل ٢: ٤٦ و٢٠: ٧). ومع ذلك يحدث انزلاق. فمقاسمة مائدة واحدة هي مسألة هامة في صميم النقاش، ولا تقوم المعضلة على مجرد قبول يهود غير ملتزمين. انما المسألة المطروحة في سفر الأعمال تقوم على معرفة هل يقبل المسيحي أو لا، أن يقاسمه وثنيون طعامه؟ وكما أشرنا سابقا، فإن اهتداء قرنيليوس، الوثني الأول، في سفر الأعمال، هو حدث كبير ترافقه رؤى وظهورات وأوصاف دقيقة.

ويصبح بطرس مبشرا لغير اليهود بالرغم منه. فبعد أن غادر منزل قرنيليوس وعاد إلى أورشليم، تعرض في اليهودية لانتقادات يهود مستقيمي الإيمان مثله:

"فلما صعد بطرس إلى أورشليم، أخذ المختونون يخاصمونه، قالوا: "لقد دخلت إلى أناس قلف، وأكلت معهم" (أعمال الرسل ١١: ٢-٣).

وكما رأينا سابقا، لا يتوقف الأمر على أن نعرف هل الوثنيون سيخلصون، بل هل يجوز أم لا قبولهم في مقاسمة المائدة؟ سيما وان الشريعة كانت تمنع مثل هذه العلاقات. فإن تناول الطعام مع الوثنيين كان يعني التلوث، بالنسبة لليهود المتنصرين. وكانت إزالة هذا الحاجز الخاص الذي يحول دون تناول وجبات الطعام المشتركة أكثر صعوبة من إزالة الحواجز التي اصطدم بها يسوع خلال رسالته، إذ كانت الشريعة ذاتها هي التي أقامتها. فلا عجب إذا لم تُحَلَّ هذه المعضلة بالرجوع إلى مواقف يسوع. وفي هذه النقطة، لم يكن يسوع قد خالف الشريعة قط؛ وكانت علاقته بالوثنيين تشكّل دوماً استثناءً (لوقا ٧: ١-٩).

هوذا لوقا يحترم المفارقة التي واجهها المسيحيون الأولون: فمن جهة، يهتم الله باستقبال الخاطئين التائبين؛ ومن جهة أخرى، هو الذي أمر بالختان وأعطى موسى التوراة. وحُلّت المعضلة، ولكن ليس بإلغاء الشريعة. فالله يطهِّر الوثنيين بواسطة العماذ (أعمال الرسل ١١: ٣-١٧). ويكتشف يعقوب من جهته، في التوراة، إجراءات تسمح للوثنيين بأن يتناولوا الطعام مع اليهود (أعمال الرسل ١٥: ١٩-٢١). وهكذا حُطمت الحواجز: وقُبِل الوثنيون في وجبات الطعام، وقُبلوا أيضاً في احتفالات الافخارستيا.

وكما كانت الحال في الإنجيل، كذلك تمّ تجاوز الحدود بغية تكثير الأسرة. إلا أن الحواجز التي يُحسب لها حساب، في سفر الأعمال، هي تلك التي تقف بين يهودي ووثني. ويصبح إلغاؤها مصدر فرح. كان مؤلف سفر الأعمال يشاطر، بالتأكيد، رأي مؤلف الرسالة إلى أهل أفسس: ذلك ان شركة المائدة بين اليهود والوثنيين هي شبه اعجوبة؛ إنها تعبّر عن مصالحة ذات سعة كونية (أفسس ٢: ١١-٢٢). وان الاهمية التي يوليها سفر الأعمال للمعضلة، والطريقة التي بها يُطرح

حلها، توحيان بالمعرفة العميقة السائدة بين المؤلف واليهود المتنصرين الذين، مع بقائهم أمناء لتقليدهم، توصلوا إلى وفاق مع عدد متزايد من المهتدين من الوثنية.

الثروات

وتتكون قصة يسوع من تغييرات مدهشة. فإن ذاك الذي وُلد ليجلس على عرش داود أبيه ويملك إلى الأبد على بيت يعقوب، يُمضي القسم الأكبر من رسالته بين الفقراء وصغار الناس. ودعوته، المستمدة من اشعيا، هي "أن يعلن البشرى السارة للفقراء" و"التحرير للمأسورين" (لوقا ٤: ١٨). وحين يأكل يسوع مع الخاطئين ويشفي المرضى، فهو انما يكمل رسالته. والانقلاب الذي أحدثه للقيم الجامدة، باسم ملكوت الله، انما يعكس بالضبط ارادة الله، كما عبّرت عنها مريم في أنشودتها:

" كشف عن شدة ساعده،
فشتّت المتكبرين في قلوبهم.
خلع الأقوياء من العرش ورفع الوضعاء.
أشبع الجياع من الخيرات
والأغنياء صرفهم فارغين" (لوقا ١: ٥١-٥٣).

ومع ذلك، يرسم سفر الأعمال صورة كنيسة ليست، لا فقيرة ولا جائعة. وعلى دفعتين، يعود المؤلف فيذكر المشاركة في الثروات التي تؤدي إلى اختفاء الفقر (أعمال الرسل ٢: ٤٤-٤٥، ٤: ٣٤-٣٧). لقد كان لبعضهم املاك، مثل يوسف الملقب برنابا، فباعوها -مما يدل على شيء من الرخاء. ويذكر المؤلف، في تعليقه، أن "**الطريقة**" تجتذب عددا من الوثنيين من طبقة الأشراف. ومع أن الوثنيين، في سفر الأعمال، يتمتعون بحس اجتماعي، فنحن لا نجد آثارا لتطبيق ثورة اجتماعية كاملة من مستوى الثورة التي كان بوسع أنشودة مريم ان تطلقها. ذلك أن تلاميذ يسوع لا يتعاملون فقط مع الفقراء والمهمَلين.

إلا أن الثروات تلعب دورا في إنجيل لوقا، كما في سفر الأعمال[1]: إذا لم يُنتزَع تماماً الأغنياء والمقتدرون من الوضع الذي يشغلونه، فمعنى هذا ان وضعهم يتطلب فحصا دقيقا. لم يكن الغنى، في نظر يسوع، علامة رضى الرب، بل كان يشكّل خطرا. فإن قصة الشاب الغني الذي عجز عن التخلي عن ثروته (١٨: ١٨-٢٣)، والغني الجاهل الذي عجز عن تركيز اهتمامه في غير الخيرات الزائلة (لوقا ١٢: ١٥-٢١)، وكذلك قصة الغني ولعازر التي أدت إلى انقلاب في الأدوار في ما وراء الموت (لوقا ١٦: ١٩-٣١): كل هذه القصص صوّرت الثروات وكأنها تصرف الإنسان، بنوع خطير، عن دعوة التلميذ، ما لم تشكّل عائقا واقعيا بوجهها.

و تثبت حياة الكنيسة صحة تحذيرات يسوع. فهناك أناس يشكّل الغنى، بالنسبة لهم، تجربة خطرة تهدم الحياة. فإن حننيا وسفيرة، من أعضاء كنيسة أورشليم، لم يصبحا قادرين على الانفصال عن ثروتهما (أعمال الرسل ٥: ١-١١). فبعد أن باعا ملكا لهما لمنفعة الكنيسة، اقتطعا قسما من الثمن لاستعمالهما الشخصي، و لم يقدماه كله لبطرس. وهذا العجز عن التخلي عما كانا يملكانه، صار سبب هلاكهما: ولما افتضح كذبهما، وقع كلاهما وماتا، وقدّما بذلك للكنيسة تجسيدا مأسويا لأقوال يسوع:

"لأن يدخل الجمل في ثقب الإبرة أيسر من أن يدخل الغني ملكوت الله" (لوقا ١٨: ٢٥).

وفي إنجيل لوقا بالذات، طرأ تغيير، عبر التاريخ، في تصريح مريم الذي بموجبه يصرف الله الأغنياء "بأيادٍ فارغة". وإذا تلفظ يسوع بويلات ضد الأغنياء والمترفين، فقد حدث له أحيانا أنْ يفتدي الأغنياء: هوذا زكا العشار "يخلّص" (لوقا ١٩: ١-١٠)، مجسِّدا رغبة يسوع في كونه "يبحث عما كان هالكا ويخلصه". إلا أن النتيجة كانت أن زكا تخلى عن نصف أمواله للمساكين، وأعلن أنه يعوّض الذين ظلمهم أربعة أضعاف. وهكذا، فإن استخدام الغنى هو اختبار للإنسان.

وبالطريقة نفسها، يبرهن مثل السامري الصالح عن أن الثروات يمكن أن تُستخدَم بنوع حسن (لوقا ١٠: ٢٩-٣٧). وقصة الوكيل الخائن الذي استغل وضعَه لكي يكتسب أصدقاء، قبل أن يُعفى من مهامه، توجّه نداء إلى الأبرار ليكونوا فطنين في استخدامهم الثروات، على مثال "أبناء هذه الدنيا" (لوقا ١٦: ١-٩). و تلح الكنيسة الناشئة على حسن استخدام الموارد:

"وكان جميع الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كل شيء مشتركا بينهم، يبيعون أملاكهم وأموالهم، ويتقاسمون الثمن على قدر احتياج كل منهم" (أعمال الرسل ٢: ٤٤-٤٥).

"وكان جماعة الذين آمنوا قلبا واحدا ونفسا واحدة، لا يقول أحد منهم إنه يملك شيئا من أمواله، بل كان كل شيء مشتركا بينهم (...). فلم يكن فيهم محتاج، لأن كل من يملك الحقول أو البيوت كان يبيعها، ويأتي بثمن المبيع، فيلقيه عند أقدام الرسل، فيُعطى كل منهم على قدر احتياجه (أعمال الرسل ٤: ٣٢-٣٥).

الثروات هي ولا شك أمر هام، لأنها تتيح للإنسان أن يمارس السخاء والمحبة، فقد قال يسوع لتلاميذه: "كونوا رحماء كما أن أباكم رحيم" (لوقا ٦: ٣٦). وكانت الشركة في الموارد تتيح للمؤمنين اتباع هذه الوصية.

لم يكن هذا المثل الأعلى واردا فقط عند لوقا أو عند المسيحيين الأولين. فالملامح التي كانت تصف المسيحيين الأولين ان لهم "قلبا واحدا ونفسا واحدة"، وأن كل شيء مشترك بينهم، كانت تذكّر بالتحديدات اليونانية القديمة للصداقة الرائجة جدا بين فرق فلاسفة العالم اليوناني، في زمان لوقا[٢]. وهذا يذكّر أيضاً بتنبؤ موسى في سفر التكوين:

"لا يكون عندك فقير، لأن الرب يباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثا لترثها، إن سمعت لصوت الرب إلهك لتحفظ كل هذه الوصية التي أنا آمرك بها اليوم ولتعمل بها" (تثنية الاشتراع ١٥: ٤-٥).

كان استخدام الثروات لأهداف الإحسان، عند الرابيين، أمراً يُمتدَح كثيرا. وهناك قول مأثور ينسب إلى الرابي سمعان البار (نحو سنة ٣٠٠ ق. م.)، يعرب عن أهمية الإحسان:

"كان سمعان البار أحد المتبقين من المجمع الكبير. وكان معتادا أن يقول: "ثلاثة أشياء تسند العالم: الشريعة وخدمة الهيكل وأفعال محبة صادقة"[٣].

ويلحّ لوقا على أن مثلَ هذه المُثل العليا متجسدة في الحركة التي أسسها يسوع، وقد كان ينصح الذين يتبعونه: "بيعوا مقتناكم وأعطوا صدقة". ويروي لنا سفر أعمال الرسل أن تلاميذ يسوع كانوا يطبّقون هذه النصيحة. وحينما يقول المؤلف عن أشخاص إنهم أتقياء، فهو يكاد يشدّد دوما على سخائهم. وبطرس ويوحنا، وإن لم يكن لهما ذهب ولا فضة، نراهما يعطيان ما يستطيعان للمستعطي على باب الهيكل (أعمال الرسل ٣: ٣-٦). كما يعيد بطرس إلى الحياة امرأة اسمها طابيثة، كانت "غنية بالأعمال الصالحة والصدقات التي تعطيها" (أعمال الرسل ٩: ٣٦).

ويقدّم لنا سفر الأعمال قرنيليوس، اول وثني مهتدٍ، ويقول عنه إنه "كان تقيًّا يخاف الله، هو وجميع أهل بيته، ويتصدّق على الشعب صدقات كثيرة، ويواظب على ذكر الله" (أعمال الرسل ١٠: ٢، أنظر ١٠: ٤-٣١).

وحين يقوم بولس بالدفاع عن قضيته أمام فيلكس، يصف الهدف من سفره إلى أورشليم: "أن أصنع الصدقات إلى أمتي وأقرّب القرابين" (أعمال الرسل ٢٤: ١٧). وهكذا تبدو التقوى مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإحسان.

وللإنجيل، كما يفهمه لوقا، انعكاسات اجتماعية واضحة. فالفصول الأولى تَعِد بمفاجآت وانقلابات، وقد حدثت بالفعل. فخلال رسالة يسوع، أُعيدت مجموعة من الناس المنبوذين إلى حضن العائلة، ومن ضمنهم الفقراء. ولكن، بمقدار ما بدأت الجماعة الجديدة، في سفر الأعمال، تأخذ ملامحها الثابتة، فهي لم تعد

تتكون بعد من متواضعين رُفعوا ومن جائعين أُشبعوا. إنها تستمر في ممارسة الضيافة، وكان عليها، منذ الآن، أن تستخدم خيراتها بحكمة. والمسيحيون الذين كانوا موضوع رحمة، وجب عليهم الآن أن يتجاوبوا معها بأفعال رحمة مماثلة. ولا يقيم المؤلف حاجزا واضحا بين القدسي والدنيوي.

وحين يقدّم المؤمن ثرواته -وهو المظهر الأكثر دنيوية من حياة الإنسان الخاصة- فتلك هي أجلى وسيلة للإعراب عن إيمانه. وإذا كان تاريخ الكنيسة يجسّد خطر الغنى، فهو يلقي الضوء أيضاً على إمكاناته الواسعة في عمل الخير. ولكان لوقا ابتهج للتعليق الذي أبداه الإمبراطور الروماني يوليانس الجاحد، بضعة قرون من بعد، حين تولاه الهلع من التأثير الذي مارسه المسيحيون في المجتمع الروماني:

"إنه لعار علينا أن نترك الناس في عوزهم، في حين أنه ليس بين اليهود من يضطر إلى التسوّل، وإن الجليليين (المسيحيين) الأثمة يسدّون، لا احتياجات فقرائهم حسب، بل احتياجات فقرائنا أيضاً!"(٤).

الحياة في الروح

قبل بدء رسالة يسوع العلنية، كان يوحنا المعمذان قد أنبأ بمجيء شخص أقوى منه، "هو الذي يعمذكم في الروح القدس والنار" (لوقا ٣: ١٦). يعمل الروح القدس حقا، قبل تحقيق الوعد، ولكن بصورة متفرقة. فهو الذي يدفع زكريا واليصابات ومريم وحنة وسمعان إلى ترتيل أنشودة أو النطق بنبوءة. وفي الإنجيل، يسوع وحده يسكنه الروح بنوع متواصل، كونه ذاك الذي "مسَحَه" الروح للقيام برسالته (لوقا ٤: ١٨).

ومع العنصرة، يفتتح عهد جديد، ويتحقق وعد يوحنا، حين يُفاض الروح القدس على التلاميذ. وهذا الفيض، في نظر بطرس، يجب أن يبلغ إلى "كل بشر" (أعمال الرسل ٢: ١٧).

وإذا استعرضنا معنى الروح عبر مسيرة التاريخ، أخذنا العجب إزاء ضآلة المساحة المخصصة، في سفر الأعمال، لدوره في حياة جماعة المؤمنين الجديدة. يشير الراوية ثلاث مرات إلى هبة الألسنة كنتيجة لفيض الروح (أعمال الرسل ٢: ٤، ١٠: ٤٦، ١٩: ٦). ويشير مرة واحدة إلى ان نتيجة هذا الفيض ظهرت حين "أخذوا يعلنون كلمة الله بجرأة" (أعمال الرسل ٤: ٣١). وما عدا هذا، لا يشار إلى أي شيء آخر تقريبا، سوى أنه كان لمجيء الروح نتائج واضحة.

ونطّلع، من خلال فصول عديدة من الرسالة الأولى إلى أهل قورنتس، على أن حضور الروح أثناء الاحتفالات -وقد تجلى بأنواع مختلفة من الخطابات الملهمة- كان عنصرا هاما في خبرة الكنيسة الفتية. وكانت تجليات الروح هذه ترافقها خطابات واضحة، يصفها بولس "بالتنبؤات"، وخطابات غير واضحة تقتضي ترجمة (١ قورنتس ١٤: ١-٥)، ويعتبرها بولس بمثابة "التكلم بالألسنة". وفي لائحة الذين حظوا بتجليات الروح، يُدرج بولس الرسل الذين وحدهم يشغلون مقاما أسمى من الأنبياء (١ قورنتس ١٢: ٢٨). لقد كانت السلطة العظيمة المعترف بها للأنبياء المسيحيين، في المؤلّف المتأخر المدعو "ديداكي" (تعليم الرسل) -وكان معروفا جدا أن بينهم عددا من المخادعين- تشهد لسعة السلطة التي تمتع بها المواهبيون في الأوساط المسيحية (ديداكي ١١). وكانت السيطرة على هذه السلطة، بالنسبة لمؤمني القرن الثاني، سببا لأخطر خلاف تعرضوا له، حتى كاد يؤدي إلى تلاشي حركتهم[٥]. وقد سبقت تجربة مسيحيي قورنتس فكشفت عن هذه الحالة.

لم يكن من السهل على الكنيسة أن تحافظ على النظام، إزاء بعض تجليات الروح المذهلة، وقد أدى ذلك إلى الانشقاق، كما حدث في قورنتس في القرن الأول. ونظرا لهيمنة مثل تجليات الروح الظاهرة هذه، داخل البنية الجماعية، فإن قلة التلميح إلى عمل الروح في حياة المؤمنين الاعتيادية تثير الدهشة بالأكثر.

قد يعطي هذا النوع من الاهمالات مفتاحا للإطلاع على هدف سفر الأعمال. ذلك ان المؤلف يبدو أكثر اهتماما بالإتساع منه بالعمق. فالرواية تصف انتشار الحركة الجديدة عبر الإمبراطورية الرومانية. والروح هو القوة الفعالة العاملة في هذا التاريخ. فلا عجب، والحالة هذه، إذا ما ركّز المؤلف على التاريخ بالمعنى الأوسع. ذلك ان الروح يلهم الشهود الذين يحملون رسالة التوبة والغفران (لوقا ٢٤: ٤٧-٤٨؛ أعمال الرسل ١: ٨؛ ٢: ١-١٠؛ ٤: ٨-١٢). والروح هو الذي يشير على المرسلين إلى حيث ينبغي أن يذهبوا، وكذلك ما يجب عليهم أن يقولوه (أعمال الرسل ٨: ٢٩-٣٩؛ ١٠: ١٩-٢٠؛ ١٦: ٦). وحتى التلميح إلى أنواع الألسنة، يسهم هو أيضاً، في تسجيل تحوّلات هامة خلال الرسالة. لا شك ان العنصرة طبعت البداية. وكانت الرسالة قد اكتسبت شرعيتها في السامرة حينما وضع بطرس ويوحنا أيديهما على السامريين الذين تلقوا الروح (أعمال الرسل ٨: ١٧). وفي الفصل العاشر، يقطع الله عظة بطرس بافاضة الروح على قرنيليوس وأهل بيته، وهكذا طهّر الوثنيين ومكّنهم من المشاركة في العبادة وفي المائدة. وأخيرا، يبرهن بولس، في الفصل التاسع عشر، عن تفوّق العماذ باسم يسوع على العماذ باسم يوحنا، طالما تلقّى مؤمنو أفسس موهبة الألسنة.

إن ما يكوّن أساسا أهمية الروح القدس، في نظر لوقا، هو انه منطَلَق الحركة الجديدة التي ابتدأت في العنصرة، ومحرّكها. لذا لا يخصص لوقا إلا الشيء القليل للوصف المفصل لدور المواهب في الاجتماعات. ويمكننا أن نلاحظ أن كل خطاب ملهَم، كان يعتبره المؤمنون علامة واضحة لقوة جديدة عاملة في العالم، وبمثابة مؤشر على أن عهدا جديدا قد أفتُتح توًّا. ويوحي سفر الأعمال أيضاً بأن قبول الوثنيين، في الاحتفالات اليهودية-المسيحية، كان يجري في سياق من الخبرات المواهبية. إلا إن الرواية تبقى مقتضبة. وإذا اعتبر خطاب بطرس أن جميع المؤمنين يسكنهم الروح، إلا أن ما كان يستقطب اهتمام لوقا هو تأثير الروح في أشخاص من المنزلة الأولى. ومع أن المؤلف يوحي بأن تجليات الروح كانت تشكّل جزءا هاما من حياة الإيمان، إلا أنه يركّز انتباهه على حركات التاريخ. وبهذا المعنى الموسَّع، يمكننا القول بأن سفر الأعمال هو قصة الروح القدس.

انفتاح على المستقبل

بوسعنا أن نصف القسمات الخاصة التي تميّز التلميذ: اهتمامه بالتفاصيل، وعلى سبيل المثال، تصرفه تجاه الثروات أو تجاه الغرباء. ويجب أيضاً اضافة حس خاص لحقائق العالم، قد يكون من الصعب تحديده، ولكنه واقعي: ما هي المتطلبات اللازمة كي نحيا حياة الإيمان؟ ما هي الإمكانات المستقبلية التي تقدّم لنا؟ ما هو التجاوب الذي نتوقعه؟ وتعطي رواية لوقا أجوبة على مثل هذه الاسئلة، حتى وإن تجاوز أبطاله المقياس الاعتيادي، و لم يكونوا من عامة المؤمنين.

ويعطي لوقا، بصفته مؤلفا أدبيا، لمحة عما هي الحياة حقا، علما بان المبالغات ذاتها أو حتى التشويهات، تسترعي الانتباه إلى حقائق قد نكون نسيناها. ويجد هنا القرّاء المنتبهون تعليما يتطرق إلى كيفية التصرف تجاه العالم والمستقبل، كما إلى قضايا السخاء والضيافة.

قد يكون الانطباع الأول الذي يبرز هو ان العالم مكان غير مضياف. فهو يترك في الخفاء مولد الطفل المزمع أن يكون ملكا. وحينما يُشعَر بحضوره، تبدأ الاضطرابات. فلقد أوشكت خطبة يسوع الأولى في الناصرة أن تسبب موته. ويوحنا المعمذان، ابن خالته، الذي فتح الطريق أمامه، يموت موتا عاتيا على أيدي السلطات المحلية. وكان من المتوقع ان يموت يسوع على أيدي موظفين رومان. ففي مشهد التجربة، حينما تكلم الشيطان عن السلطة السياسية، فقد اعتبرها سلطته. وحين أشار إلى ممالك العالم، قال ليسوع:

"أوليك هذا السلطان كله ومجد هذه الممالك، لأنه سُلّم إليَّ، وأنا أوليه من أشاء" (لوقا ٤: ٦).

والرفض الذي ابداه يسوع تجاه كل مساومة، جعل المجابهة محتومة ضد الممالك المشار إليها. وهكذا يتوقع يسوع المحن، وكان على تلاميذه أن يحذوا حذوه...

"وقبل هذا كله، يبسط الناس أيديهم إليكم، ويضطهدونكم، ويسلمونكم إلى المجامع والسجون، وتُساقون إلى الملوك والحكام من أجل اسمي (...) وسيسلمكم الوالدون والأخوة والأقارب والأصدقاء أنفسهم، ويميتون أناسا منكم، ويبغضكم جميع الناس من أجل أسمي" (لوقا ٢١: ١٢-١٧).

هكذا يبدو سفر الأعمال بمثابة تصديق لهذه التنبؤات المشؤومة. فيستشهد اسطيفانس، وكذلك يعقوب أخو يوحنا. ويعاني بطرس ويوحنا صعوبات متلاحقة تثيرها عليهما السلطات اليهودية: تارة يُسجنان، وطورا يُخلى سبيلهما. أما بولس، فلم يذق طعم الراحة؛ وكان قد قيل لحننيا بشأنه إن الرب سيريه "ما يجب أن يعاني من الألم في سبيل اسمي" (أعمال الرسل ٩: ١٦)، وتكاد هذه العبارة تصبح ملخصا لحياة بولس الرسولية. وإذا انتهى سفر الأعمال قبل ان تتضح نتيجة محاكمة بولس، إلا ان مصيره لم يكن موضوع شك. ذلك ان رسالة يسوع وتلاميذه، في لوقا-الأعمال، ليست موضوع تقييم العالم. إنها دعوة إلى التوبة؛ والخلافات التي تظهر، تؤوَّل بمثابة نداء للعودة إلى خبرة الأنبياء في إسرائيل الذين اضطُهِدوا لأنهم أعلنوا الحق. فالقصة التي يرويها لوقا هي قصة خلافات، على الصعيد الاسطوري، كما على الصعيد الاجتماعي. ويسوع، إذ يتكلم عن رسالته، يقول إنه جاء ليلقي على الأرض نارا (لوقا ١٢: ٤٩). وعلى المؤمنين أن يتوقعوا صعوبات من جهة السلطات القائمة، ومشاجرات في حضن العائلة، وحتى اضطهادات سافرة في سبيل ملكهم المصلوب والمنبعث.

من جهة أخرى، تبدو القصة التي يرويها لوقا انها أيضاً قصة إحتمالات -ولا يجب فهمها على انها تخص العالم الآخر فقط. فلوقا، يصف هذه الأرض بصفتها مكان رجاء، وهذا المفهوم قلّما نجده في موضع آخر من العهد الجديد. وفي أحد اقصى أطراف اللوحة، يبرز إنجيل يوحنا؛ ذلك ان كل شيء، في عالم يوحنا هذا، هو أبيض أو أسود، ولا وجود لما بينهما. وعالمه مستقطَب كليا.

فالعدد القليل من الذين ينضمّون إلى الحقيقة يسمع ويفهم؛ أما الآخرون من العميان والصم، فهم عاجزون عن الدخول، كما انهم عاجزون أيضاً عن الإيمان.

إن أبناء الله المزعومين يفضلون الظلمات على النور "لأن أعمالهم كانت شريرة" (يوحنا ٣: ١٩). وحينما جاء كلمة الله إلى العالم الذي خلقه الله، لم يقبله أهل بيته (يوحنا ١: ١١).

أما العالم الذي يراه لوقا، فمختلف تماما: فالألوان فيه صارخة، والشخصيات صريحة، والمجتمع ليس مستقطَبا لشيء واحد. نجد فيه أناسا مناهضين ليسوع، وآخرين منفتحين له بصورة واضحة؛ كما نجد أناساً لا مبالين أو مترددين، ولكنهم ليسوا معادين. فيلكس، مثلا، هو فاسد وضعيف، ولكنه يشعر ببعض الاهتمام بما سيقوله بولس عن يسوع (أعمال الرسل ٢٤: ٢٤-٢٦)؛ وفستس وأغريبا نراهما يصغيان إلى أحاديث بولس، وإن كان ما يقوله بشأن القيامة يبدو لهما حماقة (أعمال الرسل ٢٥: ١٩؛ ٢٦: ٣٢). وكثيرون هم الذين يبدون استعدادهم للإصغاء. فلقد كانت الجموع تتزاحم حول يسوع، كما تتزاحم حول تلاميذه. وهذه خطب بطرس تهدي ألوفا من الناس. وقد ذهب بولس إلى هداية حارس سجنه وجعله في عداد المؤمنين. وإذا كان البعض يجيب بعدوانية، إلا ان الذين يبدون استعدادهم لسماع الإنجيل والانضمام إليه هم أكثر عددا.

وبالرغم من المعارضات، تحرز الحركة الجديدة نجاحا باهرا: ثلاثة آلاف عماذ في يوم العنصرة! وحينما زار بولس أورشليم، روى له شيوخ المدينة أن عشرات الألوف من اليهود الأتقياء قد انضموا إلى الإيمان بيسوع (أعمال الرسل ٢١: ٢٠).

فالمكاسب المسجَّلة ليست قضية أعداد حسب، بل هي أيضاً نجاحات باهرة أُحرزت على حساب المنافسين.

هوذا فيلبس يجري أعمالا باهرة تفوق تلك التي يجريها سمعان، الساحر[٦] الشهير (أعمال الرسل ٨: ٩-١٣). ويضرب بولس بالعمى الساحر أليماس

(عليم)، وهكذا جعل من الحاكم سرجيوس بولس مؤمنا (أعمال الرسل ١٣: ٦-١٢). وفيما بعد، نراه يرغم على الصمت روح عرافة كان قد استحوذ على امرأة شابة، مما جلب عليه نقمة سادها (أعمال الرسل ١٦: ١٦-٢٤).

ويخلق بولس وبرنابا انطباعا عميقا في الجموع حملها على اعتبارهما شبه الآلهة (أعمال الرسل ١٤: ٨-١٨)، فيما يحرق المهتدون بكلام بولس، في أفسس، كتبهم السحرية التي حُسب ثمنها -كما يعلّق المؤلف- فإذا هو خمسون ألف درهم (أعمال الرسل ١٩: ١٩). ذلك ان لاسم يسوع قدرة فائقة، حتى ان المشاهد المتواترة التي يرويها سفر الأعمال تزودنا، بلغة المقارنة، بلمحة عن هذه القدرة.

وإذا كان الناس حساسين تجاه القدرة، فمعنى ذلك الهم أيضاً منفتحون للاقتناع. لقد كانت لخطابات بطرس وبولس انعكاساها المنتظرة: الذين يؤمنون يُعدّون بالألوف، ومن ضمنهم عدد من الكهنة (أعمال الرسل ٦: ٧). وإذا كان السواد الأعظم منهم من عامة الشعب، ولكن بينهم أيضاً بعض النبلاء (أعمال الرسل ١٧: ١٢). وينطلق المرسلون من الكتب المقدسة، فيجدون في كل مجمع يهودي مستمعين ذوي استعداد. هناك ولا شك من لا يؤمنون ويثيرون الشغب، ولكن كثيرين منهم يصلون إلى القناعة. والأثينيون المتصنعون، أنفسهم، نراهم يصغون إلى بولس في الأريوباغس (أعمال الرسل ١٧: ١٦-٣١)، وتأتي هذه الفرصة النادرة بثمار طيبة (أعمال الرسل ١٧: ٣٢-٣٤).

إن العالم الذي يرسمه لنا لوقا هو مكان مفتوح، يتاح فيه للمرء أن يناقش قضايا الإيمان، ويدافع عن مواقفه، ويدحض خصومه. وفيه للمحادثات الصادقة مكاناً. وبوسع الخطباء الذين يستندون إلى الكتب المقدسة أن يفترضوا وجود نقاط مشتركة، حتى مع غير المؤمنين[٧]. وبخلاف ذلك، لا نلقى، في إنجيل يوحنا، شيئا مشتركا بين المؤمنين وغير المؤمنين: فإما أن يكون الإنسان ابن النور، أو أن يكون ابن الظلمات. ويتجاوب أولئك الذين علّمهم الله، أما الآخرون فلا يتجاوبون (يوحنا ٥: ٨).

وبعبارات لاهوتية، لا يبدو اسلوب تدخل الله في العالم محتجبا، في إنجيل لوقا، كما هو محتجب في الأناجيل الأخرى. ذلك ان تلاميذ يسوع هم أشخاص معروفون، حتى ان تأثيرهم وفصاحتهم ينتشران في وضح النهار. ولا يستطيع أعداؤهم أن يدّعوا منافستهم، ولا أن يقدموا براهين ذات قيمة ضد يسوع. فكل ما بوسعهم أن يفعلوه هو محاولة إرغامهم على السكوت. ان حقيقة الله واضحة، حتى ان المؤلف الذي تناول نتيجة الحركة الجديدة، كان على قدر كبير من الثقة، بحيث انه، بطيب الخاطر، ترك المجال للتاريخ لكي يقرر حقيقة التأكيدات المسيحية. وبطريقة لا تخلو من السخرية، سيكون جملائيل -وهو عضو بارز من الطرف المناوئ- أول مَن يضع المعيار الذي سيتيح الحكم بشأن الحقيقة:

"... أقول لكم في صدد ما يجري الآن: كفوا عن هؤلاء الرجال، واتركوهم وشأنهم، فإن يكن هذا المقصد أو العمل من عند الناس فإنه سينتقض، وإن يكن من عند الله، لا تستطيعوا أن تقضوا عليهم. ويُخشى عليكم أن تجدوا أنفسكم تحاربون الله" (أعمال الرسل ٥: ٣٨-٣٩).

وما يتبع بعد ذلك من أحداث يبرّز توجهه: الاعتقالات تؤدي إلى نجاة عجائبية، تأكيدا لما أنبأ به يسوع: "لن تفقد شعرة من رؤوسكم" (لوقا ٢١: ١٨).

واستشهاد اسطيفانس ذاته، وإن شذّ عن القاعدة، فقد أدى إلى تكثيف الرسالة. ذلك ان طرد الهلينيين، بعد موت اسطيفانس، دفعهم إلى مناطق أخرى أبدت انفتاحا لبشارة الإنجيل: هوذا فيلبس يبشر السامريين، وهوذا هلينيون آخرون، كانوا قد طُردوا ووصلوا إلى أنطاكيا، أسسوا كنيسة دُعي فيها الوثنيون إلى المشاركة في البشرى السارة. وسنرى كيف ستعهد هذه الكنيسة الى بولس القيام بمهمته التبشيرية (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٦).

إن مهمة بولس الرسولية تشكل، في حدّ ذاتها، شهادة تؤدى لقوة الله التي لا تقاوَم، وهي تعمل في المؤمنين. وأية كانت معانياته، بصفته مرسَلا، فلا شيء

يؤخر سيره نحو الأمام. انه يهرب من سجنه بعد أن هدى السجّان، ويتعافى مرات عديدة من الرجم والجلد، وينجو من مكائد حيكت ضد حياته؛ ويجرَف على غير هدى طوال أيام، فوق الأمواج، ثم يغرق، ولكنه أخيرا يصل إلى روما، كما كان الله قد وعده (أعمال الرسل ٢٧). وحتى لدغة أفعى سامة، لا تلحق به أذى (أعمال الرسل ٢٨: ٤-٦). إن عناية الله ساهرة، وبوسع الجميع أن يروا ذلك، أقله الذين لم يسلّموا انفسهم، مسبقا، إلى الكذب. ويستحيل على قارئ لوقا-الأعمال ألا يلمح التفاؤل الذي يُستشف من خلال هذه الصفحات.

ان مظهر القصة هذا أعطى مجالا لشروح قام بها مفسرون عديدون. وكتابات بولس ذاتها تبرز بوضوح ميل لوقا إلى التقليل من أهمية الخلافات، كما إلى رسم صورة متناغمة للكنيسة. وإن الخواطر التي يعكسها بولس، في رسائله، حول آلامه الخاصة، تكشف عن تغلغل معنى الحياة والإيمان لديه، بشكل أعمق بكثير عكسها لوقا.

ولا عجب أن تكون نظرة لوقا الصائبة إلى العالم قد أضحت موضوع جدالات حادة. والكثير من البراهين المقدّمة بشأن لوقا-الأعمال ليست سوى تهجمات لا تخفى، عكست آراء دينية أو فلسفية بشأن العالم الحالي، ويعتبرها الشرّاح غير متكافئة[٨]. ولشرح الملاحظة الشهيرة التي خرج بها يوليوس فلهوزن، هناك تفسيرات غالبا ما أسهبت بشأن المفسّر، أكثر مما بشأن ما توخى تفسيره.

وهناك كتاب حديث أصدره دافيد تييد، حاول فيه أن يقدّم، من جديد، قضية صحة النظرة التي يحملها لوقا عن العالم، فوضع بصورة أدق مجمل لوقا-الأعمال في سياقه التاريخي[٩]. لقد ذهب إلى ان القراء العصريين لا يشعرون جيدا بجو الألم والقلق الذي كان مخيِّما قبل كتابة هذه المؤلفات. بينما يرى فيها المفسرون أدبا يدعم النظام السائد، وقد وُضع لكي يبرر قيام مؤسسة دينية جديدة، بدأت تتفوّق. ويقول "تييد": علينا في الواقع أن نرى في لوقا-الأعمال محاولة يهودية، على صعيد داخلي، لاستيعاب النكبة التي أحدثتها الحروب ضد روما وأدّت إلى خراب أورشليم. فالذين يؤمنون بيسوع كانوا قد جُرفوا، هم أيضاً، في

العاصفة الهوجاء وعرفوا التمزّق على الصعيد الاجتماعي. ولَكَم أُثيرت تساؤلات حول إرادة الله واختياره، ازاء أحداث تاريخية كانت تبدو وكأنها تنسف كل ثقة بالله وبالمستقبل.

وحين أعيد وضع مجلّدَي لوقا ضمن هذا السياق، إكتسبا مهمة مختلفة إلى حد ما عن تلك التي كان عليهما ان يضطلعا بها بصورة اعتيادية، ولكانا بالطبع، قد أدّيا نبرة مختلفة.

من السابق لأوانه أن نجزم منذ الآن. ولكن، سرعان ما أجدني بالأحرى على اتفاق مع طروحات "تيبد". وتكفي الإشارة ههنا إلى أن لوقا هو الأكثر تفاؤلا من بين كتبة العهد الجديد. ذلك ان العالم الذي يجب أن يعاش فيه الإيمان، هو عالم مفتوح، وهو في متناول الجميع، علماً بان العالم العتيد يقدّم إمكانات لا محدودة.

هوامش الفصل الرابع

(١) انظر

- L. JOHNSON, The Literary Function of Possessions in Luke-Acts, S. B. L. Série de dissertations, n° ٣٩ (Missoula, Scholars Press, ١٩٧٧)

(٢) المصدر ذاته، ص ٣٠٢

٣) الترجمة هي لهيربيرت دانبي - Herbert DANBY, "The Mishnah"

(Oxford, Oxford University Press, ١٩٣٣) ص ٤٤٦

(٤) - De John G. GAGER, "Kingdom and Communities"

(Englewood Cliff, N. J., Prentice Hall, ١٩٧٥) ص ١٣١

(٥) بشأن مونتان وانصاره، انظر مناقشة:

- Hans Von CAMPENHAUSEN, "Ecclesiastical Authority and Spiritual Power in Church of the First Three Centuries" (Stanford, Stanford University Press, ١٩٦٩)

(٦) هناك مجموعة وثائق عن سمعان الساحر، الضالع في الهرطقة في:

- Robert P. CASEY, "Simon Magus" dans the Beginning of Christianity, ٥, ص ١٥١-١٦٣

(٧) انظر مقالي: - "The Use of Psalm ١٦ in Acts II"

وأيضاً: - William Stephen KURZ, "The Function of Christological Proof from Prophecy for Luke and Justin" (Dissertation pour le doctorat de philosohpie, Uviversité de Yale, ١٩٧٦)

(٨) من المفيد ان يكون اختصاصيون، من امثال كونزلمان وهينشن اللذين خصصا وقتا كبيرا من حياتهما العلمية لدراسة مؤلّف لوقا، قد اعتبروا الأفق اللاهوتي للوقا غير متكافئ.

(٩) - TIEDE, "Prophecy and History in Luke-Acts"

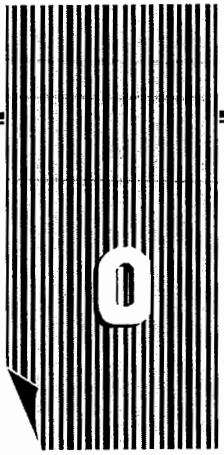

٥

الفصل الخامس

شعب الله

"الروح القدس يترل عليكم فتنالون قـــوة وتكونـــون لي شـــهودا في أورشليم وكل اليهودية والسامرة، حتى أقاصي الأرض" (أعمال الرسل ١: ٨).

إن القصة التي تبدأ بكاهن ريفي، في هيكل أورشليم، تنتهي، في عاصـــمة الإمبراطورية، بالرسول العظيم بولس الذي يبشر بملكوت الله ويعلّم مـــا يخـــتص بالرب يسوع المسيح "بكل جرأة، لا يمنعه أحد" (أعمال الرسل ٢٨: ٣١).

يتكلم لوقا عن حركة ذات أصول متواضعة جدا، ولكنها تنتشر مثل نثار بارود، وهي حركة لا يمكن أن يُصَد تقدمها. ولا عجب، والحالة هذه، أن يكون المفسرون قد تكلموا عادة عن لوقا-الأعمال ورأوا فيهما الكتابين اللذين، من بين جميع كتب العهد الجديد، أبديا المزيد من الاهتمام بالبحث عن انتشار الإنجيل بين جميع الأمم (الوثنية). وحينما تتكلم طبعة اوكسفورد للدراسات الكتابية عن إنجيل لوقا، تشير إلى "رسالة يسوع الشاملة"، لتدلّل على انها رسالة لا تقتصر على اليهود وحدهم. ويستخلص فرنر جورج كومّل، في مقدمته للعهد الجديد، من الانتـــشار الجغرافي للإنجيل، بانوراما تاريخ كامل:

"حسب معظم هذه الأجوبة، يُستخلص أن التنظيم الجغـــرافي بموجـــب التقرير الذي تقدمه "الأعمال"، في اطار انتشار تبشيري علـــى الأرض، يشمل انتشارا تدريجيا للقضية في حد ذاتها: وتكون قد امتدت من تبشير

يهود أورشليم حتى رفضهم النهائي الخلاص الذي جلبه الله، وإعلانه بحرية أمام الوثنيين في روما"[١].

أما "هووارد كي Kee"، فهو أكثر إيجازا في كتابه المعنون "لفهم العهد الجديد"، إذ يقول:

"يكتفي لوقا بالإلحاح على تغيير نبرة الإنجيل الذي يحدث انتقالاً من اليهود باتجاه الأمم"[٢].

ويتوافق جيدا هذا المفهوم مع انتساب الكتابين التقليدي إلى "لوقا، الطبيب الحبيب" (قولسي ٤: ١٤)، ذاك الوثني المهتدي، ورفيق بولس في أسفاره.

إنه لمن المعقول أن يكون وثني رفيق رسول الأمم الشهير في أسفاره، شرع بكتابة تاريخ الرسالة لدى الوثنيين، هذه الرسالة التي جعل إطارها يمتد حتى عاصمة الإمبراطورية. وإن ذوي الاختصاص الذين يرفضون أبوّة لوقا التقليدية للكتابين، يظلون متفقين مع ذلك على نقطة: المكان الذي يشغله اليهود في تصميم هذا الكتاب. ذلك ان أشخاصا من مثل أرنست هينشن وهانس كونزلمان، اعتقدوا أن المؤلف لم يكن رفيقا لبولس، بل مسيحيا مجهول الاسم، كان يبحث عن ضمان وضع مستقر لجيل من المؤمنين لم يكن يراودهم بعد انتظار عودة الرب الوشيكة. ذلك ان قيام مؤسسات كنسية جديدة، كان يقتضي تبريرا؛ كما ان العلاقات مع السلطة السياسية القائمة، كانت تتطلب إيضاحاً. وهكذا يكون مؤلف المجلد المزدوج قد بحث أيضاً، حسب رأيهم، عن توضيح العلاقات بين المسيحيين واليهود. والفكرة التي يتوصل إليها كونزلمان متميزة:

"من البديهي أن الجدال حول الأوامر الخاصة بالعبادة اليهودية ليست قضية الساعة، بل نقطة في التاريخ. وقد تحرك هذا الجدال من خلال الطروحات التاريخية بشأن بدايات الجماعة، وليس عبر نقاش يتصل بالعلاقات الآنية بين الكنيسة من جهة، وبين الهيكل والشريعة من جهة أخرى. والحل –تحرر من كل التزام تجاه الهيكل والشريعة– هو، في نظر

لوقا، أمر محقق. وهكذا يكون لوقا أول كاتب يصف، عن قصد، ماضي الجماعة، بصفته "ماضيا"[٣].

وبمفردات أخرى، اعتبرت الكنيسة انها متميزة عن المجمع اليهودي. ولا ينكر المؤلف تجذّر الحركة المسيحية في الديانة اليهودية، ولكنه سعى ان يحيل إلى الماضي كل ذكرى احترام نحو هذه الوشائج. ذلك ان مؤلف لوقا-الأعمال يرى ان الكنيسة تنتمي إلى عهد جديد.

لقد أعيد النظر، مؤخرا، في هذا التأويل التقليدي لمجمل لوقا-الأعمال؛ وتلك هي، بمقدار كبير، نتيجة إعادة النظر في الصورة التي كنا نحملها عن القرن الأول. وهكذا، ما كان أولا بضع محاولات خجولة، أصبح تيارا عارما من المقالات والتحليلات[٤]. لقد قدّم مفسرون، من جهات مختلفة، هذه الفكرة التي بموجبها يكون المجلدان غير بعيدين عن التقليد اليهودي، بل ينتميان إليه؛ ويكون المؤلف أكثر اهتماما بإقامة استمرارية مع تراث إسرائيل، منه بإقامة قطيعة معه؛ ولا يتعلق الأمر بلاهوت "**استبدال**" تحل به الكنيسة، في تصميم الله الخلاصي، محل إسرائيل، إذ ان سفري لوقا-الأعمال لم يعتبرا أبدا الانتماء إلى التورا أمرا بائدا، حتى ان الحديث عن "**كنيسة مسيحية**" كان يشكّل مفارقة، لاسيما إذا ما اعتُبرت وكأنها حركة جديدة أثبتت استقلالها الذاتي عن الديانة اليهودية.

سنفحص، إذن، بمزيد من التفصيل، ما كنّا قد تطرقنا اليه فقط حتى الآن: العلاقة الموجودة بين إسرائيل والذين يؤمنون بيسوع. وسنفحص هذه المسألة بانكبابنا، بنوع أخص، على مفهوم: "شعب الله".

التقوى والشريعة

الأشخاص الذين تتناولهم رواية لوقا هم يهود، ما خلا استثناءات نادرة، ولا عجب في ذلك. والأجدر بالملاحظة هو الاهتمام الذي يبديه المؤلف تجاههم، بصفتهم يهودا. فالأشخاص الأولون الذين نلقاهم، يقدَّمون لنا بصفة أتقياء — بتلك التقوى التي تقاس بمعايير يهودية:

"وكانا كلاهما بارا عند الله، تابعًا جميع وصايا الرب وأحكامه ولا لوم عليه" (لوقا ١: ٦).

يشير لوقا وحده، بين جميع الإنجيليين، إلى أن والدي يوحنا ختنا ابنهما في اليوم الثامن. ويسوع، هو أيضاً، خُتن بحسب الشريعة. ويكلمنا لوقا عن الزيارة التي قام بها أهل يسوع إلى الهيكل "لطهورهما، بحسب شريعة موسى" (لوقا ٢: ٢٢)، مشيرا، بطريقة رنانة، إلى أن يوسف ومريم رجعا إلى مدينتهما الناصرة "بعد أن أتما جميع ما تفرضه شريعة الرب" (لوقا ٢: ٣٩). وتبدو رحلتهما إلى أورشليم قد تمت في عيد الفصح، بعد أن بلغ يسوع الاثني عشرة من عمره، -وتلك طرفة أخرى لا نجدها إلا عند لوقا، وهي مطابقة تماما مع ما كان يُنتظر من يهود ملتزمين.

لقد أكد بعض علماء الكتاب المقدس أن الفصلين الأولين من إنجيل لوقا يشكّلان وحدة خاصة؛ ومن هذه الوجهة، يشهدان لاهتمام بتقوى يهودية لا نجده في موضع آخر من إنجيل لوقا أو من سفر الأعمال(٥). ان مثل هذه التأكيدات لا يسعها ان تفرض نفسها. فإن تعلّق يسوع، في ما يخص الشريعة، بحسب لوقا، يفوق تعلّق يسوع، بحسب متى. فمثلا، لم تكن ليسوع في الواقع صلة بالوثنيين في إنجيل لوقا. ولا يذكر لوقا لقاء يسوع بالمرأة الوثنية، السورية-الفينيقية، في حين ورد ذلك لدى متى ومرقس (مرقس ٧: ٢٤-٣٠؛ متى ١٥: ٢١-٢٨). وفي الواقع، يتجنب لوقا، على ما يبدو، التطرق الى أن يسوع قد تجول في أرض وثنية. وهو يعلم جيدا -وهذا ما شرحه بطرس لقرنيليوس في سفر الأعمال- أن الشريعة تمنع العلاقات بين اليهود والوثنيين (أعمال الرسل ١٠: ٢٨). فإن يسوع، بحسب لوقا، خلال رسالته العلنية، لا يبدي أي ميل إلى مخالفة الشريعة في هذا الصدد.

هناك استثناء واحد، وهو شفاء يسوع عبد قائد المائة الروماني (لوقا ٧: ١-١٠). ففي الصيغة التي يعطيها متى عن الرواية ذاتها، نرى الوثني هو الذي يأتي ليلتقي يسوع ويطلب منه شخصيا العون (متى ٨: ٥-١٣). أما في لوقا، فأعيان اليهود هم الذين يتشفعون لصالح هذا القائد:

"فلما سمع بيسوع، أوفد إليه أعيان اليهود يسأله أن يأتي فينقذ عبده. ولما وصلوا إلى يسوع، سألوه بإلحاح قالوا: "إنه يستحق أن تمنحه ذلك، لأنه يحب أمتنا، وهو الذي بنى لنا المجمع" (لوقا ٧: ٣-٥).

في نص رواية لوقا، لا يتعامل يسوع أبدا مع الرومان بصورة مباشرة.

ولا تتغير الحالة في سفر أعمال الرسل. فإن المؤمنين الأولين يوصفون فيه بمثابة محافظين على الشريعة حتى الوسواس، ويترددون بانتظام إلى الهيكل (أعمال الرسل ٢: ٤٦؛ ٣: ١؛ ٥: ١٢). "فالألوف من اليهود الذين آمنوا"، في أورشليم، كانوا كلهم "ذوي غيرة على الشريعة" (أعمال الرسل ٢١: ٢٠). وبولس ذاته -وكانت الآراء المتحررة التي تُنسب إليه، في ما يتعلق بالتقليد، تسبب همّا كبيرا للشيوخ- يعتبر نفسه بمثابة يهودي تقي لا يسعه قط ان يقول كلمة ضد الكتاب المقدس أو التقليد. و تحدّد الشريعة تقوى بولس الشخصية، أقله في سفر الأعمال.

إن أحد المواضيع الكبرى في لوقا-الأعمال هو امتداد الخلاص إلى الوثنيين. ومنذ وقت مبكر، كان الإنجيل، كما كانت تصريحات يسوع في لوقا ٢٤ وأعمال الرسل ١، قد وضعت التمهيدات. و يصف سفر الأعمال، بصورة احتفالية جدا، اهتداء الوثنيين الأولين، في قصة بطرس وقرنيليوس. ولكن، ليس ثمة أية رواية أخرى، تظهر تعلقا أكثر وضوحا بالشريعة اليهودية. فعوض أن تفتح الرواية عهدا يكون فيه المؤمن معفى من الطاعة للشريعة، نجدها توفر الفرصة لدمج الوثنيين، في أسرة المؤمنين، مع السعي إلى التكيف معهم، دون أي إلغاء للشريعة التي تشكّل بنية حياة الجماعة.

إنه لأمر ذو مغزى أن يكون بطرس هو الذي يشرف على اهتداء الوثني الأول. لم تكن تلك خيارات لوقا. وكان بوسعه أن يتتبع رسالة الهلينيين المطرودين من أورشليم (أعمال الرسل ٨: ١). انه روى رسالة فيلبس عند السامريين، و لم يعد إلى الذين كانوا في أنطاكيا يبشرون وسط الأمم، إلا في وقت لاحق (أعمال الرسل ١١: ١٩-٢٦). لقد كان بوسع المؤلف أن يرافق بولس لفترة أطول. انه يروي اهتداء هذا الرسول في الفصل التاسع، ولكنه لا يتناول نشاطه الرسولي إلا

بعد توقف قطع سير الرواية (أعمال الرسل ١٠: ٣٢؛ ١٢: ٢٤). وحينما استؤنفت قصة بولس، فلكي يكلمنا عن نشاطه في الوسط الوثني. ربما اعتقد لوقا انه من المهم ألا يكون الهلينيون ولا بولس -وهم هؤلاء "المتحررون" الذين كان موقفهم تجاه الشريعة يطرح تساؤلا- روّاد الرسالة في البيئة الوثنية، في حين لم يكن ثمة من ينكر على بطرس لقبه اليهودي الأصيل(*).

إلا أن الرؤى والظهورات تسجّل منعطفا في سفر الأعمال، مشيرة إلى أهميته: فالزيارة الأولى إلى أهل غلاطية جرت، لا بسبب بطرس، بل رغما عنه... ونحو الساعة السادسة (أي الظهر)، تتابعت ثلاث رؤى تتعلق بالتصرّف تجاه الطهارة الطقسية (أعمال الرسل ١٠: ٩-١٦)، مما أتاح لبطرس فرصة ليؤكد الاحترام الذي يوليه للطهارة: "لا يا رب! لم آكل قط نجسا أو دنسا" (أعمال الرسل ١٠: ١٤). ولا تتكلم الرؤية عن مخالفة قواعد، بل عن تطهير: "ما طهّره الله، لا تنجسه أنت" (أعمال الرسل ١٠: ١٥). وفي موضع أبعد من الرواية، نرى ان الله، بإفاضة الروح القدس على الغلاطيين، يطهرهم -وتلك هي في الأقل الصورة التي يلجأ إليها سفر أعمال الرسل.

وبينما كان بطرس غائصا في رؤياه، هوذا موفدون في دربهم إليه، كان قرنيليوس قد أرسلهم، جوابا على تعليمات ملاك ظهر له في الأمس (أعمال الرسل ١٠: ٣-٨). وقرنيليوس، أول الوثنيين المهتدين، حسب سفر الأعمال، لا يكاد يصلح كنموذج للوثنيين. فلقد كتب لوقا عنه: "كان تقيا يخاف الله، هو وجميع أهل بيته، ويتصدق على الشعب صدقات كثيرة، ويواظب على ذكر الله" (أعمال الرسل ١٠: ٢)، وهكذا يكمل قرنيليوس كل ما يُنتَظر من يهودي تقي، إذ لم يكن لديه من مواصفات الوثني سوى القلف. وحتى في هذه الحال، يتردد بطرس في القيام بزيارة إلى بيته. هوذا يشرح لقرنيليوس أنه إذا فعل ذلك، فإنما يفعله نزولا

(*) ان التضاد مع غلاطية ٢ واضح جدا. فبولس يعلن قائلا "عُهد إليَّ في تبشير القلف، كما عُهد إلى بطرس في تبشير المختونين..." (٢: ٧). فلا نجد فيها أي أثر لأي نوع من العلاقات بين بطرس والتبشير لدى الوثنيين.

عند أمر الله:

"تعلمون أنه قد حُرم على اليهودي أن يعاشر أجنبيا أو يدخل منزله. أما أنا فقد بيّن الله لي أنه لا ينبغي أن ادعو أحدا من الناس نجسا أو دنسا" (أعمال الرسل ١٠: ٢٨).

وبطرس، بالرغم من هذا الإعداد البعيد، وبالرغم من رؤاه ومن حدسه الجديد، يظل منذهلا -ورفاقه معه- حينما رأى الروح القدس يتدفق على قرنيليوس وعلى جميع أهل بيته (أعمال الرسل ١٠: ٤٤-٤٨).

ويثير عماذ قرنيليوس وأهل بيته جدالا، لدى عودة بطرس إلى أورشليم. هوذا "حزب المختونين" ينتقد بطرس، ليس لأنه عمّذ وثنيين، بل لأنه أكل معهم (أعمال الرسل ١١: ١-٧). و لا تتوقف القضية، في فكرهم، على معرفة هل سيخلص الوثنيون، بل بأي شروط سيخلصون. فالمعضلة هي على صعيد الشريعة: ذلك ان التورا تمنع كل صلة بغير اليهود. وحينما يروي بطرس "قضية قرنيليوس"، فهو لا يوحي بأنه قد تعدى الشرائع، بل بأن الله قد "طهر" الوثنيين، جاعلا إياهم قادرين على المشاركة في موائد اليهود.

ولا تأتي الخلاصة الرسمية لهذه القضية إلا في ما سُمي بمجمع أورشليم في (أعمال الرسل ١٥).

ومع ذلك لا يزال يتردد يهود متنصرون تجاه وضع الوثنيين الشرعي. ويبدو بولس وبرنابا وكنيسة أنطاكيا في الصميم من هذا الجدال. وأُرسِل وفد إلى أورشليم لحل هذه القضية. ومن الصعب أن نتصور بأن الاجتماع الذي يصفه الفصل ١٥ من الأعمال، هو عين الاجتماع الذي يتكلم عنه بولس في الفصل الثاني من رسالته إلى أهل غلاطية. ففي سفر الأعمال، لا يقوم بولس بأي دور في اتخاذ القرار. والأطراف الحقيقيون هم بطرس ويعقوب: فبطرس يروي من جديد قصة قرنيليوس، ويعقوب(*) -الذي لم يقدَّم لنا- يصوغ القرار. وان يعقوب، إذ

(*) يعقوب معروف في التقليد المسيحي بصفة يهودي متنصر يحترم الجماعة اليهودية. انظر JERVELL, "James: Defender of Paul" dans Luke and the People of God, ص ١٨٥-١٩٩.

يسرد ما جاء في النبي عاموص، يثبت التوجيهات الملائمة بشأن العلاقات مع الوثنيين، عبر رسالة يجب أن توجَّه إلى جميع الكنائس:

"ذلك فإني أرى ألاّ يضيَّق على الذين يهتدون إلى الله من الوثنيين، بل يكتب إليهم أن يتجنبوا نجاسة الأصنام والزنى والميتة والدم" (أعمال الرسل ١٥: ١٩-٢٠)

لا يخوِّل القرار الرسمي الوثنيين استقلالا تاما إزاء التورا، بل يضع عليهم الالتزامات المفروضة تقليديا على "المقيمين" في إسرائيل، أي غير اليهود الذين يبحثون عن مقاسمة حياة اليهود، دون الخضوع لفريضة الختان (طالع أحبار ١٦: ١٧) (*). وتُحلّ المعضلة -أي المنع الذي تفرضه الشريعة على إقامة العلاقات مع غير اليهود- بالعودة إلى التورا ذاتها، أي بطريقة يهودية خالصة. فالوثنيون الذين ينضمون إلى الإيمان بيسوع، ملزمون بتناول طعام مطابق للشريعة، إذا ما دُعوا إلى مقاسمة الأطعمة مع اليهود المتنصرين. ويؤكد القرار الرسولي على حفظ الزامية الشريعة كدليل حياة، لليهود وللوثنيين معا.

في سفر الأعمال، كما في الفصول الأولى من إنجيل لوقا، تُحدَّد التقوى حسب معايير التورا. وعلى النقيض من موقف بولس في رسائله، لا يدع لوقا مجالا، في أي موضع، للظن بأن الإيمان بيسوع يؤدي إلى إلغاء التورا. فالوثنيون أنفسهم ملزمون بحفظ الجزء المتعلق بهم من التورا، بصفتهم من غير اليهود. وهكذا يتضح ان الرأي الذي طرحه كونزلمان، وأوردناه في مقدمة هذا الفصل، هو رأي خاطئ. فالشريعة تظل سالمة في حضن الكنيسة. وشعب الله، في الإنجيل كما في سفر الأعمال، هو مكوّن قبل كل شيء من أبناء إبراهيم الذين يحفظون الشريعة. إنما الاستثناء الوحيد لصالح غير اليهود، هو أنهم، لدى دخولهم إلى العائلة، يُعفَون

(*) إن ثمة صدى للنقاشات الدائرة في الحلقات اليهودية حول العلاقات مع غير اليهود وما كان ينتظر منهم. وربما حول نوع من العلاقة مع التقاليد المتعلقة بالوصايا "النوحية" (أي الشرائع المعطاة لنوح في الفصل التاسع من سفر التكوين، والتي تنطبق على جميع الشعوب). أنظر الشروح الواردة في التلموذ البابلي في "سنهدريم" (Sanhédrin) ٥٦، أ - ب.

من فريضة الختان. وعلى غرار الألوف من المؤمنين اليهود في أورشليم، الغيارى على حفظ الشريعة، تحفظ الكنيسة كلها، هي أيضاً، الوصايا.

الشريعة وإسرائيل

لقد شعر دوما قراء العهد الجديد، من المسيحيين، بشيء من الصعوبة في فهم المكان الذي تحتله الشريعة في الديانة اليهودية. ويأتي جزء من هذه الصعوبة من خطأ بروتستانتي في طريقة قراءة التورا، والتي تقدم مفاهيم الشريعة والشريعانية وكأنهما سواء. هناك اختصاصيون عديدون، بدءاً من جورج فوت مور إلى هانس جواشيم شوبيس و ا.ب. سندرس، أعادوا النظر في طريقة تأويل التقوى في التورا[٧]. وفي أحدث دراسة قام بها السيد "سندرس" (بولس والديانة اليهودية الفلسطينية) برهن أن التورا، في الديانة اليهودية، لم تكن قط وسيلة لاستمالة الأفضال الإلهية، إذ كان اليهود، والمسيحيون أيضاً، يتصورون الله عطوفا ورحيما. فلقد اتسمت هذه الدراسة، بالإضافة إلى الوثائق الكثيرة التي اعتمدتها، بوضوح يقضي نهائيا على هذا النوع من الخطأ في التأويل.

ومثل هذه الإيضاحات تُمدّ قراءة لوقا-الأعمال بمساعدة نفيسة. فإن لوقا يعتبر شريعة موسى أمرا رئيسا في حياة الذين ينضمون إلى الإيمان بيسوع، ولكن ليس كوسيلة للخلاص. وفي الواقع، قليلة هي روابط الشريعة بالخلاص، في لوقا-الأعمال. فهي، قبل كل شيء، علامة لهوية وطابع يُميزان شعب الله عن سائر شعوب العالم.

في عهد لوقا، كان الناس، منذ وقت طويل، يرون في الشريعة علامة لهوية. وبالنسبة لليهود، وبنوع خاص العائشين منهم خارج فلسطين، بين الوثنيين، كان الانتماء إلى قانون متميز هو الذي يتيح تشخيص عضو من الشعب المختار. فلقد كانت لقواعد العبادة عين الاهمية التي لقواعد الأخلاق، إذ انها كانت علامات منظورة على الطاعة للشريعة (مثل الامتناع عن أكل لحم الخنزير، والالتزام براحة السبت، وممارسة الختان)، وهي التي كانت تجعل الهوية اليهودية منظورة في عالم

وثني. وحينما تلاشت علامات أخرى لهذه الهوية (الأرض، الملك، الهيكل)، كان الانتماء إلى التورا هو عنصر الوحدة المتميز. وهكذا كانت التورا تقوم بدور الإشارة الدالة الموجّهة نحو الإله الحقيقي الوحيد، في عالم زاخر بالأصنام؛ فكانت تشخص أتباعها بصفتهم الساجدين لهذا الإله.

لقد كان لوقا يشاطر هذا المفهوم. وتفترض روايته أنه إذا كان ثمة شعب لله، فإن هذا الشعب يحفظ الشريعة. وهكذا فان زكريا وأليصابات، يوسف ومريم، يسوع وبطرس وبولس، جميعهم يهودٌ محافظون. وحينما يبدي يهود آخرون بعض الانتقادات، يُرَدّ عليهم بالاستناد إلى التقليد.

والنقاط الأشد حساسية، كقضية تناول الطعام مع الوثنيين، تبرَّر بالعودة إلى الكتاب المقدس (أعمال الرسل ١٥). وإذا استندنا إلى الطريقة التي بها يقدّم لوقا قصة يسوع وتلاميذه، فلا شيء يبرر ان تتهم الحركة بمناهضة الشريعة. فأعداء المسيح هم الذين يخالفون الشريعة (أعمال الرسل ٧: ٥١-٥٣). ويسترعي موقف بولس تجاه الشريعة اهتماما خاصا لدى المؤلف. ويعترف شيوخ أورشليم بأن سمعة بولس تشكل مشكلة بين اليهود:

"لقد بلغهم ما يُشاع عنك من أنك تعلّم اليهود المنتشرين بين الوثنيين أن يتخلوا عن موسى، وتوصيهم بألاّ يختنوا أولادهم ولا يتبعوا السُنّة" (أعمال الرسل ٢١: ٢١).

ويخضع بولس، بطيب الخاطر، للبرهان العسير على أمانته تجاه الشريعة -وقد اقترحه عليه الشيوخ (أعمال الرسل ٢١: ٢٣-٢٤)- بما أنه، على حد قوله، لم يفعل قط "ما يسيء إلى الشعب ولا إلى سُنن الآباء" -وسيعود إلى ذلك بإلحاح، في وقت لاحق (أعمال الرسل ٢٨: ١٧). ويعلم شيوخ أورشليم أن بولس عاش محافظا على الشريعة (أعمال الرسل ٢١: ٢٤).

إن لمؤلف لوقا-الأعمال مفهوما عن الشريعة يختلف عن مفهوم بولس، إذ أعطى لمعضلة "**اليهود والوثنيين**" حلا مختلفا عن ذلك الذي أعطاه رسول الأمم العظيم[٨]. ففي نظرته، لم يطرأ أي تغيير في بنية الشريعة اليهودية منذ مجيء المشيح.

أما لوقا، فلم يكن بوسعه أن يقول قط، كما فعل بولس، إن "المسيح هو غاية الشريعة" (رومية ١٠: ٤). فالمسألة، بالنسبة إلى لوقا، لم تكن في معرفة كيف يكون بوسع المرء أن يخلص، بل هل يستطيع الذين خُلِّصوا أن يطالبوا بإرث إسرائيل؟ فلقد كان شعب الله، منذ إبراهيم، قد مارس الختان كعلامة لاختياره. و لم يتغير الأمر بحسب لوقا. ذلك ان مشيح إسرائيل قد جاء، وظهر عهد جديد من تاريخ شعب الله. لقد قُبل الوثنيون في العائلة، ولكن، في نظر لوقا، كان ثمة إسرائيل واحد مستمرا في الوجود، وشعب واحد لله أميناً للشريعة، وتاريخ واحد للخلاص كان قد بدأ بدعوة إبراهيم. وهكذا يعتبر لوقا أن شريعة إسرائيل كانت علامة الاستمرارية.

قطيعة داخل العائلة

لا يتناول سفرا لوقا-الأعمال الحديث عن ديانة جديدة. ولفظة "المسيحي" التي لا تُستعمل سوى مرتين في سفر الأعمال (والمجموع ثلاث مرات في العهد الجديد كله)، يستخدمها الوثنيون للإشارة إلى الذين يؤمنون بيسوع (و في هذه الحال، كان اليهود يلجأون إلى لفظة "مشيحيين"). أما المؤلف، فيتكلم عن الحركة الجديدة وكأنها "**طريقة**" أو"**شيعة**". و لم يكن أحد قط يلجأ إلى تعبير "**إسرائيل الجديد**" للإشارة إلى الفرقة الجديدة من المؤمنين. ففي منظور لوقا، ليس ثمة سوى إسرائيل واحد، وروايته تحكي الفصل الأخير من تاريخ هذا الشعب. ومع ذلك لم يكن الفصل الأحدث من تاريخ إسرائيل متناغما بالكفاية. لقد حدث شق خطير داخل العائلة، كما كان متوقعا: ألم يكن سمعان قد أنبأ بأن يسوع "جُعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم في إسرائيل" (لوقا ١: ٣٤). وسفر الأعمال يُظهِر تحقيق هذا الوعد.

إن المعارضة ضد يسوع التي بلغت ذروتها ابان الصلب، استمرت بصيغة معارضة ضد الذين يبشرون باسمه بالتوبة وغفران الخطايا. وبالرغم من النجاح المنقطع النظير الذي أحرزته كرازة بطرس في أورشليم، إلا ان هناك معارضة

برزت: فالسلطات تحاول إرغام الرسل على السكوت (أعمال الرسل ٤: ٥)، واسطيفانس يُعدَم، وبولس يُلقى القبض عليه، ولكنه يتمكن من الهرب من اليهود الذين كانوا قد أقسموا على إبادته.

ولا يكتفي لوقا بمحاولة الاعتراف بالانشقاق الذي حدث في صميم إسرائيل، بل يقدّم شرحا له. ويوفر خطاب بطرس، الوارد في الفصل الثالث من سفر الأعمال، إطارا تندرج فيه معارضة ممكنة. وفي القسم الثاني من الخطاب، يسرد بطرس الفصل ١٨ من سفر تثنية الاشتراع ويطعّمه بمراجع من سفر الأحبار:

"لقد قال موسى: سيُقيم لكم الرب الإله من بين أخوتكم نبيا مثلي، فاستمعوا له في جميع ما يقول لكم. ومن لم يستمع لذلك النبي يستأصل من بين الشعب" (أعمال الرسل ٣: ٢٢-٢٣).

إن هبة الخلاص باسم يسوع، كما صيغت في نبوءة يوئيل وأُدرجت في خطاب بطرس السابق، تقدَّم هنا في ضوء مختلف. فعلى مثال النبي موسى، يعرض يسوع على الإسرائيليين خياراً؛ عليهم أن يختاروا، كما جاء في سفر التثنية. فالذين يطيعون كلامه، يبرهنون عن أمانتهم تجاه الله؛ أما الذين يرفضون كلامه، فيتخلّون عن حقوقهم بصفة ورثة. والذين يعتبرون تعاليم يسوع حرفا ميتا، يضعون أنفسهم خارجا عن إسرائيل. و ينقل لنا مطلع سفر الأعمال مشاهد تطهير تقدِّم لليهود الفرصة لكي يثبتوا حقوقهم في الارث، بقبولهم شهادة الرسل. فالذين يقبلون هبة الخلاص باسم يسوع يظلون يهودا حقيقيين؛ أما الذين يرفضونها، فلن يُعتبروا هكذا من بعد.

وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، يحتل موضوع اسرة إسرائيل الممزَّقة مكان الصدارة في خطاب اسطيفانس. فمنذ عهد الآباء -عهد أبناء إسرائيل- وُجد في الاسرة أعضاء قاوموا اولئك الذين اختارهم الله: يوسف وموسى و"جميع الأنبياء"، كانوا عرضة لاضطهاد أخوة كذبة من بني إسرائيل. وليست الانقسامات الداخلية أمرا جديدا. فالذين رفضوا يسوع وجروا اسطيفانس إلى المحاكم، وُصفوا بمثابة

ذرية أولئك الجدود الذين قاوموا بإصرار أولئك الذين كان الله قد أحلَّ عليهم روحه القدوس.

وتجدر الملاحظة بأن المعارضة ضد الرسل، نجدها خاصة لدى الصدوقيين، وهم المسؤولون الارستقراطيون عن الهيكل. وفي موضع آخر من سفر الأعمال، نعلم أن الصدوقيين "يقولون بأنه لا قيامة ولا ملاك ولا روح" (أعمال الرسل ٢٣: ٨). وتتأتّى معارضتهم ليسوع وبطرس واسطيفانس وبولس من رفضهم تصور إمكانية القيامة، ومن عجزهم عن تجاوز مركز الاهتمام الذي كان يشكله الهيكل. فإن خراب الهيكل على أيدي الكتائب الرومانية -وقد أضحى خرابه في عداد الذكريات حين كتب لوقا سفر الأعمال- كان يقدّم لتلاميذ المشيح البرهان الصارخ على أنهم، هم المشيحيون، وليس خصومهم، يستحقون اسم الإسرائيليين".

ونرى الانقسام الذي كان يمزق إسرائيل يهيمن على رسالة بولس ذاتها. فإن كرازة بولس في المجامع، عبر الإمبراطورية الرومانية، تؤدي إلى خلق شبه مستوطنات من يهود "اصيلين"، ولكنها في الوقت ذاته تثير معارضة. فإن يهودا حانقين يطاردون بولس حيثما ذهب، ويفلحون بالتالي في الحصول على توقيفه في أورشليم (أعمال الرسل ٢١: ١٧-٣٠). ومن جديد، يبدو تأويل مثل هذه المعارضة حاسما. هوذا بولس، في خطابه الافتتاحي في مجمع أنطاكيا بسيذية، يختم بمرجع من النبي حبقوق سبق أن أوردناه أعلاه (أعمال الرسل ١٣: ٤٠-٤١). وهيذي نبوءة حبقوق تتحقق، وبنوع مأساوي. ذلك ان اليهود يستهزئون ببولس؛ ونعلم انهم بذلك يقررون هلاكهم. وتبدو معضلة المعارضة الداخلية ضد يسوع وتلاميذه، في إسرائيل، معضلة أساسية ومؤلمة في لوقا-الأعمال. ويُستشَف عمقها من درجة الانتباه التي يوليها اياها لوقا. كيف يستطيع الشعب المختار أن يرفض هبة الغفران والحياة التي تُقدَّم له باسم يسوع؟ ولماذا لم يكن بإمكانه أن يرى الحقيقة التي تُعرض أمام عينيه بمثل هذا الوضوح؟ ولإعطاء أجوبة لمثل هذه الأسئلة الصعبة والمقلقة، كان على لوقا، على غرار سائر مؤلفي كتب العهد الجديد، أن يعود بالتالي إلى الكتب المقدسة المتداولة لدى الشعب اليهودي. وليس من قبيل

المصادفة المحضة ان يقدِّم المشهد الذي ختم سفر الأعمال، كموجز نهائي، شعبا لله منقسما، مع تفسير لهذا الانقسام:

"وبينما هم منصرفون كانوا على اختلاف فيما بينهم، فقال بولس كلمة واحدة:
أحسن الروح القدس في قوله لآبائكم بلسان النبي أشعيا:
إذهبْ إلى الشعب فقل له:
تسمعون سماعا ولا تفهمون،
وتنظرون نظرا ولا تبصرون،
فقد غلظ قلب هذا الشعب،
وأصموا آذانهم وأغمضوا عيونهم
لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم
ويفهموا بقلوبهم، ويرجعوا فأشفيهم".
فاعلموا إذن أن خلاص الله هذا أُرسِل إلى الوثنيين وهم سيستمعون إليه" (أعمال الرسل ٢٨: ٢٥-٢٩).

وبالرغم من رأي بعض الاختصاصيين -وهم يريدون أن ينتهي سفر الأعمال بنبرة الرجاء تجاه اليهود الذين لم يقبلوا بعدُ إنجيل المسيح المنبعث- فانه من الصعب ألاّ نستشف بأن عهدا انتهى بنهاية سفر الأعمال. ذلك إن تجديد إسرائيل الذي تحقق طبقا للوعود الإلهية قد اكتمل. وبلغت الحال باليهود غير المؤمنين إلى أن "يُحذفوا من وسط الشعب". بموجب مواعيد الله، فقد تمّ الانقسام المأساوي في إسرائيل؛ ومن الآن، يتواصل مستقبل إسرائيل لدى الوثنيين: هم، في الأقل، سيستمعون.

لكن مجيء "عهد الوثنيين" لا ينبئ بموت إسرائيل القديم. وإذا كان هناك مستقبل أمام شعب الله، فذلك لأن له حصرا، ماضيا وحاضرا، لأن حضور المؤمنين المختونين يعطي ضمانا لاستمرارية التاريخ. وإذا لم يكن، حين كتب لوقا مؤلَّفه،

لهؤلاء اليهود المتنصرين التفوق العددي، إلا انهم لعبوا دورا أساسيا في التاريخ الذي كتبه لوقا.

لقد كان حضورهم يشكل الشهادة المنظورة على أن الله كان أمينا لشعبه، وأن الوعد الذي قُطع لإبراهيم قد تحقق تماما. وفي نظر لوقا، لم يكن بوسع الكنيسة، من دون مؤمنين أتوا من صفوف المختونين، أن تدّعي، بحق، بأن أرث إسرائيل يعود إليها. فبفضلهم فقط، استطاعت الكنيسة أن تختص لنفسها لقب "شعب الله".

هوامش الفصل الخامس

(١) - KUMMEL, Introduction, ص ١١٥

(٢) - Howard Clark KEE, Franklin W. YOUNG, Karlfried, FROEHLICH, "Understanding the New Testament", ط ٢ (Englewood Cliffs, N. J. Prenticehall, ١٩٦٥) ص ٣٢٢

(٣) - CONZELMANN, "The Theology of St Luke", ص ١٦٥

(٤) محاولتا داهل

- DAHL, "The Story of Abraham in Luke-Acts"
"The Purpose of Luke-Acts"
"Jesus and the Memory of the Early Church" وقد ظهرتا في

واعتبرت مجموعة محاولات جيرفيل في "Luke and the People of God" من بين المؤلفات المتميزة جدا. إلا ان كتابي تيبد وجونسن ذهبا بالمناقشة إلى أبعد:

- TIEDE, "Prophecy and History in Luke-Acts"
- JOHNSON, "The Literary Function of Possession in Luke-Acts"

(٥) بشأن افكار كونزلمان، راجع الفصل الاول، حاشية ١

(٦) ان "الاعمال الكبير" المزعوم، أي كون لوقا امتنع ان يدخل في إنجيله المعلومات التي اوردها مرقس في ٦: ٤٥-٨: ٢٧، كان موضوع تكهنات وفوائد عديدة. لنقل على الاقل بان غياب المقاطع التي تُثير التساؤل، لدى لوقا، يساهم في الانطباع بان يسوع لم يغادر منطقة الجليل. انظر كونزلمان: "The Theology of St. Luke" ص ٥٢-٥٥

(٧) - G. F. MOORE, "Judaisme in the First Centuries of Christian Era":
- "The Age of the Tannaim", (٣ مجلدات) (Cambridge, Mass, Harvard University Press, ١٩٢٧-١٩٣٠)
- H. J. SCHOEPS. Paul, "The Theology of the Apostles in the Light of Jewish Religious History" (Philadelphie, Westminster, ١٩٦١)
- E. P. SANDERS, "Paul and Palestinian Judaism" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٧٧)

(٨) بشأن المفاهيم التي كان يحملها لوقا حول الشريعة، انظر:

- JERVELL, "The Law in Luke-Acts" dans Luke and the People of God, ص ١٣٣-١٥٢

وحول مفاهيم بولس، انظر محاولة

- W. GUTBROD dans "Theological Dictionary of the New Testament" (Grands Rapids, Mich Eerdmans, ١٩٦٧) ٤, ص ١٠٦٥-١٠٧٨

وكذلك هناك كتب كلاسيكية بشأن بولس بقلم رودولف بولتمان وكونتر بورنكام وارنست كازمام.

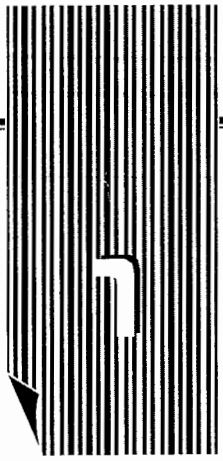

٦

الفصل السادس

التيقن صحة التقييم من تعلم

إن دراسات الكتاب المقدس هي، في الوقت ذاته، صعبة وجذابة، نظرا إلى شحّة المعطيات المتعلقة بالوثائق الكتابية الخاصة وسياقها. فلو زوّدَنا العهد الجديد، أو المصادر المعاصرة له، بمعلومات أكيدة عن المؤلفين وعن ظروف التأليف، لَوَفّر الكثير من العناء على شرّاح الكتاب المقدس. لكن المعلومات جزئية، والنظريات المطروحة متعددة، وكمية النتاج الأدبي من "الدرجة الثانية" وافرة جدا. وبالإضافة إلى ذلك، فإن المعطيات التي في حوزتنا عن القرن الأول تتعرض لتغييرات لدى كل اكتشاف جديد. فخلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، جاءت اكتشافات آثارية وأدبية –ولا سيما مخطوطات البحر الميت– فخضّت نظرياتنا المتعلقة بالديانة اليهودية في القرن الأول للميلاد. ويخضع تاريخ هذه الحقبة لإعادة نظر صارمة؛ ومع بروز بعض الملامح، سوف يقتضي الأمر سنوات عديدة قبل الوصول إلى نوع من الإجماع بين الاختصاصيين[1].

إن مثل هذه المعلومات التاريخية هامة جدا للذين يعكفون على دراسة العهد الجديد. وطريقتنا في قراءة أدب ما، أيا كان، تتعلق بالسياق الذي يجب فيه أن تؤوّل هذه الروايات أو هذه الرسائل. فالكتب، وكذلك الكلمات، تستمدّ معناها من السياق. وحينما يتغير تأويلنا للسياق، يتغير كذلك تأويلنا للكتب ذاتها.

لقد عمل الاختصاصيون في دراسات الكتاب المقدس، طوال عشرات السنين، برؤية للكنيسة الأولى هيمن عليها يوانيس فايس والبيرت شفايتزر اللذان كان تأويلهما للأدب المسيحي يتعلق، بدوره، بمفهوم عن الديانة اليهودية في القرن

الأول، ونعتبره حاليا مفرطا في التبسيط. فحسب رأيهما، لا يمكن فهم رسالة يسوع إلا في سياق تكهنات رؤيوية مكثفة بشأن نهاية الأزمنة، كان قد أذكاها الاضطراب السياسي السائد في فلسطين تحت الاحتلال الروماني.

وعلى خلفية هذه اللوحة، كان يسوع يعلن عن قرب -القرب الزمني- ملكوت الله الذي كان ملكه مزمعا ان يجتاح الزمان ويضع حدا للتاريخ. وكانت المعضلة التي جابهها مبشرو الكنيسة الأولى ومعلموها، في نظر شفايتزر خاصة، هي معضلة عدم تحقيق وعود يسوع: فهو لم يعد ثانية على سحب السماء، ولم يأت الملكوت، في كل بهائه. ويواصل شفايتزر بان مهمة اللاهوتيين كانت في ايجاد شرح لهذا الواقع المقلق: لماذا لم يعد يسوع؟ هل ضلّ التلاميذ؟ هل أخطأوا؟ أم هل أخطأ يسوع؟ وماذا بوسع المؤمنين أن ينتظروا من المستقبل؟

بالرغم من الكمية الهائلة من عناصر المعرفة التي حصلت منذ شفايتزر، فقد استمر العديد من الاختصاصيين بكتابات لوقا، بتأويل لوقا-الأعمال، انطلاقا من السياق الذي كان قد رسمه. فحسب رأيهم، كان لوقا قد جابه المعضلة المزدوجة: عدم عودة يسوع، وعدم مجيء نهاية العالم.

لقد عكف لوقا على الكتابة ليهيئ المسيحيين لمسيرة طويلة، وليفرد مكانا للكنيسة في العالم. ونجد اختلافات عديدة في هذا الموضوع الأساسي. فبعضهم، مثل "ج. كلاين"، يرى في هذه الأعمال محاولة لتبرير ظهور المهام الكنسية، مع الرسل الاثني عشر، كممثلين للمصف الأسقفي[٢]. وغيرهم يقولون: من المحتمل ان المسيحيين، من أجل البقاء في العالم الروماني، طلبوا من الحكومة الرومانية السماح لهم بممارسة عبادتهم. والدليل هو كالآتي: حاول لوقا أن يثبِّت بأن المسيحية لا تشكل خطرا على الصعيد السياسي، وأنها جديرة من ثم بحماية الإمبراطورية[٣]. ويقول هانس كونزلمان إن لوقا حاول توطيد وضع الكنيسة في العالم، بإعطائها آيديولوجية أساسية وتاريخا للخلاص يوليانها معنى التأصّل؛ كما سعى إلى تبرير الاختلافات بين عصره وبدايات الحركة. ويعتقد كونزلمان أن المهمة الأساسية تكمن في شرح العبور من كنيسة يهودية إلى حركة وثنية حرة تجاه الشريعة. ولوقا حاول أن يجيب إلى احتياجات مسيحيي الجيل الثالث.

أما التفسير الذي نقدمه في هذا الكتاب "لوقا-الأعمال" -وهو على صلة وثيقة بالدراسات التي حققها نيلس داهل وجاكوب جرفل- فهو يأخذ مجرى مختلفا. ذلك ان قضية المدة -عدم عودة يسوع- لم تعد تظهر من ثم وكأنها المعضلة الأساسية التي بُني عليها الكتابان. فلقد بدا تأخر العودة، خلال العقود الأخيرة من القرن الأول، وكأنه أقل أهمية وأقل إثارة للقلق، من معضلة العلاقات الداخلية في الجماعة اليهودية، ومن معضلة العلاقات بين اليهود وجيرانهم غير اليهود.

وتظهر في قلب عمل لوقا كوكبة من الصور، دون ان يكون لها ارتباط ظاهري بالهموم التي يخلقها قرب نهاية العالم: مسائل متعلقة بالتورا والهيكل، بالوثنيين ومشاركتهم في الأطعمة، بالعلاقات بين اليهود المؤمنين بيسوع واليهود الذين لا يؤمنون به. وعلى هذه النقطة بالذات تمحورت الدراسات التاريخية الحديثة بكل ثقلها: كان الاختصاصيون سابقا يعتبرون أن الحركة اليهودية-المسيحية فقدت كلياً معنى وجودها، بخراب الهيكل سنة ٧٠ للميلاد، وأن الحركة المسيحية توجهت كليا نحو الوثنيين. وهذا امر يلقى حاليا المعارضة من نواح عديدة. وتجلت أهمية الانزلاق الذي طرأ على التفسير، من خلال الدراسات التي أجريت، في هذا العقد الأخير، بشأن متى ويوحنا. فقد برهن ريموند براون وج. لويس مارتن، بنوع حاسم، أن إنجيل يوحنا كتب لليهود المتنصرين المبعدين عن المجمع[٥]. ذلك ان هؤلاء الذين كانت تُنكر حقوقهم الأصلية -وهم لا يرغبون في التخلي عن ارثهم كأبناء إبراهيم- كانوا يناضلون لإيجاد تغييرات تنسجم مع حالتهم الجديدة. وإنه لأمر ذو مغزى أن تكون لفظة "اليهود"، في إنجيل يوحنا، متسمة بالسلبية، للإشارة إلى أعداء يسوع، من دون ان يكون لها ما يقابلها للإشارة إلى تلاميذه. فإن المؤمنين من "مدرسة" يوحنا لا يعتبرون أنفسهم "مسيحيين"، بصفة أعضاء حركة دينية جديدة. لا بل كان الحائزون على لقب "اليهود" يرفضون عليهم هذه التسمية؛ اما أبناء النور، فيعرفون أنهم وحدهم أبناء إبراهيم الحقيقيون. ويمكن أن نفهم انجيل "متى" أيضاً في هذا السياق نفسه، بحسب و. د. ديفيس وكريستر ستيندال[٦]. ذلك انه، في الوقت ذاته، يهودي وضد اليهود بصورة مكثفة.

يوصف الفريسيون كأعداء ألدّاء، خلال الإنجيل كله الذي لا يعكس الحالة السائدة في زمان رسالة المسيح، بل تلك التي كانت سائدة في الزمان الذي وضع فيه المؤلف إنجيله. وحسب ديفيس، كانت العظة على الجبل بمثابة جواب على تأويل التورا الذي كانت تقدمه الأكاديمية الرابينية الرسمية في "جمنيا". إلا أن المفسّر المجاز للشريعة هو يسوع، وليس الفريسيون. وقد أظهر ستيندال جيدا أن، وراء إنجيل متى، تاريخا كاملا من التأويل الفريد للكتب المقدسة، وقد تكون وراءه جماعة من المفسرين شبيهة بمدرسة رابينية –من "الكتبة المتتلمذين لملكوت السموات"– على حد تعبير متى (١٣: ٥٢). ومتى، على غرار مؤلف الإنجيل الرابع، كتب إنجيله لكي يجابه الخضّات التي كانت تظهر داخل الجماعة اليهودية المتسعة، تلك الخضّات التي سببتها الحرب المدمرة ضد روما، كما سبّبها خراب الهيكل.

أجل، لقد كانت للحرب ضد روما، نتائج جسيمة على طابع الديانة اليهودية. هناك يهود لم يستطيعوا العيش بعد زوال الهيكل. والأرستقراطية الكهنوتية –وهي المسؤولة عن العبادة المتطورة الجارية في الهيكل– فقدت ما كان يشكل قاعدة سلطتها ووسائل عيشها. وكان العنصر المحافظ، الدائب على تأويل متزمّت للتقليد تجاه التغييرات الجارية، قد وجد نفسه ولا شك مُبعَدا، على هامش الجماعة. واليهود الذين، بالرغم من كل شيء، تمكنوا من العيش بعد الحرب بصفة يهود، بدأوا يرون في التعددية معضلة متزايدة، بمقدار ما كانت الرموز القومية تختفي. فمنذ وقت طويل، كان يهود المهجر (الشتات) قد أدركوا أن البقاء مرتبط بالحفاظ على الاختلافات. إلا أن خراب الهيكل بدا وكأنه أفرز عدم ارتياح متزايد، مُثقَل بالتهديدات تجاه طريقة حياة تمكّن اليهود من الانعزال عن الوثنيين. ولَكَم حاول المعلمون أن يصوغوا أيديولوجية جديدة تكون قادرة أن تشرح لماذا طُرد الشعب الذي اختاره الله، من أرضه ومن هيكله. ولكنهم كانوا يبحثون أيضاً عن الحفاظ على سلامة الجماعة، بإعطاء لفظة "اليهودي" معنى حصريا بالأكثر. وكانت هناك بوادر حركة تهدف إلى القيام، بصورة تدريجية، بطرد عناصر من الجماعة ارادت إزالة الخط الفاصل بين اليهود وغير اليهود. و كان المشيحيون،

ظاهريا، من جملة هؤلاء المبعَدين من العائلة. ويمكننا أن نتبيّن آثار هذا التطهير في يوحنا ومتى؛ وهذا ما يفسّر عداءَهما تجاه اليهود.

ليس من الصعب أن نفهم النتاج الأدبي الهائل الذي انبثق من الحروب الدموية ضد روما؛ كما ليس من الصعب أيضاً أن نفهم لماذا كان اليهود-المتنصرون بحاجة إلى كتب تكون خاصة بهم. فإلى الفوضى العامة السائدة في الجماعة، كان يضاف الطرد من الاسرة على مستوى الإيمان. وهكذا لم يعد لهم مكان يستندون إليه من بعد. وكان لابد أن تنشأ تساؤلات هامة: من نحن؟ من أين جئنا؟ أما زالت لنا جذور؟ ما هي منظوراتنا؟ ولم يكن بوسع المعلمين -وكان عليهم أن يجيبوا إلى هذه التساؤلات- الاكتفاء بالقول إن المؤمنين بيسوع هم أعضاء ديانة جديدة. فإن الإله الذي أقام يسوع من بين الأموات، هو ذاته إله إبراهيم واسحق ويعقوب. وكانوا يعترفون ولا شك بيسوع مشيحا، مشيح إسرائيل. أما أن يجعلوا من المسيحية ديانة جديدة، فذلك كان من شأنه أن يؤدي (كما كانت الحال مع مرقيون، بعد ذلك بنصف قرن) إلى الاعتقاد بإله جديد، ومن ثمة، كنتيجة منطقية، إلى نكران إله إسرائيل والكتب المقدسة. ولم يكن بوسع اليهود-المتنصرين إطلاقا أن يخطوا مثل هذه الخطوة.

وهكذا في سياق هذا التاريخ، نفهم لوقا-الأعمال بنوع أفضل، كما نفهم متى ويوحنا، بمثابة تحريض راعوي موجّه إلى اليهود-المتنصرين. ولمثل هذا الجمهور الذي أصيب بالارتباك -وقد وجد ذاته مطرودا من إرثه- تكون هذه القصة بمجلدين، قد قدّمت معنى مجدّدا لهويته كشعب الله. وفي مثل هذا السياق، لن تكون القضية التي شرع لوقا بالدفاع عنها تتعلق بشرعية الشعور بالجدّة وانعدام الاستمرارية بالنسبة إلى الماضي، بل بالأحرى قضية صمود المشيحيين في مطالباتهم بحقهم في تمثيل إسرائيل الحقيقي. ففي الزمان الذي كتب فيه لوقا مؤلّفه، كانت الحياة بالطبع قد تغيّرت تغيّرا مدهشا عند اليهود المؤمنين بيسوع. فقد كفت أورشليم عن أن تكون مركز الأرض؛ وأخذ الوثنيون ينضمّون إلى الكنيسة بأعداد غفيرة؛ وأدت العلاقات باليهود الآخرين إلى خلافات. ومع ذلك، إزاء براهين بديهية مضادة، كان مؤلّف لوقا-الأعمال يعتبر أن قصة يسوع وتلاميذه تشكّل

جزءا مكونا لتاريخ شعب الله، إسرائيل. فالرواية، من البداية حتى النهاية، تحكي تحقيق الوعود الإلهية، أي "الأمور التي تمت عندنا" (لوقا ١: ١). ذلك ان لرواية لوقا هذه موضوعاً، هو الاستمرارية. والأحداث الإنسانية، كما كان ينظر إليها، كانت المسرح الذي تجلّت فيه عناية الله، وليس قوى عمياء ومتقلبة. فلقد كانت "الضرورة" مقولة أساسية في مفهومه للتاريخ(٧). وكان يلحّ على هذه النقطة: إن ما حدث، كان شأن إله صفته الأولى هي الأمانة لوعوده.

لقد استعمل بعض الناقدين عبارة "**تاريخ الخلاص**" لوصف مفهوم لوقا. إلا أن هذه العبارة قد توقعنا في نوع من الغموض، ولا تبدو ضرورية. ففي نظر لوقا، كان التاريخ خلاصيا بمقدار ما كان جزءا من تاريخ الخلاص الفريد الذي عرفه شعب الله، أي تاريخ إسرائيل. واليهود الذين يسلط لوقا الأضواء عليهم كانوا واثقين بالإله الذي يفي بوعوده. ومهما انطوت الحياة على مفاجآت –وعلى سبيل المثال: قبول الوثنيين، واستبعاد رؤساء إسرائيل، وخراب أورشليم– فإنها تبقى دوما المسرح الذي عليه يتجلى تحقيق تصاميم الله، ويبرز البرهان على أمانته.

إن لعمل لوقا سوابق. فعلى مدى قرون خلت، شرع مؤرخون في استجلاء التاريخ القومي، وتناولوا التغييرات التي تعيد النظر في المفهوم الذي كان لدى الشعب عن هويته. فأنصار الملكية، بدعم من البلاط، دوّنوا تاريخا جديدا لشعب الله، لكي يشرحوا كيف أدّى تحالف الأسباط إلى إنشاء ملوكية، في حين كانت الأسباط المذكورة نفسها، قبل ذلك العهد بقليل، تعتقد ان هذه المؤسسة يجب ان ينزل بها الحرم. ذلك ان اختيار الله لداود، وتمركز العبادة في أورشليم، كانا يشكلان القطبين اللذين عليهما ترتكز إحدى روايات التاريخ القومي التي وجدت مكانا لها بين الكتب المقدسة. ومن جديد، بعد مرور بضعة قرون، وفي أعقاب الانشقاق في مملكة داود، وسيطرة القوى الأجنبية على كل من شطرَي المملكة، استعاد المؤرخون حكاية آبائهم: إنهم يرون عمل ذراع الله في أحداث هي ظاهريا خالية من الحضور الإلهي، ويلحّون على أن الله، لم يقل كلمته الأخيرة عبر شعبه. ولوقا، مثل معاصره فلافيوس يوسيفوس، كتب لليهود المضطرين إلى التكيف

مع عالم جديد لا تتجلى فيه العناية الإلهية، عالم شهد خراب الهيكل، وبالتالي عالم جُرِّد فيه اليهود من الأرض التي كانت أرضهم.

ويجد لوقا-الأعمال مكانه في مجموعة أدب الأزمة الذي أنتجته الجماعة اليهودية، خلال العقود الأخيرة من القرن الأول الميلادي. إلا أن الدينامية العاملة في الجماعة التي توجّه إليها لوقا كانت تختلف، في نقاط هامة، عن الدينامية الموجودة في جماعات متى ويوحنا. وإذا كان لوقا، على أكثر احتمال، يوجه كلامه إلى يهود متنصرين، فإن نبرة كتابه متوازنة إلى حد كبير. والألم والمرارة اللذان ينعكسان في متى ويوحنا، يكادان يكونان غائبين هنا، كما ان كل أثر للتهجم تجاه الفريسيين أو "اليهود" غائب بالتمام.

ثمة تفسيران ممكنان. **الأول** أن لوقا وضع مؤلَّفه قبل حدوث الانشقاق داخل الجماعة اليهودية، ولم يكن منظور العلاقات بين المشيحيين وغير المشيحيين قد تلاشى بعد. انها الفرضية التي يدافع عنها دافيد تييد: فهو يضع تكريس هذا الانشقاق بين "المسيحيين" و"اليهود" في عهد متأخر، قد يكون معاصرا لثورة بر-كوخيبة، في سنة ١٣٢ م. وإذا لم يخفِ المؤلف العداء السائد داخل الجماعة اليهودية تجاه أنصار يسوع، فإن الصورة الايجابية عن الفريسيين، إلى جانب الصورة السلبية عن الصدوقيين، والتي رسمها سفر الأعمال، قد تعكس رغبة في التقليل من أهمية الاختلافات بين تلاميذ يسوع وبين يهود آخرين، والفريسيين منهم بنوع خاص.

وربما حاول لوقا، مستندا إلى الإيمان الذي لم يزل موجودا في إسرائيل، أن يحافظ على امل في المساومة، أو على الأقل، على أمل في إقناع غير المؤمنين.

أما التفسير **الثاني**، وهو الأكثر احتمالا حسب رأيي، فهو أن لوقا-الأعمال قد كتب حينما كان الانشقاق بين المشيحيين وغير المشيحيين قد تمّ. فمن الصعب أن نقرأ خاتمة سفر الأعمال دون أن نلمح فيها نهاية عهد وثغرة لا تعالج. وتتيح لنا هذه الحالة ان نشرح لماذا اختار لوقا هذا الوقت بالذات ليختم قصته. ذلك ان هذا الوقت هو خاتمة الرسالة تجاه إسرائيل، وقد تمت بصورة رمزية، مع بولس في روما، فجر مجيء "**زمان الأمم**".

وبالإضافة إلى ذلك، فان طريقة شرح الكتب المقدسة التي يستخدمها سفر الأعمال، لا مثيل لها في كتابات العهد الجديد الأخرى. ذلك اننا لا نلقى فيها أثرا للتعصّب الذي نجد بعض سماته في رسائل بولس أو في إنجيلي متى ويوحنا(٨). وان عودة لوقا إلى الكتب المقدسة هي أكثر قربا إلى ما يقوم به المدافعون، في القرن الثاني، منه إلى مؤلفي العهد الجديد الآخرين. فهو، على غرار الرابيين، يعرب عن ثقة كبيرة في قدرة الناس العقلاء على البلوغ إلى شرح صحيح للكتاب المقدس. إلا أن ما يعنيه "بالشرح الصحيح للكتاب المقدس" يشبه كثيرا ما نجده لدى يوحنا وبولس أو متى. والنتائج التي تسفر عن توجه لوقا التفسيري، هي تماما نتائج أحد الأنصار وأحد "المسيحيين". وهكذا بدت ثقته في وضوح الكتاب المقدس وكأنها تكشف عن حالة مختلفة؛ فهي تناسب بالأكثر مؤسسة قائمة -مثل الأكاديميات الرابينية اللاحقة- بوسعها أن تمارس هيمنة محكمة على المنتمين إليها، وتكون مزوّدة بايديولوجية ذات قدرات على الاقناع، وبمنهجية على جانب من الفرادة بوسعها التغلب على التهديدات التي يتعرض لها الإيمان. والسبب الذي لأجله لا نصطدم، في سفر الأعمال، سوى بالقليل من العداء تجاه اليهود غير المؤمنين، قد يأتي من أنهم لا يشكلون، بالنسبة إلى مستمعي لوقا، تهديدا خطيرا. فربما أن وقتا طويلا قد مضى منذ الانفصال بين اليهود المتنصرين (الذين يتوجه إليهم لوقا) وبين اليهود الآخرين.

يمكننا، إذن، أن نتصور بان الدافع الأول الذي حدا لوقا إلى وضع كتابيه لم يكن مصدره من خارج جماعة المؤمنين، بل من داخلها. وبموجب كونزلمان، يكون لوقا قد كتب لكي يقدّم للمسيحيين من الجيل الثالث شرحا للتاريخ. وقد يكون كونزلمان على صواب: ذلك ان معظم الذين تلقوا الكتابات كانوا من اليهود المتنصرين، وفي كل الاحوال كانوا أناسا، ما ان توصلوا إلى التكيّف مع الانفصال عن مجمل الجماعة اليهودية، فاذا بهم يبحثون عن توضيح وضعهم الخاص في الكنيسة.

إن من شأن جمهور الوثنيين الذين انضموا إلى الجماعات المسيحية، ومن شأن انتهاء عملية اهتداء اليهود بمستوى كبير، أن يثيرا أسئلة متعلقة بتراثهم. وربما كانت رواية لوقا جهدا يهدف إلى تثبيتهم في هويتهم، بصفتهم شعب الله، لكي

يحفّز فيهم الثقة بأن إنجيلهم كان صحيحا وذا أساس راسخ. ذلك كان، بالطبع، الهدف الذي توخاه لوقا في مقدمته.

أن نرى عمل لوقا بمثابة دعوة إلى اليهود المتنصرين، فذلك لا يتيح لنا أن نحدّد مؤداه في اهتمامات "دينية" محضة، بالمعنى الضيق للكلمة. ففي الزمان الذي كان لوقا يكتب، كان اليهود قد شكّلوا، منذ مدة طويلة، جزءا من العالم الهيلليني، عالم تحت سيطرة القياصرة.

لقد سبق فريدرك دانكر ودافيد تييد أن طرحا كلاهما فرضية، تكون بموجبها بلاغة لوقا قد امتزجت بنقد تجاه المطالبات المنافسة الآتية من مخلصين مزعومين، في قلب عالم روماني أوسع[٩]. وهوذا ما كتبه دافيد تييد:

"يوحي الاندفاع الكبير في رواية لوقا وطروحاتها بتوسّع خلفيتها الثقافية، لاسيما وان الشجاعة والثقة اللتين كان لوقا يحاول نقلهما إلى قرائه كانتا معدومتين آنذاك، عند الغالبين والمغلوبين. وإن الوعد الباهر بعصر ذهبي، في زمن اوغسطس ومخلّصيه المحسنين –سعيا إلى إبراز سخاء العناية الإلهية تجاه البشرية كلها– غالبا ما كان، في تلك الساعة، يتسم بطابع نبوءة لا موضوع لها، كي لا نقول زائفة.

وإن مفاسد السلطة التي رافقتها اغتيالات وانقلابات في الأوساط الإمبراطورية، وتصدع البنى الاجتماعية والفوضى الاقتصادية... كانت تهدّد بتحطيم أعصاب الكثيرين من الرومان الذين كان لديهم حسّ بالواجب. ونتج عن ذلك ان لاهوت لوقا الإرسالي، بوصفه شرحا كتابيا مشيحيا، وبوصفه نقدا لهذه البلاغة وهذه الأيديولوجية الإمبريالية، اصبح يستحق المزيد من الانتباه. وبعبارة أوضح، كانت غاية لوقا ان يمكّن الكنيسة من ان تتكيف مع إعادة النظر هذه، في المجالات السياسية والفلسفية والدينية، بفضل رؤية جريئة للعناية الإلهية، بوساطة المسيح والرب الأسمى، يسوع"[١٠] (النبوءة والتاريخ، ص ١٣٢).

إلا ان هناك شكوكاً قائمة. وسيواصل علماء التفسير نقاشاتهم بشأن مختلف النظريات حول المؤلف وجمهوره وغاية كتبه. إلا أن ثمة نقاطا نحن على يقين منها. فإن لوقا-الأعمال لم يوضع بهدف إرسالي، وانما مهمته الأولى كانت على الصعيد الداخلي. فلقد حاول المؤلف أن يقدّم معنى واطمئنانا للمؤمنين العائشين في فترة مضطربة. وفي سبيل تحقيق ذلك، اختار الرواية التاريخية أداة. وإذا كانت قواعد المؤرخين في العالم الهليني لا تنطبق تماماً على لوقا-الأعمال، إلا أن مؤلفات تاريخية يهودية، سواء تناولت الكتاب المقدس أم لا، تزودنا بتواز مفيد للغاية. وبوسعنا أيضاً أن نعتبر لوقا شبه مؤرخ كتابي، استطاع أن يدخل تاريخ شعب الله في عهد جديد[١١].

هناك مغزى في اختيار لوقا التاريخ وسيلة لمخاطبة بني جيله. فهل كان لوقا "**مؤرخا**" حقا؟ ان النقاشات بهذا الصدد تناولت غالبا الدقة التي اتسمت بها روايته. لاشك إن لمثل هذه المسائل مكانها، وان كانت تميل إلى تعتيم المعنى الحقيقي لمشروع لوقا. فالتاريخ، بالتالي، يرتكز على المخططات والمواضيع، أكثر من ارتكازه على المعطيات الواقعية. ذلك ان كتبة التاريخ هم أناس يبحثون عن استخراج أكداس من الخبرات البشرية، ويقدّمونها بصيغة خبرات مرتبة في نظام مقبول، بإبراز ما فيها من التناغم والترابط. ويقتضي التاريخ، على غرار الحدس، مفهوما معينا للنظام والبنية. فضلا عن أن ما كتبه لوقا هو تاريخ ديني، ولكنه تاريخ استطاع ان يتجرّأ فيقدّم للقارئ مفهوما للمعنى في عالم مجهّز بأقصى حد من المعاني.

ربما كان الدافع الذي حدا لوقا إلى إعطاء رؤيته الخاصة للتاريخ، هو إدراج المطاليب المسيحية في حقل الخبرة البشرية الواسع، أكثر من الاهتمام بإثبات أحداث جامدة. وهكذا استحقّت جرأته وسعة مشروعه إعجابنا.

لقد حاول لوقا أن يساعد قراءه ليولوا حياتهم معنى، فروى لهم قصة. انه زوّدهم بإطار يحددون موقعهم ضمنه، ومكّنهم من ان يجدوا فيه معنى لوجودهم. تلك هي بالضبط مهمة الديانة في المجتمع البشري، كما عبّر عنها بوضوح الأستاذ

بيتر برجر[١٢]. يقول إن الديانة بالنسبة لكائنات بشرية، هي جواب طبيعي على عالم يتهددها دوما. هناك مجتمعات تكون الاعتقادات الدينية البسيطة فيها كافية لإبعاد الشياطين. اما الناس الذين لا تدفعهم حياتهم البسيطة إلى توجيه تحدّ جاد إلى أساليب الحياة التقليدية وإلى الاعتقادات المتداولة، فهم ليسوا بحاجة إلى نظم دينية متطورة، ولا إلى أدب ديني. وبالمقابل، تؤدي كل قطيعة إلى إعادة النظر في مصداقية اسلوب حياتها. وحينما يجري حدث من هذا النوع، تحتاج الجماعة إلى نظام مرتب من الرموز يكون قادراً أن يشرح، بعبارات تقليدية، التحديات الموجهة إلى الأخلاق التقليدية. وبخلافه، ينبغي ترك كل بحث عن الملء والاكتمال والمنطق، والاستسلام إلى النسبية والفوضى، الأمر الذي لا يُحتمل مطلقا. ذلك ان البشر لا يمكنهم الاستمرار في العيش ما لم تَحْتَمِ حياتهم تحت "مظلة قدسية" تبعد عنهم تهديد الشياطين:

> **بوسع الشريعة المعترف بها اجتماعيا، وربما في أهم مظهر لها، أن تُفهَم بمثابة ترس يقي من الهلع. أو، بعبارات أخرى، إن أهم وظيفة للمجتمع هو توطيد نظام قانوني. وهذا يفترض مسبقا، من الوجهة الأنتروبولوجية، رغبة في المعنى تكون قريبة من قوة الغريزة[١٣].**

وأياً كان شرحنا الدقيق لمهمة لوقا، فبوسعنا أن نفهم ما كان يتمنى تحقيقه لجماعته. وإننا نشوّه وظيفة روايته إذا ما اكتفينا بالكلام عن لاهوت الخلاص أو عن لاهوت المسيح. فلقد كتب لوقا ليخلق معنى للنظام، ويولي الخبرة مسارا معقولا. لقد شرع، بجرأة أكثر من الكتبة الآخرين، بتقديم مغزى، حين وضع نفسه وجماعته في إطار تاريخ كانت انطلاقته من دعوة إبراهيم، ولن ينتهِ سوى بعودة المسيح الآتي ليجمع مختاريه من جهات الكون الأربع. ففي قصة المؤمنين المختونين –وفيها فقط– يمكننا أن نستشف يد الإله بصفته دليل إسرائيل.

ان بوسع مشروع لوقا كله، في نظر البعض، أن يبدو احادي الجانب بنوع معثّر. إلا أن المؤلف كتب لأقلية دينية ظهرت جديدا على مسرح الأحداث، ولذا

لا يمكن أن نصم كتاباته بالنزعة الانتصارية[١٤]، وتلك تهمة غالبا مــا ألــصقت بلوقا-الأعمال. قد تكون ساذجة ثقة الراوية بالقدرة التي لــدى النــاس علــى استشفاف الحقيقة، وقد يكون فهمه للألم يفتقر إلى العمق، ومع ذلك فإن من شأن جرأة مطاليبه وسعة مشروعه أن تقطعا النَفَس. ففي حقبة من التاريخ، تنقص فيها الجرأة لدى الفلاسفة وكتبة التاريخ، ويتهافت الأساتذة، في الكنيسة والمجتمع، على التحليل والنقد، بوسع لوقا-الأعمال ان يصبح اداة للتذكير بمهمة أوسع.

قد تقاوم الخبرة الإنسانية محاولاتنا الرامية إلى المنهجيــة والرقابــة، إلا أن استخفافا مترفعا هو بذخٌ لا يمكننا أن نسمح به دون اضرار. وان رفض البحث في علاقات العلة والمعلول، في الشؤون البشرية، يمكن أن يُستخدَم لإخفاء تواطئنا مع شرور العالم، ويجعلنا نهرب من التزام فاعل بخلق مجتمع أكثر عدالة وأكثر سلاما.

إن عصرنا، مثل العصر الذي فيه كُتبت أعمال لوقا، شاهد على تغــييرات جذرية وانتفاضات اجتماعية. فلقد أضحى العالم أكثر تعقيدا، واصبح من الصعب فهمه، إذ ان آلياته المنظِّمة تبدو وكأنها معطلة. فالمجتمعات تنــساق نحــو النزعــة الاستبدادية أو تتهاوى في الفوضى؛ والأسر تتفكك، وحياة البشر تتداعى، والتقاليد تتلاشى... ولكن لا يمكننا العيش في الفوضى. نحن بحاجة إلى فلسفة وإلى نظــام اجتماعي يكونان قادرين على العمل. علينا أن نتذوّق الطريقة التي بهــا نظمــت العناية الإلهية الخلقة. نحن بحاجة إلى رؤية إجمالية للتاريخ الذي نحن مندمجون فيه: انه تاريخ، بدايته ونهايته بين يدي الله الذي سينتصر، في آخر الأمــر، علــى قــوى الظلمات.

قد يكون تفاؤل لوقا ساذجا. ولكننا، في الحقبة التي نمرّ بها، وفي مجتمــع يتمتع فيه المسيحيون بالسلطة أو بوسعهم البلوغ إليها، اذا تركنا الخليقة عرضــة لقوى الشر، فذلك يعني أننا نستقيل بطريقة مبكرة.

إلا ان ذهنية رؤيوية قد تكون أشد خطرا من تفاؤل ساذج. ذلــك انهــا ترضى ان تتصوّر إمكانية محرقة نووية! فهي فيما تنشغل بأزمات علــى مقــاييس كونية، قد تتعرض لإخفاء جروح أخفّ نلحقها بالخليقة بانتظام.

وحتى لو كنا نحن الذين نمارس السلطة، وندرك الإمكانات الأصيلة التي ينعم بها مستقبلنا، فعلينا أن نؤمن بأن للحياة معنى، وأن الماضي غني بالموارد للساعة الحاضرة، وبوسعنا أن نثق بإله أمين نسلم إليه مصيرنا. نحن نحتاج، على غرار تاوفيلس، إلى أن نتيَقَّن صحّة ما تلقيناه من تعليم!

هوامش الفصل السادس

(١) للحصول على معنى التوجهات الجديدة التي حملتها الدراسات بصدد خلفية الديانة اليهودية، يمكن الاستعانة بالمجلدات العديدة لجاكوب نيسنر NEUSNER والمخصصة بتقييم التقاليد الرابينية وفق اسلوب نقد الصيغ؛ وكذلك بالمجلدين اللذين هما محاولتان لـ:

- E. P. SANDERS, "Jewish and Christian Self-Definition" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٨٠-١٩٨١)
- Nils Alstrup DAHL, "Eschatalogy and History in Light of the Qumran Text", dans The Messiah Crucified (Minneapolis, Augsbourg, ١٩٧٤) ص ١٢٩٠١٤٥

(٢) - Günter KLEIN, "Die Zwölf Apostel" (Göttingen, Vandenhoeck and Ruprecht, ١٩٦١)

(٣) المصدر المذكور، ص ١٠٦، ٦٢٢، ٦٩٢-٦٩٤ - HAENCHEN

(٤) - Hans CONZELMANN, "The Theology of St Luke", "Luke's Place in the Development of Early Christianity", dans Studies in Luke-Acts, ص ٢٩٨-٣١٦

(٥) - J. Louis MARTYN, "History and Theology in the Fourth Gospel" (New York, Harper, ١٩٦٨)
- Raymond BROWN, "The Gospel According to John", Anchor Bible ٢٩, ٢٩A (Garden City, N. Y. Doubleday, ١٩٧٠). La Communauté du Disciple Bien-Aimé (الترجمة الفرنسية، باريس، دار سيرف ١٩٨٣)

(٦) - William David DAVIS, "The Setting of the Sermon on the Mount", (Cambridge University Press, ١٩٦٤)
- K. STENDAHL, "The School of St Matthew" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٦٨)

(٧) يشخص تييد المناقشة بشأن "الضرورة" في اطار اليهودية النبوية وفي اطار المناقشات الرفيعة بشأن المصير والعناية الالهية في العالم اليوناني الروماني. انظر: ص ٢٧-٣٣ "Prophecy and History"

(٨) انظر دراستي: - "Use of Psalm ١٦ in Acts II"
- KURZ, "The Function of Christological Proof from Prophecy"

(٩) - Frederik W. DANKER, "Jesus and the New Age" (St. Louis, Clayton Publishing House, ١٩٧٢)
"Luke" (Philadelphie, Fortress Press, ١٩٧٦)

(١٠) - TIEDE, "Prophecy and History", ص ١٣٢

(١١) - DAHL, "The Purpose of Luke-Acts" ص ٨٨

(١٢) - Peter L. BERGER et Thomas LUCKMANN, "The Social Construction of Reality" (Garden City, N. Y., Doubleday, ١٩٦٧)

(١٣) المصدر ذاته، ص ٢٢ - BERGER,

(١٤) - TIEDE, "Prophecy and History", ص١٢٩-١٣٠
هذه التهمة بصدد "الانتصارية" نشأت، في التقليد المسيحي، من استخدام متأخر لمؤلّف لوقا.

الفهرس

كلمة الناشر	**٧**
كلمة المترجم	**٩**
مقدمة	**١١**
التقاليد في لوقا-الاعمال	١٥
المؤلف والتاريخ والاطار	١٨
هوامش المقدمة	٢٢
الفصل الاول: البدايات	**٢٣**
المقدمات	٢٦
آمال عظيمة (لوقا ١-٢)	٣٢
انشودة مريم (لوقا ١: ٤٦-٥٥)	٣٩
نشيد زكريا (لوقا ١: ٦٨-٧٩)	٤٠
قول سمعان (لوقا ٢: ٢٩-٣٥)	٤٣
هوامش الفصل الاول	٤٥
الفصل الثاني: مخلص هو المسيح الرب	**٤٧**
المسحة	٤٩
الافتتاح: الكرازة في الناصرة	٥٣
المنادي بالبشرى السارة	٥٨
المحرر	٦٩
ملك اليهود	٧٨
القيامة "في اليوم الثالث"	٨٦
هوامش الفصل الثاني	٩٢
الفصل الثالث: حتى اقاصي الارض	**٩٥**
العنصرة	٩٨
الرواية	٩٨
خطاب بطرس	١٠٠
مرسَلو المسيح	١٠٥
بطرس	١٠٨
اسطيفانس	١١٤
بولس	١٢٤
صعوبات تاريخية	١٢٦

اسفار بولس	١٢٨
توقيف ومحاكمة	١٣٢
هوامش الفصل الثالث	١٣٨
الفصل الرابع: حياة الايمان	**١٣٩**
الضيافة	١٤٢
الثروات	١٤٥
الحياة في الروح	١٤٩
انفتاح على المستقبل	١٥٢
هوامش الفصل الرابع	١٥٩
الفصل الخامس: شعب الله	**١٦١**
التقوى والشريعة	١٦٥
الشريعة واسرائيل	١٧١
قطيعة داخل العائلة	١٧٣
هوامش الفصل الخامس	١٧٨
الفصل السادس: لتتيقّن صحة ما تلقّيتَ من تعليم	**١٧٩**
هوامش الفصل السادس	١٩٤
الفهرس	**١٩٥**
للمزيد من الاطلاع على مؤلّف لوقا بجزئيه	**١٩٧**
كتب للمعرّب	**١٩٨**
الصور:	
ايقونة البشارة	٣٤
ايقونة الميلاد / روبليف	٤١
ايقونة العماذ	٥١
ايقونة المسيح الضابط الكل	٦٠
عودة الابن الضال / رامبرانت	٦٧
ايقونة المصلوب	٨٢
ايقونة القيامة	٨٨
ايقونة العنصرة	٩٩
ايقونة بطرس وبولس يحملان الكنيسة	١١٠
رأى المسيحيون في خراب الهيكل علامة على ان يسوع هو الهيكل الجديد	١١٥
"انقضوا هذا الهيكل..." – ما تبقّى من هيكل سليمان	١١٥
القديس بولس	١٢٥

كتب للمعرب

- **سلسلة الفكر المسيحي**

١- هل من تحريف في الانجيل؟ (عدد ١٤)، الموصل
٢- الزواج المسيحي (عدد ١٧)، الموصل
٣- الكنيسة في ما بين النهرين (عدد ٣٤)، الموصل
٤- تقدم الشعوب (عدد ٤٤)، الموصل
٥- تراثنا المسيحي (عدد ٥٢)، الموصل

- **سلسلة كلام الله (ترجمة من الفرنسية)**

١- فجر الكنيسة (عدد ٣)، الموصل ١٩٦١
٢- اله المساكين (عدد ٦)، الموصل ١٩٦٢
٣- يسوع الكاهن الاوحد (عدد ١٣)، الموصل ١٩٦٥
٤- في يد الله (عدد ٢١)، جونيه، لبنان ١٩٧٢

- **متفرقات**

١- الاراميون (ترجمة من الفرنسية). نشرت في مجلة سومر ١٩٦٣
٢- افكار وخواطر للاخت اليزابيث الثالوث (ترجمة)، الموصل ١٩٦٣
٣- كتاب الرؤساء لتوما المرجي (ترجمة من السريانية)، ط١، الموصل ١٩٦٦؛ ط٢ بغداد ١٩٩٠
٤- سعادتي في الايمان (ترجمة)، الموصل ١٩٦٩
٥- ماذا كان في البدء (ترجمة)، جونيه، لبنان ١٩٧٠
٦- ادب اللغة الارامية، ط١، بيروت ١٩٧٠
٧- تاريخ الكنيسة الشرقية (ج١)، ط١، الموصل ١٩٧٣؛ ط٢، بغداد ١٩٨٥
٨- تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية الى الفرنسية)، لوفان ١٩٧٤
٩- اعطني قلبا مصغيا (ترجمة)، جونيه، لبنان ١٩٧٥
١٠- اسهام في ملحق المعجم السرياني - العربي ليعقوب اوجين منا، بيروت ١٩٧٥
١١- نشر كتاب (مقالات وقصائد مختارة) للخوري بولس البيداري، بغداد ١٩٧٧
١٢- ترجمة رسالة البابا بولس السادس (من اجل اعلان الانجيل)، روما ١٩٧٨
١٣- الكرمل، بغداد ١٩٧٨
١٤- التربية المسيحية (٣ كتب بالتعاون مع الاب- المطران جاك اسحق)، ١٩٧٩
١٥- الصلاة في الحياة (ترجمة)، ط١، بغداد ١٩٧٩؛ ط٢ بغداد ١٩٨٩؛ طبعة اخرى هي اعادة للطبعة الاولى، بيروت ١٩٩١
١٦- وعي الايمان (بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا)، بغداد ١٩٨١
١٧- صلاة المساء في العائلة، بغداد ١٩٨١
١٨- القراءة السريانية للصف الاول الابتدائي، بغداد ١٩٨١
١٩- القراءة السريانية للصف الثاني الابتدائي، بغداد ١٩٨٢
٢٠- القراءة السريانية للصف الثالث الابتدائي، بغداد ١٩٨٢
٢١- يسوع المسيح الخبز المقتسم (ترجمة بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا)، بغداد ١٩٨٢
٢٢- القديسة تريزة الكبيرة، بغداد ١٩٨٢
٢٣- المسيحيون الاولون (ترجمة)، بغداد ١٩٨٢
٢٤- اخبار نفس (ترجمة)، بغداد ١٩٨٣

٢٥- يسوع صديقي (ترجمة)، بغداد ١٩٨٣
٢٦- القراءة السريانية للصف الرابع الابتدائي، بغداد ١٩٨٣
٢٧- القراءة السريانية للصف الخامس الابتدائي، بغداد ١٩٨٣
٢٨- القراءة السريانية للصف السادس الابتدائي، بغداد ١٩٨٣
٢٩- علمنا ان نصلي، بغداد ١٩٨٤
٣٠- مار سبريشوع، بغداد ١٩٨٥
٣١- شهداء المشرق، بغداد ١٩٨٥
٣٢- العذراء مريم (ترجمة)، بغداد ١٩٨٥
٣٣- الطوباوية اليزابيث الثالوث، بغداد ١٩٨٥
٣٤- تاريخ الرهاوي المجهول (ترجمة من السريانية)، بغداد ١٩٨٥
٣٥- ايماني المسيحي (بالتعاون مع الاب يوسف عتيشا)، بغداد ١٩٨٧
٣٦- اسير مع يسوع (اعداد)، بغداد ١٩٨٧
٣٧- تريزا ام الفقراء(اعداد)، بغداد ١٩٨٧
٣٨- المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين (ترجمة بالتعاون مع د. وليد الجابر) بغداد ١٩٨٨
٣٩- امثال يسوع (ترجمة بالتعاون مع الاب يوحنا عيسى)، بغداد ١٩٨٩
٤٠- بلاد الرافدين : الكتابة، العقل، الالهة (ترجمة) بغداد ١٩٩٠
٤١- انيروا مصابيحكم (ترجمة)، بغداد ١٩٩٠
٤٢- ظل يسوع الجليلي (ترجمة)، بغداد ١٩٩١
٤٣- المشورات الانجيلية والنضج الانساني (ترجمة)، بيروت ١٩٩٢
٤٤- مريم العذراء في العراق، بيروت ١٩٩٢
٤٥- اله المساكين (ط٢ في سلسلة دراسات في الكتاب المقدس)، بيروت ١٩٩٢
٤٦- ادب اللغة الارامية، طبعة ثانية منقحة ومزيد عليها، دار المشرق، بيروت ١٩٩٦
٤٧- تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ١، ط ٣، دار المشرق، بيروت ١٩٩٣
٤٨- تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ٢، دار المشرق ١٩٩٣
٤٩- تاريخ الكنيسة السريانية الشرقية ٣، دار المشرق ١٩٩٣
٥٠- انا عطشان الى الحياة (ترجمة)، بغداد ٢٠٠١
٥١- تلاميذ المسيح المنبعث (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٢
٥٢- احبب حياتك (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٢
٥٣- لوقا- الاعمال (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٢
٥٤- الملكوت الخفي (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٢
٥٥- لنصل ١٥ يوما مع شارل دي فوكو (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٣
٥٦- لنصل ١٥ يوما مع الاخت الصغيرة مادلين يسوع (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٣
٥٧- ومضات، بغداد ٢٠٠٤
٥٨- الاراميون (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٤
٥٩- مسيرة صلاة (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٤
٦٠- لننطلق من المسيح (ترجمة)، بغداد ٢٠٠٤

للمزيد من الاطلاع على مؤلف لوقا بجزئيه

- **في سلسلة "كلام الله"**

- فجر الكنيسة / الاب اوغران - تعريب الاب البير ابونا - الموصل ١٩٦١
- لوقا انجيلي المخلص / الاب دفيل - تعريب الاب بيوس عفاص - الموصل ١٩٦٤

- **في سلسلة "دراسات بيبلية" للاب بولس الفغالي**

- انجيل لوقا: ظهور الكلمة والرسالة في الجليل / الرابطة الكتابية (٣) - ١٩٩٣
- الاناجيل الازائية: متى، مرقس، لوقا (مؤتمر) / الرابطة الكتابية (٤) - ١٩٩٣
- اعمال الرسل: مقدمات، دراسات، تأملات، ابحاث / الرابطة الكتابية (٦) - ١٩٩٤
- انجيل لوقا: صعود يسوع الى اورشليم / الرابطة الكتابية (٩) - ١٩٩٥
- اعمال الرسل، عنصرة كل العصور (مؤتمر) / الرابطة الكتابية (١٠) - ١٩٩٥
- انجيل لوقا: يسوع في اورشليم، الآلام والقيامة / الرابطة الكتابية (١٣) - ١٩٩٦
- القراءة الربية: يسوع الرب والمخلص مع لوقا / الرابطة الكتابية - بيروت ١٩٩٥

- **في سلسلة "دراسات في الكتاب المقدس، دار المشرق - بيروت**

- اضواء على اناجيل الطفولة: جان دانيالو / الرقم ١ - ط١ - ١٩٨٨
- اعمال الرسل: مجموعة من الباحثين / الرقم ٨ - ط٣ - ١٩٩٢
- دراسة في الانجيل كما رواه لوقا: اوغسطينس جورج / الرقم ١٥ - ١٩٨٩
- مريم بحسب الاناجيل: جان بول ميشو / الرقم ٢٩ - ط١ - ١٩٩٨

- **في ملفات الكتاب المقدس، بيبليا للنشر - الموصل**

- الرقم ٨: اعمال الرسل / تعريب الاب يوحنا عيسى (نيسان ٢٠٠٢)
- الرقم ٩: قراءة في مؤلَّف لوقا / تعريب الاب بيوس عفاص (تموز ٢٠٠٢)
- الرقم ١١: اناجيل الطفولة / تعريب الاب بيوس عفاص (ت٢ ٢٠٠٣)

- **كتب منوعة**

- فجر المسيحية: جرجس المارديني - منشورات الرابطة الكهنوتية - لبنان ١٩٦٣
- يسوع المسيح في انجيل القديس لوقا: الاب فرنسيس يوسف المخلصي - بغداد ١٩٨٠
- البشارة بحسب انجيل لوقا: الكردينال كارلو مارتيني (تعريب الاب يوسف عتيشا) - بغداد ١٩٩٤
- يسوع كما في لوقا ويوحنا: فكتور حداد - منشورات المكتبة البولسية - جونيه ١٩٩٧
- مسيرة صلاة مع القديس لوقا: الكردينال مارتيني (تعريب الاب البير ابونا) - منشورات نجم المشرق - بغداد ٢٠٠٤

ملفات الكتاب المقدس

مجلة بيبلية متخصصة ظهرت بالفرنسية، منذ عام ١٩٨٤، بعنوان

Les Dossiers de la Bible

عن مركز الخدمة البيبلية "انجيل وحياة" في باريس، ويقدم كل عدد منها ملفا بأحد الاسفار المقدسة او بأحد المواضيع الكتابية الهامة من العهدين القديم والجديد، بقلم عدد من الاختصاصيين في العلوم البيبلية، وضعوا الطروحات العلمية الحديثة في متناول القراء، باسلوب سلس وشيق، فأسهموا في جعل كلمة الله حلوة المذاق وجزيلة الفائدة. وعمد مركز الدراسات الكتابية في الموصل، منذ عام ٢٠٠٠، الى تعريبها ونشرها بهدف اشاعة الثقافة البيبلية لدى محبي الكتاب المقدس.

السنة الاولى/ ٢٠٠٠

١. الحديث عن القيامة/ ايلول	الاب بيوس عفاص
٢. الافخارستيا/ ك١	الاب بيوس عفاص

السنة الثانية/ ٢٠٠١

٣. ايليا واليشاع/ ك٢	م. جرجس القس موسى
٤. امثال يسوع/ نيسان	الاب بطرس موشي
٥. ما وراء الموت/ تموز	الاب بيوس عفاص
٦. عجائب يسوع/ ت١	الاب جبرائيل شمامي

السنة الثالثة/ ٢٠٠٢

٧. قراءة في انجيل متى/ ك٢	الاب فرنسيس شير
٨. اعمال الرسل/ نيسان	الاب يوحنا عيسى
٩. قراءة في مؤلف لوقا/ تموز	الاب بيوس عفاص
١٠. حزقيال النبي/ ت١	م. جرجس القس موسى

السنة الرابعة/ ٢٠٠٣

١١. اناجيل الطفولة/ ك٢	الاب بيوس عفاص
١٢. القديس بولس/ نيسان	الدكتور يوسف قوزي
١٣. سفر يونان/ تموز	م. جرجس القس موسى
١٤. كنيسة البدايات/ ت١	الاب جبرائيل شمامي

السنة الخامسة/ ٢٠٠٤

١٥. القديس مرقس/ ك٢	الاب فرنسيس شير
١٦. سفر المزامير/ نيسان	الخوراسقف بطرس موشي
١٧. النبي عاموس/ تموز	الاب لويس الخوند
١٨. صلاة الابانا/ ت١	الخوري بولس الفغالي

السنة السادسة/ ٢٠٠٥

١٩. انجيل يوحنا/ ك٢	الاب بيوس عفاص
٢٠. الروح القدس/ نيسان	المطران لويس ساكو
٢١. الاناجيل المنحولة/ تموز	الارشمندريت انطوان نصر
٢٢. النبي اشعيا/ ت١	م. جرجس القس موسى

السنة السابعة/ ٢٠٠٦

٢٣. سفر ايوب/ ك٢	الخوري بولس الفغالي

انجزت مطبعة الديوان طبع الكتاب في
٦ كانون الثاني ٢٠٠٦

سلسلة ابحاث كتابية ٨

لوقا - الاعمال

تعريب الراب ألبير ابونا

لوقا: مؤلف كتاب بجزئين

الانجيل و اعمال الرسل

"... انهما يشغلان حيزا كبيرا من العهد الجديد، ويحتويان على ربع العدد الكلي لآياته! ويمثل عددُها المشروع الادبي الاكثر طموحا في الحركة المسيحية، في مرحلة التلمّس من القرن الاول الميلادي. فلا عجب، والحالة هذه، ان يكون هذان الكتابان قد طبعا حياة الكنيسة بختمهما (...)

ومنذ عهد مبكر، قُرئ الكتابان منفصلين، واخذ انجيل لوقا موضعه بين الاناجيل الاخرى؛ اما سفر الاعمال، فقد ضُمّ الى "القانون" بصفة كتاب استثنائي (...)

والكتاب الذي بين ايديكم الآن، هو مقدمة لهذين الكتابين (...) وتتركز هذه الدراسة على نقاط من الشرح تتناسب مع "لوقا ـ الاعمال" بصفتهما كتابا واحدا:

لماذا اختار مؤلف هذا الانجيل، خلافا للانجيليين الآخرين، ان يخلق إطارا اوسع ليشرح فيه رسالة يسوع؟

ما هو الاختلاف الذي يقدمه لشرحنا الانجيل والاعمال كونهما مرتبطين؟

ما هي المواضيع التي تميّز او توحّد المرحلتين الاولى والثانية من قصة لوقا؟ وهل تختلف طبيعة الكتاب الموحّد عن طبيعة كل منهما على حدة؟"

من هذه الاسئلة وغيرها ينطلق المؤلف ...

يطلب من مكتبة بيبليا / الموصل - العراق
سعر النسخة : ٢٠٠٠ دينار

الديوان للطباعة والتصميم - موبايل 07901920414